
جزيرة
والعيون
مع العـدد : العـربي الصغير


نظام كاسيت واحد
لا يفي بمتطلباتك ؟
إحصل على كاسيت مزدوج من سانيو!
C36 نظام جهاز ستريو نقال قوي الطاقة ٥٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك أكواليزر ٥ موجات، ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
C40 نظام جهاز ستريو نقال قوي الطاقة ٥٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك أكواليزر ٥ موجات، مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW23K قوة ٢٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك أكواليزر ٥ موجات، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW220K قوة ١٤ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك أكواليزر ٢ موجات، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
MW200K قوة ٨ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
MW22K قوة ٢٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW19K قوة ٢٢ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك أكواليزر ٥ موجات، AMSS، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW730K قوة ١٤ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
MWS400K قوة ١٤ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت.
MW24K قوة ٢٢ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، AMSS، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW770K قوة ٢٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، ترجيع أوتوماتيكي، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
مُسجل كاسيت مزدوج/ راديو ستريو ٤ موجات.
يمكنك الآن التسجيل، الدبلجة والإحتفاظ بأحب الموسيقى إليك مع مسجل كاسيت مزدوج /راديو ستريو MW/SW1/SW2/FM من سانيو. إنها عملية سهلة بسهولة الكبس على الزر. ضع شريطين في الستريو وستنساب الموسيقى بدون إنقطاع من الشريط الأول إلى الشريط الثاني. مشكلتك الوحيدة مع مجموعة مسجلات سانيو ذات الكاسيت المزدوج هي الإختيار بينها!
SANYO سانيو

SP-85-118

العـــــدد ٣٢١ — أغسطس ١٩٨٥



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No.321 Aug. 1985 P.o. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

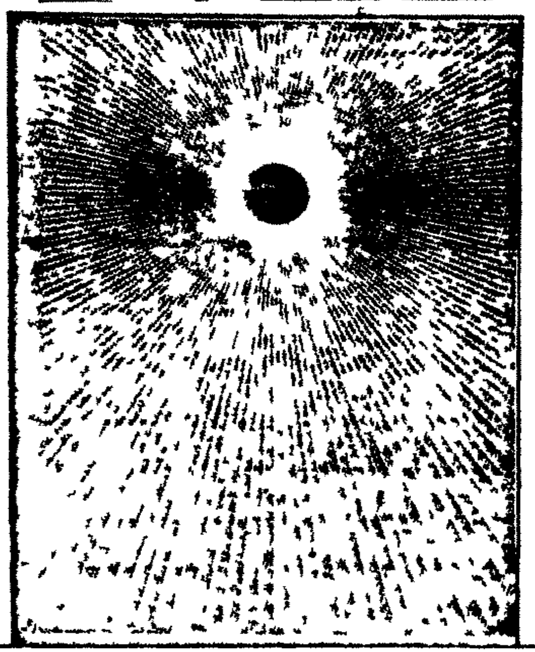
الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليما	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر حديثاً

كتاب العربي



آراء ودراسات فى :

الفكر القومي

ساطع الحصري — د. أحمد زكي

د. محمد أحمد خلف الله — د. عبد العزيز الدوري

د. عبد الله عبد الدائم — د. عبد الرحمن البزاز

د. كلوفيس مقصود

العدد الثامن — ١٥ يوليو ١٩٨٥م

عزيزي القارئ



لجنة الفرز الأولية لمسابقة القصة في المجلة فوجئت بسيل القصص التي تلقتها من القراء ، وهواة ومحترفي كتابة القصة ، للاشتراك في المسابقة التي أعلنت عنها العربي في مطلع العام الحالي . . .

وتساءل أعضاء لجنة التحكيم عن هذه الكثرة الغالبة ، من القصص ، التي تجاوزت كثيرا حدود كل التوقعات ، رغم كثرة ما شاركوا فيه من تحكيم عشرات المسابقات من قبل .

لو قلنا ان رقم الفرز قد تجاوز الثلاثة آلاف قصة حتى الآن ، فاننا لا نبالغ ، ولو قلنا أنه مازال في ملفات الفارزين مجموعات أخرى فاننا لا نقدم اعتذارا مسبقا لو أرتأت اللجان تأخير موعد اعلان النتيجة المتوخاة .

مع ذلك فان لجان الفرز والقراءة والتحكيم مازالت تعمل وتتابع هذا السيل العرم من القصص ، التي جعلت منها بعض الأقلام وسيلة لاسماع الصوت حول الكثير من مشاكل الأفراد والجموع العربية في شتى أقطارها .

صحيح أن للصيف مشاكله ، وصحيح أن لحرارة الصيف في الكويت صعوباتها ومعوقاتها ، مع ذلك فان العمل يسير ، وحركة الفرز والقراءة لم تهدأ منذ لحظة الاعلان عن اجراء المسابقة . وممنوعة هي الاجازات الطويلة ، ومحدودة هي أيام العطل . . والا فان تلال القصص كان يمكن أن تظل مكدسة . . وتلال الأوراق كان يمكن أن تبقى داخل الملفات بانتظار تأشيرات حمراء وزرقاء الى ماشاء الله

عزيزي القارىء . . ان ماذكرناه ماهو الا تسجيل لحالة طوارىء نعيشها ، فنأمل أن تعطينا من صبرك صبرا ، وان تمنحنا من وقتك وقتا . . وكان الله في عوننا وعونك .

كلمة أخرى نقولها لك عزيزي القارىء ، ان عددنا هذا سيطوف بك ومعك حول محطات عدة منها :

■ قضايا المرأة . . وهل هي قضايا خاصة أم هي جزء من مشاكل وقضايا المجتمع للدكتور محمد الرميحي .

■ قبرص ـ هذه الجزيرة الصغيرة التي تفيد الأساطير بأنها النقطة التي خرجت من بحرها إلهة الحب آفروديت . . الا أن بعض ناسها والقوى الطامعة فيها حولتها الى جزيرة منهكة بالخلافات والحروب ! استطلاع ملون عن الجزيرة .

■ أما استطلاعنا الملون الثاني فهو عن « ثورة » التاميل في سيريلانكا . وهذه الثورة تحمل في وجه من وجوهها ثورة الأقلية ضد الأغلبية ، وثورة طائفة ضد أخرى .

هكذا يجد القارىء أنه على الرغم من أننا نعد موادنا قبل حوالي شهرين من صدور العدد ، فاننا نحاول قدر الامكان أن نكون على تماس مع الأحداث المتفجرة والمشتعلة في العالم .

هذه بعض الهموم والمشاغل التي تشغلنا ، وهذه بعض مواد عددنا . . نأمل دائما أن نحقق من أجلك الأجود والأفضل .

المحرر

محتويات العدد

عجوز في الجزيرة « المنهكة » تطرز القماش بخيوط عمرها ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣٢١ ـ أغسطس ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

خطاب مفتوح إلى النساء العربيات

- قضيّة المرأة هي قضيّة الرجل .. وهي قضيّة المجتمع .
- الطبيعة الثانية للمرأة العربيّة : كيف تكوّنت ولماذا استمرت ؟
- لايزال بعضنا يعتقد أن المرأة لا تصلح إلا لغسل الصحون وحفظ النسل !
- لماذا يهرب الرجال من مسئولياتهم الأسرية في بلاد العالم ؟

قضايا المرأة وأوضاعها وشؤونها وشجونها فرضت نفسها على الاعلام العالمي في الشهر الماضي - يوليو ١٩٨٥ - اذ عقد في الاسبوع الثاني منه المؤتمر العالمي للمرأة في نيروبي عاصمة كينيا ، والتقى فيه حوالي ثمانية آلاف امرأة يمثلن حوالي مائة وخمسين دولة ، ويعتبر المؤتمر حلقة من سلسلة طويلة من الحلقات والندوات التي عقدت في السنين العشر الاخيرة،لاسترعاء نظر دول العالم الى قضية المرأة بعامة ، وقضية المرأة في العالم الثالث على وجه الخصوص .

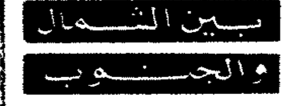
هذا المؤتمر له قصة ، فقد أعلنت الامم المتحدة - كعادتها في تخصيص سنة أو عقد للاحتفال بموضوع معين على مستوى العالم - سنة ١٩٧٥ سنة دولية للمرأة ، وعقد مؤتمر دولي للمرأة في مدينة المكسيك ، وقد ارتأى المؤتمر عدم الاكتفاء بتخصيص سنة دولية واحدة فقط لقضايا المرأة ، فطالب

الامم المتحدة باعلان الفترة من سنة ١٩٧٦ الى سنة ١٩٨٥ عقدا دوليا للمرأة ، وهكذا كان .

وخلال هذا العقد الذي ينتهي بانتهاء هذا العام ، وربما بانتهاء مؤتمر نيروبي السالف الذكر ، تكون المرأة قد عقدت سلسلة ندوات واجتماعات اقليمية ودولية لمناقشة قضايا المرأة ومراجعتها . وعقد المؤتمر قبل الاخير في كوبنهاجن بالدنمارك (يوليو ١٩٨٠) الذي كان بمثابة مؤتمر لالتقاط الانفاس . ثم تلاه المؤتمر الاخير في نيروبي .

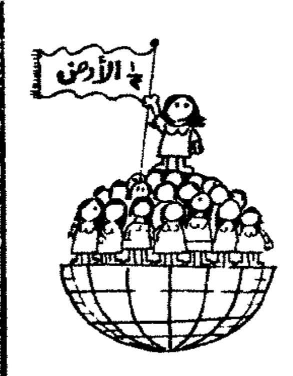
ولكن ماذا تحقق من كل ذلك ؟

من المفارقات الاولى اللافتة للنظر أنه عندما كان آلاف النساء في مؤتمر نيروبي يراجعن التقارير والمطالبات ، كانت تلازمهن حقائق صارخة تفيد بأن خمسين في المائة من نساء كينيا العاملات - البلد الذي استضاف المؤتمر - يتقاضين أجورا عن أعمالهن لا تكفي لشراء الحليب المصنع لارضاع أطفالهن !



□ من العبث طرح قضية المرأة على أنها قضية خاصة بالنساء ، وقد تكفلت كتابات ومواقف كثيرة بتأييد هذا الاتجاه ، صحيح انها - جزئيا فقط - مشكلة نساء ، ولكنها كليا مشكلة غنى وفقر ، ومشكلة مجتمع كامل أيضا قبل أن تكون مشكلة خاصة بالنساء . فعلى الصعيد الدولي تقول لنا الاحصاءات ان النساء نصف سكان الارض ، وتعادل ساعات عملهن ثلث ساعات العمل التي تنجزها البشرية ، ولكن كسب النساء لا يتعدى واحدا على عشرة من مجموع الدخل العالمي ، وتقدر تلك الاحصائيات أن النساء ليس لديهن من الدخول المادية أكثر من ١٪ من الدخل المادي العالمي . واذا كانت المرأة في الدول المتقدمة - كالدول الغربية والولايات المتحدة وكندا واليابان وفي بعض الاقطار الغنية مما يوصف بدول الشمال عموما - قد حصلت لنفسها على حقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية نتيجة لظروف تطور تلك المجتمعات ، فان المرأة في دول الجنوب - امريكا اللاتينية وأجزاء كبيرة من آسيا وافريقيا - قد وقع عليها ما وقع على الرجل في بلدانها من تعسف استعماري تحول الى تخلف انساني .

من المؤكد أن بعض المندوبات في مؤتمر نيروبي اكتشفن حالة الفقر المدقع التي يعيشها معظم النساء الكينيات ، وسوء تغذية الاطفال الناجم عن فقر الأسرة وعمل الأم المتواصل في الحقل أو في غيره، وهذا وضع تشترك فيه النساء والأطفال سواء أكانوا في أرياف افريقيا أم الهند أم تشيلي ، أم في المدن المكتظة بالسكان سواء كانت كلكتا أو مكسيكو على سبيل المثال ، وهذا الوضع لا يترك لهؤلاء الامهات خيارا بين ارضاع اطفالهن رضاعة طبيعية أو شراء المستحضرات التي تأخذ مكان حليب الأم ، والتي تروج لها الصناعات الكبيرة في العالم المتقدم ، فمن الثابت من خلال الاحصاءات العالمية المتوافرة أن الأمهات اللواتي يسهمن في الانتاج داخل المدن المكتظة ، أو في الحقول في







أقطار كثيرة من العالم الثالث ، لا يجدن الوقت الكافي لعملية الارضاع الطبيعية ، رغم تأكيد الطب ـ للفئات الواعية ـ أن ليس هناك ما يعوض الطفل عن حليب أمه !

والاحصائيات الدولية المتوافرة تقول لنا شيئا آخر بجانب ذلك ، فهي تشير الى أن نسبة الوفيات بين الأطفال المحرومين من حليب الأم ترتفع في بلدان مثل تشيلي والهند وبلدان امريكا الجنوبية ، في حين أن وفيات الاطفال تنخفض بين أطفال الامهات اللواتي يجدن وقتا للارضاع الطبيعي في تلك البلدان .

ولعل ضغط الفقر والجفاف والسياسات غير الرشيدة كلها تتكالب على الامهات في اقطار العالم الثالث ليكون أول ضحاياها الاطفال أنفسهم ، وتفيد احصائيات البنك الدولي ـ وهي احصائيات تقريبية ـ الى ان البلدان التي لا يتجاوز فيها متوسط الدخل السنوي للفرد مائة وخمسين دولارا ، لا تنعم بالماء النظيف ولا تتخلص من النفايات بالطرق السليمة ، ماعدا استثناءات قليلة وخصوصا عند الموسرين من بين السكان ، وهناك ١٨٪ من سكان بعض مدن الهند يحصلون على ماء نقي للشرب والاغتسال و١٣٪ من السكان في زائير مثلا لديهم هذا الامتياز و ١٪ من السكان في اثيوبيا ! وذلك على سبيل التذكير والمثال لا الحصر .

المـــرأة والاســرة

□ فكيف يكون وضع المرأة في مجتمعات فقيرة كالتي أشرنا اليها ؟

ان الرجل في معظم هذه المجتمعات ينسلخ عن العمل عند عودته الى البيت من الحقل أو من أي عمل آخر يقوم به ، بينما المرأة في غالب أرياف العالم الثالث ومدنه يتواصل عملها الاضافي الشاق عند العودة الى المنزل كالتنظيف ، وربما جلب المواد الغذائية بجانب عملية الطبخ نفسها ، وأعمال أخرى تضطر الى انجازها قبل أن تأوى متهالكة الى فراشها استعدادا ليوم عمل جديد .

هذه الاوضاع تنعكس سلبيا على الروابط الاسرية في مجتمعات العالم الثالث وعلى تنشئة الأبناء ، ففي كثير من دول العالم الثالث يفتقد حضور الرجل ـ للاسباب التي ذكرناها ـ مع الاسرة ، وتبقى النساء . فقد جاء في احدى الاحصائيات العالمية أيضا أن ٤٠٪ من الاسر في امريكا اللاتينية تنهض فيها المرأة بمسؤولية رب الاسرة ، هذا في المتوسط ، وفي بعض البلدان مثل تشيلي تزيد نسبة الأمهات المهجورات على ذلك ، والبعض منهن لا يتجاوز سنهن الرابعة عشرة فقط .

ويكشف تقرير آخر عن أن مشكلة البرازيل انما تكمن في أطفالها وأن الأطفال المشردين الملقين للعوز والجوع والمرض تفوق كل تصور ، وأن

أربعة الى خمسة ملايين منهم انتفخت بطونهم بسبب الجوع .
وهكذا فان وضع المرأة في دول العالم الثالث ـ دول الجنوب ـ الاكثر فقرا وعوزا ، ليس سوى نقطة لمظاهر عديدة من التخلف ، فالاستغلال المركب للاسرة والمرأة يفضي الى نتائج متخبطة ، منها اندفاعهم الى محاولات ساذجة للخروج من هذا الضنك والحرمان بالمزيد من الانجاب ، فانجاب الاطفال لدى غالبية هذه الاسر في تلك البلدان هو السلاح الوحيد للحلم بحياة أفضل في المستقبل ، وربما لضمان شيخوخة تغني عن الحاجة للاخرين .

ولكن هذا الحل الذي يبدو « منطقيا » للبعض يضاعف المشكلة ، فتصبح مشكلة الاطفال وبالتالي الشباب خاصة في المدن الكثيفة مشكلة مركبة ، ويهرب الازواج كما أسلفنا ملقين بالعبء كله على النساء ، ومع ذلك مازال مؤشر الانجاب هو الحل الأقرب الى اقتناع الغالبية ، ولقد ثبت أن الحل ـ الانجاب الكثير ـ استعصى حتى على البرامج الدولية لتحديد النسل ، مع انها أنفقت عليها بلايين الدولارات في الدول المكتظة بالسكان ، فرغم هذه البلايين التي أنفقت في سبيل ضبط النسل ، وفي تعبير آخر تحديده ، فإنها لم تؤت ثمارها المرجوة .

وهكذا فان الفقر والجوع والموت وهروب الرجال مع الأمية الطاغية ، كل هذا لم يقنع الكثير من نساء العالم الثالث الفقيرات بأهمية تلك البرامج مع أنهن يشاهدن الموت بأم أعينهن يحصد من أولادهن الكثير حصدا بلا هواده . .
ولعل من الظواهر البشرية الملفتة للنظر تلك المعادلة الملموسة من خلال الاحصائيات في العالم ، والتي تؤكد على انخفاض نسبة الولادة من السكان كلما ارتفع الدخل ، مع صحة العكس ، والاحصاءات الدولية تقرر لنا ذلك بوضوح ، فهي تشير الى أن متوسط الولادات لكل ألف من السكان ترتفع لتصل الى (٤٦) مولودا في المناطق التي لا يتعدى متوسط الدخل السنوي للفرد فيها ١٥٠ دولارا تقريبا ، وتنحسر هذه النسبة لتصل الى ١٦ مولودا لكل ألف من السكان في البلدان المصنفة ـ بلدان الشمال ـ حيث يزيد متوسط الدخل السنوي للفرد الواحد فيها على ٦٠٠ دولار تقريبا !!
واذا كان لتلك الاحصائيات معنى . . فهو يعني أن تكاثر السكان في البلدان الفقيرة يرتبط علاجه ارتباطا وثيقا بارتفاع الدخل ، أي يعني في جملة ما يعنيه وظائف ملائمة ورعاية أفضل للنساء .
ولا ننسى أن كثرة الولادة والارضاع في مجتمعات فقيرة تفتقد الحد الادنى من الرعاية ماهي الا مراهنة تدفع فيها المرأة الثمن باهظا ، وكثيرا ما تكلفها ببساطة شديدة حياتها ذاتها . .





أقطار كثيرة من العالم الثالث ، لا يجدن الوقت الكافي لعملية الارضاع الطبيعية ، رغم تأكيد الطب ـ للفئات الواعية ـ أن ليس هناك ما يعوض الطفل عن حليب أمه !

والاحصائيات الدولية المتوافرة تقول لنا شيئا آخر بجانب ذلك ، فهي تشير الى أن نسبة الوفيات بين الأطفال المحرومين من حليب الأم ترتفع في بلدان مثل تشيلي والهند وبلدان امريكا الجنوبية ، في حين أن وفيات الاطفال تنخفض بين أطفال الامهات اللواتي يجدن وقتا للارضاع الطبيعي في تلك البلدان .

ولعل ضغط الفقر والجفاف والسياسات غير الرشيدة كلها تتكالب على الامهات في اقطار العالم الثالث ليكون أول ضحاياها الاطفال أنفسهم ، وتفيد احصائيات البنك الدولي ـ وهي احصائيات تقريبية ـ الى ان البلدان التي لا يتجاوز فيها متوسط الدخل السنوي للفرد مائة وخمسين دولارا ، لا تنعم بالماء النظيف ولا تتخلص من النفايات بالطرق السليمة ، ماعدا استثناءات قليلة وخصوصا عند الموسرين من بين السكان ، وهناك ١٨٪ من سكان بعض مدن الهند يحصلون على ماء نقي للشرب والاغتسال و ١٣٪ من السكان في زائير مثلا لديهم هذا الامتياز و ١٪ من السكان في اثيوبيا ! وذلك على سبيل التذكير والمثال لا الحصر .



☐ فكيف يكون وضع المرأة في مجتمعات فقيرة كالتي أشرنا اليها ؟

ان الرجل في معظم هذه المجتمعات ينسلخ عن العمل عند عودته الى البيت من الحقل أو من أي عمل آخر يقوم به ، بينما المرأة في غالب أرياف العالم الثالث ومدنه يتواصل عملها الاضافي الشاق عند العودة الى المنزل كالتنظيف ، وربما جلب المواد الغذائية بجانب عملية الطبخ نفسها ، وأعمال أخرى تضطر الى انجازها قبل أن تأوى متهالكة الى فراشها استعدادا ليوم عمل جديد .

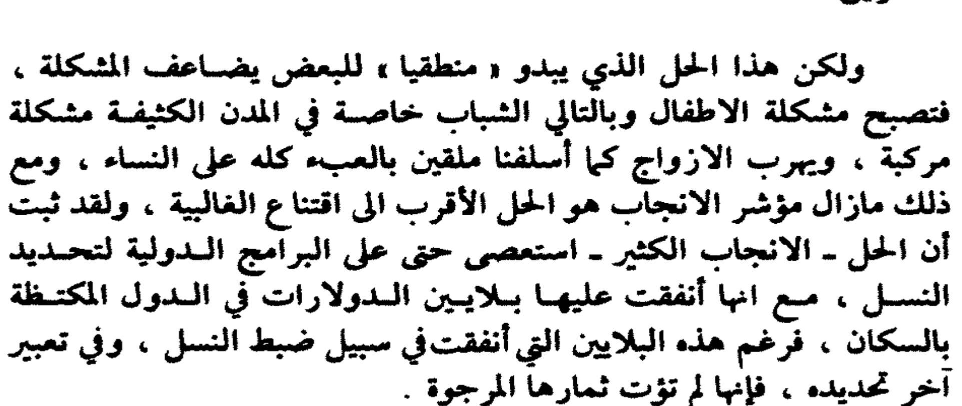
هذه الاوضاع تنعكس سلبيا على الروابط الاسرية في مجتمعات العالم الثالث وعلى تنشئة الأبناء ، ففي كثير من دول العالم الثالث يفتقد حضور الرجل ـ للاسباب التي ذكرناها ـ مع الاسرة ، وتبقى النساء . فقد جاء في احدى الاحصائيات العالمية أيضا أن ٤٠٪ من الاسر في امريكا اللاتينية تنهض فيها المرأة بمسؤولية رب الاسرة ، هذا في المتوسط ، وفي بعض البلدان مثل تشيلي تزيد نسبة الأمهات المهجورات على ذلك ، والبعض منهن لا يتجاوز سنهن الرابعة عشرة فقط .

ويكشف تقرير آخر عن أن مشكلة البرازيل انما تكمن في أطفالها وأن الأطفال المشردين الملقين للعوز والجوع والمرض تفوق كل تصور ، وأن



أربعة الى خمسة ملايين منهم انتفخت بطونهم بسبب الجوع .

وهكذا فان وضع المرأة في دول العالم الثالث ـ دول الجنوب ـ الاكثر فقرا وعوزا ، ليس سوى نقطة لمظاهر عديدة من التخلف ، فالاستغلال المركب للاسرة والمرأة يفضي الى نتائج متخبطة ، منها اندفاعهم الى محاولات ساذجة للخروج من هذا الضنك والحرمان بالمزيد من الانجاب ، فانجاب الاطفال لدى غالبية هذه الاسر في تلك البلدان هو السلاح الوحيد للحلم بحياة أفضل في المستقبل ، وربما لضمان شيخوخة تغني عن الحاجة للاخرين .



ولكن هذا الحل الذي يبدو « منطقيا » للبعض يضاعف المشكلة ، فتصبح مشكلة الاطفال وبالتالي الشباب خاصة في المدن الكثيفة مشكلة مركبة ، ويهرب الازواج كما أسلفنا ملقين بالعبء كله على النساء ، ومع ذلك مازال مؤشر الانجاب هو الحل الأقرب الى اقتناع الغالبية ، ولقد ثبت أن الحل ـ الانجاب الكثير ـ استعصى حتى على البرامج الدولية لتحديد النسل ، مع انها أنفقت عليها بلايين الدولارات في الدول المكتظة بالسكان ، فرغم هذه البلايين التي أنفقت في سبيل ضبط النسل ، وفي تعبير آخر تحديده ، فإنها لم تؤت ثمارها المرجوة .

وهكذا فان الفقر والجوع والموت وهروب الرجال مع الأمية الطاغية ، كل هذا لم يقنع الكثير من نساء العالم الثالث الفقيرات بأهمية تلك البرامج مع أنهن يشاهدن الموت بأم أعينهن يحصد من أولادهن الكثير حصدا بلا هواده . .

ولعل من الظواهر البشرية الملفتة للنظر تلك المعادلة الملموسة من خلال الاحصائيات في العالم ، والتي تؤكد على انخفاض نسبة الولادة من السكان كلما ارتفع الدخل ، مع صحة العكس ، والاحصاءات الدولية تقرر لنا ذلك بوضوح ، فهي تشير الى أن متوسط الولادات لكل ألف من السكان ترتفع لتصل الى (٤٦) مولودا في المناطق التي لا يتعدى متوسط الدخل السنوي للفرد فيها ١٥٠ دولارا تقريبا ، وتنحسر هذه النسبة لتصل الى ١٦ مولودا لكل ألف من السكان في البلدان المصنفة ـ بلدان الشمال ـ حيث يزيد متوسط الدخل السنوي للفرد الواحد فيها على ٦٠٠ دولار تقريبا !!

واذا كان لتلك الاحصائيات معنى . . فهو يعني أن تكاثر السكان في البلدان الفقيرة يرتبط علاجه ارتباطا وثيقا بارتفاع الدخل ، أي يعني في جملة ما يعنيه وظائف ملائمة ورعاية أفضل للنساء .

ولا ننسى أن كثرة الولادة والارضاع في مجتمعات فقيرة تفتقد الحد الادنى من الرعاية ماهي الا مراهنة تدفع فيها المرأة الثمن باهظا ، وكثيرا ما تكلفها ببساطة شديدة حياتها ذاتها . .

والمــرأة
العــربيــة

□ مضى على اصدار كتاب « تحرير المرأة المسلمة » للمرحوم قاسم أمين حوالي خمسة وثمانين عاما ، في هذا الكتاب والكتب العربية الكثيرة التي لحقته ، حظيت قضية المرأة العربية بمناقشات واسعة وآراء مختلفة ، وتباعدت كثيرا أو قليلا للاجابة عن سؤال يتعلق بدور المرأة العربية في هذا العصر ، وخصوصا وأن القرن العشرين قد بدأ يعد آخر سنوات عمره .

اسئلة كثيرة أطلقت ومازالت تطلق حول قضية المرأة العربية ، فهي بجانب مشاركتها لاختها في أقطار العالم الثالث في بعض الظواهر والمشاكل ، إلا أن لها خصوصية حضارية واجتماعية من الصعب إنهاء المناقشة حولها دون معرفة الموقف التاريخي أو اللحظة التاريخية التي تمر بها كأمة .

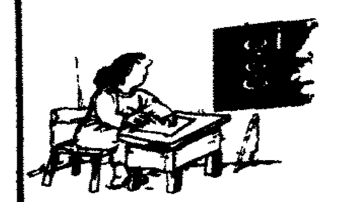
أنا من المؤمنين ـ مع كثيرين غيري في هذا الموضوع ـ بأن قضية المرأة العربية ليست قضية خاصة بالمرأة فقط ، فهي في حقيقتها قضية مجتمع ، وقضايا المرأة العربية ـ رغم تقاربها وتشابهها في كل الأقطار العربية ـ الا أن بعضها له خصوصية قطرية لا يسعنا إنكارها . ولكن الخلاف ليس في كل ذلك . ليس الخلاف على أن نصف سكان الوطن العربي تقريبا نساء ، أو كما تقول الاحصائيات مرة أخرى انه يوجد في الوطن العربي من ٨٥ الى ٩٠ مليون امرأة هذا العام (١٩٨٥) ـ وسيزداد هذا الرقم ، كما تقول لنا الاحصائيات المتوقعة ـ الى حوالي ١٤٠ مليون امرأة في سنة ٢٠٠٠ أي بعد خمس عشرة سنة من الان .

ولكن الخلاف في تجاهل البعض هذا الرقم الكبير نسبيا وتجاهل حقيقة أن المرأة هي أيضا انسان له حقوق وعليه واجبات . وقد يقول قائل ـ كما يشار في كتيبات الدعاية أو يطرح من على المنصات وفي الاحتفالات النسائية ـ ان المرأة العربية عملت سفيرة ووزيرة واستاذة جامعة وطبيبة وشرطية . . الخ ، وأقول للقائلين بذلك : نعم . . ان ذلك صحيح . ولكن مرة أخرى أريد أن اتحدث عن غالبية النساء في ريفنا العربي ومدننا المكتظة وقرانا النائية وصحارينا الواسعة .

المرأة هناك مازال أمامها شوط كبير لتصل الى تحقيق انسانيتها ، ليس بالقوانين المكتوبة والمفروضة ، ولكن من خلال الممارسة الممكنة والواقع الملموس المحسوس .

القضية ليست في تعليم المرأة العربية فقط ، مع أن الأرقام المتوافرة لدينا في هذا الصدد تثير الحزن ، فتفشي الأمية بين النساء العربيات يصل في متوسطه الى ٧٠٪ لمن هن فوق الخامسة عشرة ، ويجب التذكير أن هذا الرقم هو رقم متوسط يتوارى خلفه كل ما تخبئه الارقام المتوسطة !

فنسبة الأمية بين النساء تتراوح في الاقطار العربية بين حدها الادنى ٣٥٪ الى حدها الاقصى حوالي ٩٥٪ ، وتقع كفة الحد الاقصى في موضع الرجحان .



يتجاذب قضية تعليم الفتاة في مجتمعنا العربي طرفان متناقضان ،

هناك من يملكن قابليـة التعليم ويقبلن عليه ، ولكن لا يجـدن مقعدا في التعليم الابتدائي .

وذلك ناتج عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذا القطر العربي أو ذاك ، أما الجانب النقيض الاخر فيتمثل في بروز عوائق اجتماعية أساسها ضعف الوعي ، وتفشي الجهل ، حتى لنكاد نسمع من خلالها ذلك القول العجيب :

« ليس لدينا فتيـات يذهبن الى المـدارس » ! بكل مـا تعنيه هـذه العبارة وتنطوي عليه من غثاثة اجتماعية مؤسفة .

ومن المبكيات المضحكات أن محصلة طرفي الجذب في تعليم البنات في مجتمعنا العربي بين قادر محجم ، ومعوز مقبل ، محصلة ذلك أحد التقارير التي ذكرت أن اسهام المرأة في مجمل قوة العمل العربية ، اسهام هامشي اذ يتراوح بين ١٠٪ و ١١٪ من كامل قوة العمل العربية* في الوقت الذي تسهم فيه المرأة في الاتحاد السوفيتي واوربا الشرقية بـ ٤٥٪ من قوة العمـل وفي جنوب شرق آسيا وافريقيا السوداء بـ ٣٣٪ ، وأخيرا في أمريكا اللاتينيـة ٢٥٪ من قوة العمل .

أي أن قوة العمل النسائية العربية لا تكاد تصل الى نصف قوة العمل في أمريكا اللاتينية على الرغم مما فيها من تخلف !

وهذا يؤكد القول بأننا نقترف إثم تعطيل قوة حقيقية ونغل أيديها عن العمل والانتاج . .

وصحـة المـرأة العـربيـة

☐ اذا كان تعليم المرأة واسهامها في قوة العمل قضية لها أبعاد اجتماعية بجانب أبعادها الاخرى ، فماذا عن صحة الام العربية ؟

اذا كان بعضنا يفخر بالانجازات الصحية وبناء المستشفيات في المدن العربية ، فهو يرى ربع الصورة على أقل تقدير ، والصورة الحقيقية طبقا للاحصاءات العالمية تقول : ان معدل وفيات الاطفال الرضع يصل الى ١٥ في الألف في المتوسط في دول الشمال (الدول الصناعية) ، ويصل الى حوالي ٤٥ في الألف في الدول المتوسطة الدخل ، أما في معظم الأقطار العربية فهو يتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ لكل ألف من الولادات . صحيح أن هذه النسبة تقل كثيرا حتى تصل الى حوالي ٤٠ لكل ألف في بعض الأقطار العربية ، ولكن الثابت أن المتوسط العام يشير الى خطورة الوضع الصحي للام العربية في الارياف والمدن المكتظة والاقطار العربية الفقيرة ، وهي نسبة لا تدعو الى الابتسام ، إلا اذا كان ذلك من باب الرثاء أو القلق .

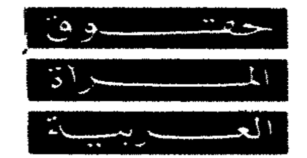
وتشارك أغلب النساء العربيات أخواتهن في العالم الثالث في موضوع




* لقد اختلفت النسبة قليلا بين باحثين عربيين هما د. خضر زكريا (جامعة دمشق) و د. مارلين نصر (لبنان) ، ورغم أن الأخيرة تحدد دراستها بالمشرق العربي ، الا أن متوسط الاحصائيات متقارب .

المستوى الصحي وخصوصا في قصور الخدمات العامة كالمياه الصحية ، والصرف الصحي والتخلص من الفضلات ، أي في قضية ما تعارفنا عليه « بالصحة البيئية » ويتضح ذلك أكثر ما يتضح في البيئات الريفية وأحياء المدن الفقيرة ، ولعل من التناقض القول أنه بجانب المشكلات الصحية السلبية لنسبة كبيرة من النساء العربيات ، فان هناك مشكلة صحية أخرى للاقلية من بين النساء العربيات تتمثل في السمنة وثقل الاوزان . فقلة الحركة والافراط في تناول أصناف الطعام تؤدي الى السمنة المفرطة وأمراض الغدد وغيرها مما يعتبر من أمراض الحضارة الحديثة ، وتزداد خطورة هذه الأمراض إذا صادفت قصورا في الوعي الصحي .

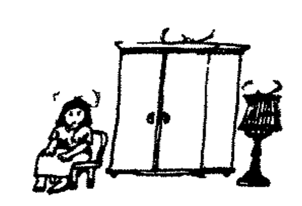
في الحالتين ـ حالة الأغلبية وحالة الأقلية ـ يؤثر الوضع الصحي المتدهور على مستوى عطاء المرأة وعلى أطفالها وتنشئتهم ، بل حتى على متوسط عمر الفرد في الاسرة والبيئة جميعها . وتتشابه أوضاع أغلبية النساء في المنطقة العربية بأوضاع النساء في بقية بلدان العالم الثالث من حيث تبعيتها للرجل ، فهي مرتهنة لارادته ان كانت ابنة أو زوجة أو أما ، وسواء أكانت حبيسة في المنزل تفرغ جهدها في الغسل والكنس والطبخ وتعني بالاطفال ، أم تكسب أجرا من عمل في الخارج . فالمفروض عليها أن تخدم كل أفراد العائلة وترغمها أوضاعها العامة على الانصياع للرجل .



☐ لا يجري الحديث عن حقوق المرأة بمعزل عن حقوق الرجل ، ولا يستقيم الحديث في الجزء الأخير إلا بفهم واضح للمحصلة التاريخية بتراكمها الحضاري والثقافي .

ولقد أفاض الكتاب العرب في تناولاتهم لموضوع حقوق المرأة ، فبعضهم انحاز الى الممارسات الغربية ، ومنهم من اتجه الى بطون كتب التراث العربية يتمثلها ويتأسى بما فيها ، كل يريد أن يدلل على صحة مقولته سلبا أو ايجابا ، ومنهم من تجاوز كل ذلك بالحديث عن الانسان العربي وحيثيات وضعه في المجتمع ، فحيثما يوجد تخلف اجتماعي ، وقهر انساني في مجتمع ما ، فان مصاب المرأة فيه أفدح من مصاب الرجل بكثير ، ومشكلات حقوق المرأة العربية كلها داخلة في نطاق العسر والتعقيد والتشتت ، فهي مطروحة من جانب على أنها استلاب لحقوق ، واعتداء على انسانية الانسان من خلال رفض الاعتراف بها ككيان آخر كامل ومنفصل عن الرجل وقائم بذاته . مما يفضي الى التعامل مع المرأة العربية كشيء أو جزء من اثاث البيت . وهي مطروحة من جانب آخر حسب صيغة ما لها من حقوق وما عليها من واجبات في المبادىء والنصوص ، وبين ماهو مطبق في دنيا الممارسة والواقع ، وفي هذا الاطار الاخير تبرز المشكلة في أصعب صورها المعقدة .

فالحقوق المعروفة والمتفق عليها مبدئيا للمرأة كثيرة ، سواء كانت شرعية أو موروثة أو قانونية مستحدثة ، لكن المشكلة تتعلق في تحويل هذا



الحق في المبدأ الى حق في الممارسة . كالحق في التعليم والعمل والتجارة واختيار الزوج والسفر ، وتصعيدا الى حقها في ممارسة الحقوق السياسية .

وفي إطار البحث عن نظرة أعمق للاطار الحضاري الذي ينظر فيه العربي للمرأة ، يحدثنا أحد الاجتماعيين العرب* في إطار تفسير اجتماعي لغوي للمرأة فيقول :

(ان كلمة امرأة في اللغة مشتقة من فعل « مرأ » أي طعم ، وهنا تواجهنا صلة المرأة بالطعام والتذوق ، ويقال مرأ فلان مرءا أي صار كالمرأة هيأة وحديثا ، وتجمع المرأة على غير اشتقاقها فيقال : نساء ونسوة ، وتعرف المرأة بأنها مؤنث الرجل ، والنساء تعني « المناكح » ، وهنا تواجهنا صلة المرأة بالتزاوج . واذا تناولنا أصل النساء ، وجدناه مشتقا من فعل نسا ، ينسو ، ومعناه ترك العمل ، وكأن المرأة تعني البطالة .

وترتبط المرأة بعدة أفعال رئيسة أولها فعل « حرم » ويعني « منع » والحرم هو (النساء لرجل واحد) ، والحريم يعني النساء اي ما حرم ولم يلمس ، وكلمة حرامي مشتقة من هذا الفعل وهو يعني فاعل الحرام) .

وكل ما يعنينا التقاطه من هذا السياق أنه قبل أن نضع خطوطا عريضة واقتراحات جادة لاندماج المرأة في مجتمعنا العربي واشراكها في خطط التنمية وتقرير المقولات والشعارات التي نرددها ونرفعها ، يجب علينا أن ننظر في أنفسنا بدءا باللغة التي نستعملها صياغة لأفكارنا ، فاللغة في ظواهر تفسيراتها تقدم لنا المرأة على أنها وسيلة إشباع متعدد الاغراض ، فهي أقرب الى الشيء منها الى الانسان .

وعلى الرغم من أن هذه المقولة تبدو متطرفة متحاملة على اللغة ، إلا أن فيها شيئا من النقد الذي يستلفت النظر ، ويستطيع به بعض الخبثاء الاذكياء أن يفسروا المواقف « الرجالية » من المرأة العربية .

تهميش المرأة العربية

□ من المظاهر المتناقضة في ثقافتنا العربية ـ والتي تحتاج الى دراسة وتمحيص ـ موقفنا من الاسرة ، والتي تمثل المرأة ركنا « مهما » فيها ، هذا الموقف الذي يضفي على الاسرة هالة من القداسة والاصالة والاهمية ، في الوقت الذي ينظر للمرأة كانسان آخر على أنه هامش غير ذي بال ، خلق لخدمة الرجل وإشباع حاجاته فقط . بالاضافة الى أن أمثالنا وقصصنا الشعبية زاخرة بالتوكيد على أن كل ماله علاقة بالنساء من قريب أو بعيد لابد أن ينطوي على شر .

لقد اعتبرت المجتمعات البدائية أن المرأة شر بطبيعتها ، لأنها مختلفة بيولوجيا عن الرجل ، فهي مدنسة ينبغي أن تنبذ ، وانتقلت هذه الافكار عبر الاجيال والتقاليد حتى كادت تصبح طبيعة ثانية للمرأة بجانب طبيعتها

---

* الدكتور خليل أحمد خليل



الانسانية . وربما استسلمت بعض النساء من قبيل الضعف الى هذه « الطبيعة الثانية » .

فمن المتعارف عليه أن تختزل المرأة ـ كما يقول عالم الاجتماع العربي د. مصطفى حجازي ـ ايجابا أو سلبا ، الى احدى صفات المرأة أو خصائصها أو وظائفها . وهنا يكمن سر تهميش المرأة العربية ، فهناك تجاهل تام للكيان الكلي الانساني لها ، ويحدث هذا الاختزال ايجابا أو سلبا في مبالغة بتكريم ، أو غمط بتحقير . وأشهر أشكال الاختزال يأخذ طابع الأحكام الجاهزة ، فالمرأة قاصر وعورة وفتنة يجب أن ترشد وتستر وتراقب !

أما الصورة المبالغ فيها أو النقيضة ، فهي صورة المرأة الام وما تبثه في أطفالها مما يستوجب الطاعة العمياء ، ومن هذا الموقع تتسلل الام الى أن تغرس في أبنائها قيم الحفاظ على الوضع الراهن واحترامه ،ومقاومة التغيير ورفضه .

ومن هذه المؤشرات والعوامل التي تدفع المرأة العربية دفعا الى التهميش والانعزال في المشاركة ، تخلفها عن التعلم أو ضآلة حظها منه ، ومحدودية دورها في العمل ، وتدهور أوضاعها الصحية مع سيادة قيم وعلاقات اجتماعية معوقة ، كل ذلك دفع بالمرأة العربية الى قبول «الطبيعة الثانية » كما أسلفنا ، والنتيجة أن المرأة العربية شكلت نصف المجتمع العربي المعطل ، ونظر اليها المجتمع أيضا تلك النظرة التقليدية القاصرة ، فالنصوص الدستورية في معظم الاقطار العربية تؤكد على دور المرأة كأم ، وعضو في اسرة لا ككيان قائم بذاته له حقوقه السياسية والاقتصادية ، وحتى لو أقرت النصوص الدستورية أو القانونية بهذا الكيان المستقل فأن التطبيق العملي ينأى عن هذا الاقرار ولا يأبه به .

وبعد . . .

فعلينا ـ ونحن نخوض أشرس معارك البقاء في تاريخنا العربي الحديث ـ أن نعترف بأن المرأة معطلة وأن قضيتها لا تقتصر على المساواة القانونية ـ أي ازالة التمايز القائم بحكم القانون ـ كما لا تقتصر على قضية التعليم والعمل ، بل تتجاوز ذلك الى المساواة في الحقوق والمسؤوليات ، وفرض مشاركتها في التنمية باعتبارها عنصرا ايجابيا وفعالا ، وباعتبارها ركنا يستند اليه استنادا كاملا في معاركنا القومية .

في هذا الاطار يجب أن تنشط قياداتنا النسوية وغيرها من قيادات الفكر والمجتمع ، فالمهمة كبيرة والعبء ثقيل والطريق طويل . . طويل .

ودون جدية ومواجهة واعية للمسئولية . . فان الأمر سيبقى على ماهو عليه ، ان لم ينتكس الى الاسوأ ، وحينذاك لا يجدي تساؤلنا : اين النساء . . ؟

وربما نعود الى تفقد أنفسنا ونعلو بصيحتنا : وأين الرجال أيضا . . ؟



أقوال


محمود درويش


ريغان


أوسكار وايلد

□ « من تخادعت له فنال منك مأربه فقد خدعك » .

ـ معاوية بن أبي سفيان

□ « قد يتخذ مطلب التنمية شكل قضية قطرية خاصة ، الا أن المفهوم الأمثل للتنمية يحتم على كل قطر عربي التكامل والاندماج مع الأقطار الأخرى » .

ـ د. علي خليفة الكواري

□ « هل عرف شعب آخر غير الشعب الفلسطيني هذا العدد من الهجرات ؟ هذا الكم من المنافي ؟ وهذه الأعداد من المذابح ؟ دون أن يكافأ بوطن . . اعني وطنه ؟ ودون أن يحظى باعتراف أو بوعد ما من بلفور جديد ؟ » .

ـ محمود درويش

□ « إن غير اليهود يقتلون غير اليهود ، فما ذنب اليهود ؟ » .

ـ بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق

□ « ليس هناك أية تدابير مضادة فعالة ضد من يختار الموت . . » .

ـ الرئيس الأمريكي ريغان

□ « الشعر الذي يكتب بتعاط مجاني مع الحياة ربما يبهر لفترة قصيرة ، لكنه ليس الحداثة ، حينما نقول : شاعر حديث مجدد ، نقصد أن لديه موقفاً جديداً كاملاً من الحياة » .

ـ مظفر النواب

□ « الكاتب كشهرزاد يبتكر كل يوم قصة كي يؤجل موته ليلة أخرى » .

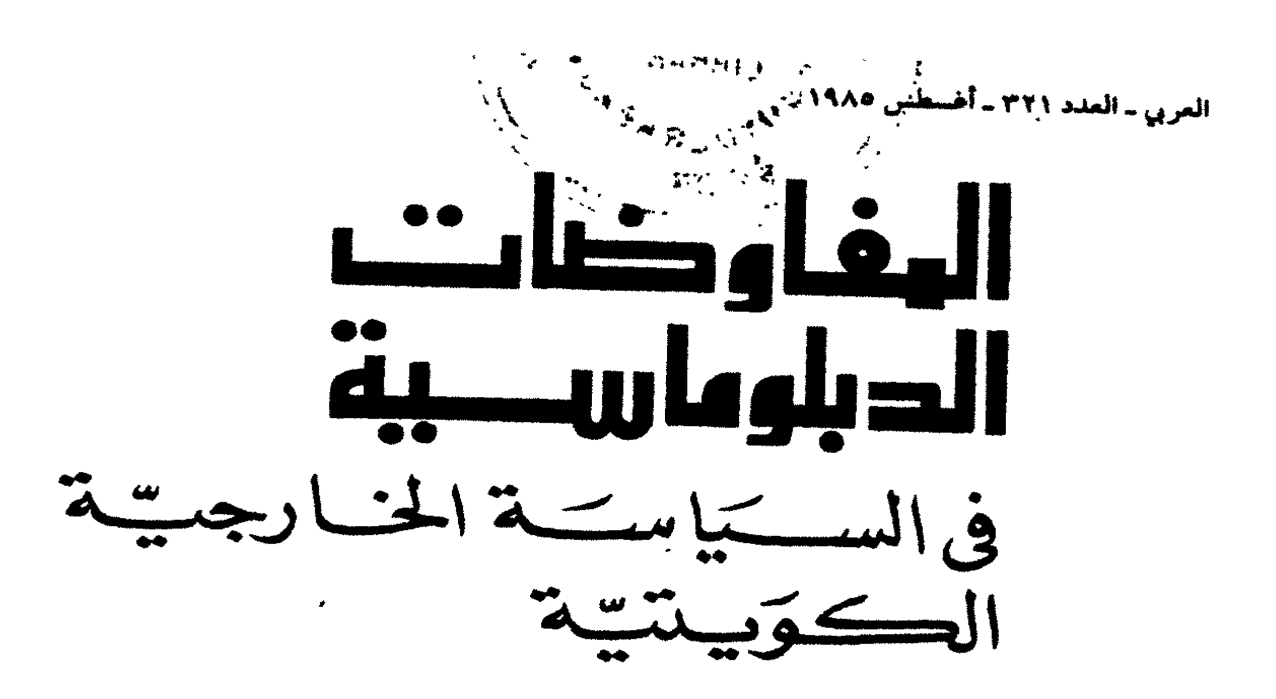
ـ كارلوس فوينتس (كاتب مكسيكي)

□ « الفرق بين النزوة العابرة والحب الى الأبد . . ان النزوة تدوم أكثر!» .

ـ أوسكار وايلد

□ « طالما كنا نعيش ، فان هناك أبداً وقتاً لنسأل ، لنبحث ، ولنكتشف ، واذا كنا ضللنا الطريق مرة ، وأخرى ، وثالثة ، فلا بد أن نجد في يوم من الأيام ممراً يقودنا نحو الحقيقة . . نحو الصدق » .

ـ الكاتبة بديعة أمين



بقلم : سليمان ماجد الشاهين *

المفاوضات لها تعريفاتها العملية وتعبيراتها الأكاديمية كما أن لها شكلها المطلق وميادينها المتعددة .. وتجاوزا لكل ذلك وتحديدا للموضوع ... يتحدث الكاتب - وهو وكيل وزارة الخارجية الكويتية - في هذا المقال عن المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية للكويت ، والعوامل التى جعلت مبدأ التفاوض ركنا أساسيا في سياستها،وطريقا أفضل تنتهجه حلا لقضاياها أو مشاركة في حل قضايا الآخرين .

المفاوضات الدبلوماسية هي الوجه الآخر للحرب أو هي إحدى المعارك السلمية التى يشكّل بعضها طبيعة العلاقات بين دولتين أو أكثر في مرحلة من المراحل ، وحيال موضوع محدد ، ولفترة زمنية تطول أو تقصر،وبحسب أهمية موضوع تلك المفاوضات . ولقد أصبحت هذه الظاهرة سمة العصر بالنسبة للدول الاكثر تحضرا ، ولئن كان دورها محدوداً في حضارات العالم الاولى بسبب عزلة المجتمعات بعضها عن بعض ، غير أنها تكاد تصبح محورا أساسيا للعلاقات بين دول عالمنا الحديث .

ان المفاوضات الدبلوماسية الان تستوعب مساحات واسعة من القضايا المتشابكة بين الدول ، سياسية كانت أو اقتصادية ، انسانية أو فضائية ، الخ مئات ومئات من المواضيع والقضايا ذات الاهتمام المعين لهذه الدول أو تلك ، في هذا العالم الذى أصبح صغيرا جدا أمام هذا التحول الحضارى الكبير .

---

* وكيل وزارة الخارجية الكويتية .

ولا بأس من التطرق لبعض أشكال التفاوض كمدخل سنهتدي به عند الحديث عن المفاوضات في السياسة الخارجية للكويت ومنها

١ - طريقة المفاوضة الدبلوماسية الاعتيادية

وهي طريقة مباشرة في اجراء المفاوضات ، وأطلق عليها لفظ اعتيادية لكونها الاسلوب الاول والاقرب الذي تلجأ اليه دولتان لحل خلاف أو توطيد علاقة ، وتتم بين المبعوث الدبلوماسي والجهات المسئولة في الدولة المعتمد لديها بصورة ودية ودون اثارة اعلامية وهي تستهدف علاج القضايا ذات الطابع الخفيف ان صح التعبير ، اذ لا تستدعي اشتراك وفد أو تدخل دولة ثالثة أو لجوءاً إلى منظمات دولية أو اقليمية

٢ - المساعي الحميدة

عندما يتصاعد الخلاف بين دولتين ويتعذر اللقاء التفاوضي أو يتعثر بينهما يتعين على طرف ثالث يتمتع باحترام أو تقدير ورضا من الدولتين مناط الخلاف أن يتقدم بجهد لحل الخلاف أو اقناعهما بالعوده الى التفاوض مرة أخرى بدلا من اللجوء الى القوة

وهنا يجب أن نلاحظ أن دور الدولة القائمه بالمساعي الحميدة يقف عادة عندما يتفق طرفا النزاع على العودة الى المفاوضات ، فهي لا تشترك كطرف وانما تقوم بدور التقريب ويُترك القرار النهائي او الحكم في نتائج التفاوض الى الطرفين المتنازعين ، وليس الى الدولة الثالثة التي قامت بالمساعي الحميدة ، كما يُفترض السرية والكتمان في الدور الذي تبذله الدولة الثالثة في حالة قيامها بمثل تلك المساعي

٣ - الوساطة

ان المساعي الحميدة تتحول الى وساطة اذا تعدت النصح والمشورة الى المساهمة برضا الطرفين في المفاوضات الجارية فتدلي الدولة الثالثة بالرأي حول ما يُطرح ، وتتقدم بالمقترحات اللازمة ، ولهذا فان هناك خطاً رفيعا بين المساعي الحميدة والوساطة ، ولذا فانه يمكن القول بأن الوساطة تتميز بعدة أمور منها

١ - ان الدولة الوسيطة تقدم وساطتها بارادتها دون ان تكون مرغمة على ذلك

٢ - ان الدولة المتنازعة حرة في قبول الوساطة أو رفضها لان الوسيط ليس قاضيا يفرض الحل

٣ - نتيجة الوساطة ليست الزامية كما هو الحال في التحكيم

٤ - ان الوسيط يشترك مباشرة في المفاوضات ويسعى لتقريب وجهات النظر ويتقدم بالحلول دون اكراه

٥ - ان الوساطة تتمتع بطابع رسمي وعلني

٤ - لجان التحقيق

ان من بين الوسائل التفاوضية التي توصل اليها مجتمعنا الدولي الحديث هي تشكيل لجان دولية تتناول بالدراسة والعلاج القضايا التي تختلف عليها دولتان أو أكثر ، وقد أُقرت هذه الفكرة بشكلها القانوني في مؤتمر لاهاي لعامي ١٨٩٩ ، ١٩٠٧

وعادة ما تعمل هذه اللجان متى اتفقت عليها الاطراف في صمت ، حتى اذا ما توصلت بعد دراسه وبحث وتدقيق الى المواقف التي تعتقد صحتها تقدمت بتقديرها الى الاطراف دون أية صفة اجباريه أو قضائية ، الا ما تم الاتفاق عليه بين الاطراف في بدء تشكيل تلك اللجنة أو اللجان

٥ - التحكيم

ربما كان التحكيم من أقدم مظاهر الوسائل الهادفه الى حل الخلافات أو الاختلافات بين طرفين أو أكثر سواء أفي المجتمعات الاولى أو الحضارات المتقدمة

ويتوقف التحكيم بطبيعة الحال على ارادة الطرفين المتنازعين ، وعادة ما تكون القرارات الزامية ونهائية ولكن بلا سلطة تنفيذية يمكن أن تجبر الاطراف على الرضوخ لها

٦ - التسوية القضائية

تعتبر التسويه القضائيـة تطورا عن فكـرة التحكيم ، وتمثل محكمة العدل الدولية التي أنشئت نتيجة لقيام عصبة الامم ، حيث أُوكلت اليها مهام

محددة لفض المنازعات ، ثم تدعّم وجودها إثْر قيام الامم المتحدة حيث أصبحت واحدة من أهم مؤسسات الامم المتحدة ، ويتكون أعضاؤها من خمسة أعضاء ينتخبون لمدة تسع سنوات ويمثلون مختلف الحضارات والثقافات العالمية

وفي هذا الصدد لابد أن نشير الى أن آخر هيئة قامت على المسرح الدولي ـ وذلك ضمن اطار التفاوض ـ هي هيئة فض المنازعات المنبثقة عن المجلس الاعلى لمجلس تعاون دول الخليج العربية والتي حددت اختصاصاتها في

١ ـ البت في المنازعات بين الدول الأعضاء

٢ ـ البت في الخلافات حول تفسير أو تطبيق النظام الاساسي لمجلس التعاون

نهج السياسة الكويتية

وهكذا نكون قد تناولنا باقتضاب محكم أهم الوسائل والأجهزة التي تعالج وتخدم المفاوضات التي تستهدف حل القضايا بين دولتين أو أكثر ، بأسلوب عقلاني وحول مائدة المفاوضات بدلا من ساحات الحروب ووسائل الدمار ، ولعله مدخل مفيد يسهل علينا التعامل مع الطرح الخاص بالمفاوضات في السياسه الخارجية الكويتية

ان النهج الذي اتسمت به السياسة الكويتية في علاقاتها الخارجية وأسلوب تعاملها مع شتى القضايا ذات العلاقة المباشرة بالاشقاء والاصدقاء أو دورها في تلك القضايا التي لا تهم الكويت بشكل مباشر ، هو نتيجة طبيعية لعدة عوامل أساسية بعضها اختياري والبعض الاخر أسهمت به ظروف متعددة ، وتلك العوامل لا تختص بها الكويت وحدها بل هي أمر طبيعي يؤثر مباشرة على سلوك أية دولة في طريقة تعاملها مع الاخرين على فرص أن تكون حرة الارادة مستقلة القرار وذلك وفق المعايير الواقعية

ولعل الجغرافية والتاريخ يُعدان من أهم العوامل الاساسية في التأثير على نمط التوجهات السياسية لاية دولة أو منطقة ، والكويت في سلوكها السياسي وطريقة تعاملها مع محيطها الدولي ودورها الذي انتهجته يكاد يثبت تلك الحقيقة ، وبالتالي فإننا نكاد نلحظ بوضوح بصمات تلك العوامل على أسلوب معالجة الكويت لقضاياها المعلقة مع الاخرين وهو أسلوب التفاوض ، ولقناعتها بايجابية ذلك الاسلوب وأهميته فقد تبنته كطريقة مثلى لعلاج مشاكل الاخرين أيضا ، ولم تكتف بالوعظ أو النصح بذلك بل اسهمت بالدعوة إليه والأخذ به عبر الاجتماعات الاقليمية وخلال المنظمات القومية أو المحافل الدولية

إذن مبدأ التفاوض هو ركن أساسي في السياسة الخارجية للكويت كأداة للتعامل مع القضايا ذات العلاقات المشتركة مع طرف آخر ، ومن هنا يصبح من المفيد التطرق لاهم تلك العوامل التي وضعت الكويت أمام ذلك الاختيار كطريق أفضل تنتهجه حلا لقضاياها أو مشاركة في حل قضايا الاخرين

وتتمثل أهم تلك العوامل فيما يلي

أولا تحيط الكويت ـ المحدودة مساحة والقليلة سكانا ـ ثلاث دول تتميز بمساحات شاسعة وكثافة بشرية كبيرة اذا ما قورنت بالكويت ، وهي السعودية والعراق ثم ايران عبر الخليج العربي ، ومثل هذا الموقع وهذه المساحة والسكان كان لابد للكويت من أن تسير وفق تعادلية معينة في علاقاتها مع الاشقاء والجيران ، فهي لا يمكن أن تُستقطب لطرف على حساب طرف آخر ، كما لا يمكن أن تشعر بالطمأنينة في حالة أي تأزم بين تلك الاطراف ، ولذلك كان لزاما عليها أن تبذل أقصى الجهد في تأمين حالة من الاستقرار بين تلك الدول ، وأن تسعى دوما نحو قيام حالة طبيعية في علاقات تلك الدول بعضها مع بعض ، والكويت في حرصها على ذلك لا تحقق المصلحة القومية فقط ولكن لها مصلحة ذاتية أيضا عندما يتحقق لها ذلك

ثانيا الصحراء والبحر

لقد دفعت صحراء قلب الجزيرة العربية بموجات من الهجرات البشرية عبر تاريخها الطويل فاستقرت على حوافها ، وتطورت مجتمعاتها الى دول من بينها الكويت ، ومجتمعنا الكويتي حمل في ذاته كل صفات الصحراء ، وأورثها بطريقة أو أخرى لكل سكانه أيما كانت جذورهم ، واستوعبها المواطن الكويتي الذي تبلورت شخصيته بعد ذلك في تعامله مع البحر الذي فتح له آفاقا واسعة لاتحد من المعرفة بالنسبة لمجتمعه وبيئته المحدودة فتعامل مع كل وافد الى موانيه

يحمل كل جديد ، وعرف العالم الخارجي عبر سفنه التي جابت البحار والمحيط من حوله،واستطلع عالما جديدا أمده بتجارب وأساليب مستجدة على حياته ، ذلك المزيج من الصحراء والبحر كان له تأثير مباشر على تكوين الخصوصية الكويتية ان صح التعبير ، والخصوصية سمة طبيعية يتميز بها كل مجتمع عن الاخر ، ولكن بطبيعة الحال يتم ذلك ضمن اطار الامة الواحدة بصفاتها الأكثر شمولا واتساعا

ثالثا ان أي متتبع لتاريخ هذه البقعة المحدودة من الارض الطيبة ، يعرف بأن أولى بدايات المجتمع كانت بالتراضي والتشاور ، فاختيار الحكم وممارسة السلطة قامت على الحوار ، فلم يكن هنا اغتصاب حكم أو تغير في السلطة بل سياق متصل وتطور مستمر ضمن نظام واحد منذ نشأة الكويت الى وقتنا الراهن ، وهذه الصفة المميزة أكسبت المجتمع الكويتي مشاعر حقيقية من الاطمئنان والاستقرار والدعة والثقة المتبادلة بين نظام الحكم وبين المجتمع ، وأصبح طابع العلاقة في التوصل لحل المشاكل هو الحوار وتبادل الرأي دون عنف أو إكراه

كل تلك العوامل ساهمت مع غيرها من المؤثرات الاخرى في توجيه الشخصية الكويتية لمواجهة أي قضية تعترض الفرد أو المجتمع أو الدولة ، وعندما نشير الى ذلك لا ندّعي تفرد الكويت في تلك الصفة من بين المجتمعات أبدا وانما نقول أنه اذا ما توافرت عوامل شبيهة بشكل أو بآخر بما أوردناه لدى أي مجتمع فان طبيعة ذلك المجتمع سوف تتجه ذلك الاتجاه في علاج قضاياها وبالتالي فسوف تسلكها في تعاملها مع غيرها بل تعمم أسلوبها كلما تيسرت لها السبل في تحقيق ذلك

لماذا تأهلت الكويت للدور ؟

وبطبيعة الحال إن الاشارة للعوامل السالفة انما أريد بها الاعتراف بأهميتها كأساس لا يمكن تجاهله عند ظهور بعض المواقف التي تجعل من الكويت مفاوضا أو وسيطا ناجحا ومنها على سبيل المثال لا الحصر

- ان صدق الكويت في سلوكها وفق مواثيق المنظمات الدولية والاقليمية ومواعيدها وشروطها التي تنتمي اليها أكسبها احتراما دوليا ومكانة رفيعة أعظم بكثير من حجمها الجغرافي والسكاني
- عدم ارتهان السياسة الكويتية بأية جهة أو اتجاه جعل تحركها السياسي وفق المبادئ والمثل المعلنة تحركا حرا لاتحده قيود ولا يخضع لاية توجهات غير وطنية
- عدم تقلب السياسة الكويتية وفق الاهواء والامزجة والتقلبات السياسية التي تعصف عادة بالعالم الثالث وبناؤها على قواعد اختارتها مدعومة وطنيا ومقبولة قوميا ، أعطاها قوة ووضوحا في ابداء الرأي والإسهام في اتخاذ المواقف الانسب عند طرح اية قضية تخص الكويت أو العالم العربي أو الدولي دون أية شكوك من الاطراف الاخرى

- ان الكويت تتصرف اقليميا ودوليا وفق سياسة معلنة واضحة ، فهي لا تعلن عن سياسة وتتصرف بأخرى مغايرة ، وبعبارة أخرى ان الكويت ليست لها أهداف غير معلنة أو نوايا خفية تهدف لتحقيقها بوسائل متعددة أو مراحل مختلفة ، ومرد ذلك ليست براءة « سياسية » بقدر ما هي استجابة لعامل « الجيوبولتيك » وهذا السلوك له أثره في اشاعة الثقة والاطمئنان لدى أي طرف تتعامل معه الكويت بأي شكل من أشكال التفاوض
- ان الثقل الاقتصادي للكويت بالاضافة الى الانجازات الحضارية والثقافية التي تحققت على هذه الارض جعلت ولا شك ـ للكويت مكانة تتناسب وحجم ذلك الانجاز وبطبيعة الحال فإن الاحاطة بكيفية استثماره لصالح هدف معين أمر محقق تم اكتسابه من خلال التجارب المتعددة والمختلفة في المحافل الاقليميه والدولية

تلك بعض الأمور التي جعلت من الكويت مرشحة دائمة للقيام بدور الوسيط او المفاوض بالنسبة لمصالحها أو لمصالح الاطراف الاخرى

شخصية المفاوض أو الوسيط

وهنا نتوقف لنؤكد على حقيقة أساسية وهي أن تضافر العوامل المتعددة وتوافر كل الامكانات والمظاهر المشار اليها لا تعني شيئا اذا لم تجد لها الشخصية التي

تعث فيها الحياة وتحيلها الى « ديناميكية » تسحرها نحو هدف معين ، فالعامل البشري إذن شرط أساسي لنجاح أية محاولة تفاوضية أو مسعى حميد أو وساطة ناجحة أو فشلها ، وفي هذه الحالة يفترض أن تتوافر في الشخصية المرشحة لقيادة التفاوض أو للقيام بالوساطة صفات متعددة من بينها

ـ التمتع بالثقة الكاملة من حكومته والوعي بالصلاحيات التي يعرف متى يستفيد منها دون افراط أو تفريط

ـ القدرة على فهم الطرف الآخر والتعامل معه بكرامة محفوظة واحترام متبادل

ـ التمكن من الموضوع والاحاطة بتفاصيله كاملة

ـ الاستعداد للحوار الطويل أو الحادّ أو البطيء أو الممل دون فقد السيطرة على النفس

ـ القدرة على تقديم المقترحات والبدائل في الوقت المناسب وبعقلية لماحة وواعية لنتائجها المستقبلية

تلك بعض المقومات الاساسية التي يفترض أن تتوافر في شخصية المفاوض أو الوسيط ويتحلى بها سواء اكان بمفرده أم قائدا لفريق من المفاوضين

ومثل تلك المقومات بالطبع هي صفات مشتركة لأي مفاوض دون تحديد لجنسية أو مكان ، ولكن هناك الخصوصية التي يمتاز بها المجتمع وأفراده نتيجة لطبيعة الظروف التاريخية التي تأثر بها والتي طبعت حياته السياسية وعلى الأخص فيما يتعلق بهذا الجانب الذي نتعرض له

مثل بارز للمساعي الحميدة

على أنه من المفيد أن نستعرض حالة مساع حميدة قامت بها الكويت ثم تحولت الى وساطة أدت فيما بعد الى تحقيق نجاح تمثل في جمع الطرفين على مائدة مفاوضات مباشرة مازالت جارية حتى تتحقق جميع أهدافها فلقد سعت الكويت بخطوات حميدة بين مسقط وعدن حين تأزمت الامور بينهما ووصلت الى حد المواجهة الفعلية،واستشعارا من الكويت بواجبها كان لا بد أن تتحرك فكانت تلك البادرة التي قامت بها منفردة،وتتابعت الامور بقيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية،وتحولت القضية الى واحدة من اهتمامات المجلس،وانطلاقا من أهدافه العامة ببذل المساعي الحميدة وكافة السبل الممكنة التي بدورها تسهم في عودة العلاقات وصلات الترابط بين دول المنطقة ، ومن هذا المنطلق وبتكليف من مجلس التعاون قامت كل من دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ببذل جهود الوساطة لحل الخلاف بين كل من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسلطنة عمان ، ونتيجة للاتصالات المكثفة والمساعي التي قامت بها دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة تمت عدة اجتماعات على مستوى الخبراء وكان ذلك في شهر يوليو ١٩٨٣م بحضور وفدين من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسلطنة عمان وبحضور وفد دولة الكويت

وتم الاتفاق في أثناء تلك الاجتماعات على جدول الاعمال الذي ضم البنود الاتية

١ ـ الاتفاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وقضية الحدود

٢ ـ الوجود والقواعد العسكرية الاجنبية

٣ ـ الحملات الاعلامية

٤ ـ تبادل التمثيل الدبلوماسي

كما اتفق الطرفان على عقد اجتماعات لاحقة ، وتم بالفعل عقد اجتماعات للخبراء ما بين ٢٣ـ٢٤ أكتوبر ٨٢ في دولة الكويت توجت باجتماعات بين وفد سلطنة عمان برئاسة معالي السيد يوسف العلوي عبد الله،ووفد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية برئاسة معالي الدكتور عبد العزيز الدالي وبحضور رئيس وفد دولة الامارات العربية المتحدة سعادة عبد الرحمن الجروان ومعالي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح رئيسا للوفد الكويتي وقد عقدت عدة اجتماعات للنظر في جدول الاعمال الذي ضم البنود المشار اليها

وبروح من الصراحة التامة والمسئولية ناقش المجتمعون جميع بنود جدول الاعمال واضعين في الاعتبار الضرورة الماسة لاقامة علاقات حسن الجوار والتعاون بين الجارتين الشقيقتين وازالة جميع العوامل والمسببات المعيقة لبناء علاقات أفضل وأوثق بين الجارتين

أسس الاتفاق وقواعده

ومن منطلق الرغبة الصادقة في تدعيم أواصر العلاقات الثنائية بين الجارتين الشقيقتين فقد أكّدا على ضرورة وقف الحملات الاعلامية ، كما أكّدا على ضرورة التعاون في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية ، وتتويجا لذلك أكّدا على ايجاد علاقات طيبة تسهم في اضفاء المزيد من الاستقرار والامن في المنطقة ، وعليه فقد تم الاتفاق على الاسس والقواعد التالية

١ ـ الاتفاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وقضية الحدود حيث يلتزم البلدان باقامة علاقات طيبة فيما بينهما على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، واحترام السيادة الوطنية لكل منهما ، وحسن الجوار والتعاون بما فيه مصلحة شعبيهما وحل خلافاتهما بالطرق السلمية والودية ، وعدم السماح لاي أعمال معادية تؤدي الى زعزعة الاستقرار والامن في أي من البلدين الجارين بالانطلاق من أراضي أي منهما الى الأخرى،وفي الوقت نفسه الذي يؤكد البلدان على عدم وجود أية أطماع في أراضي أي منهما

كما اتفق البلدان على تشكيل لجنة فنية تشارك فيها كل من دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ، تعرض أمامها جميع الوثائق والمستندات لغرض الوصول الى حل نهائي لقضية الحدود بين البلدين الجارين بموجب حدود كل منهما في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧

٢ ـ الوجود والقواعد العسكرية الاجنبية ، حيث اتفق الطرفان على عدم السماح لاي قوات أجنبية باستخدام أراضي أي من البلدين للعدوان والتحرش بالبلد الثاني

٣ ـ الحملات الاعلامية ، حيث اتفق الطرفان على وقف الحملات الاعلامية من وسائل الاذاعة والتلفزيون والصحافة وكافة أنواع الدعاية والنشر الرسمية ضد أي منهما من الاخر

٤ ـ تبادل التمثيل الدبلوماسي ، حيث أكد الطرفان على ضرورة دعم العلاقات الثنائية وفتح مجالات مثمرة للتعاون ، ومن هذا المنطلق فقد اتفق على مبدأ الاعتراف السياسي ومبدأ اقامة علاقات دبلوماسية لتطوير العلاقات المستقبلية ، على أن يتفق على اعلان اقامة العلاقات عن طريق الاتصال الثنائي حيث صادق المجتمعون على النقاط الاربع المشار اليها أعلاه بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٨٢

ثم تتالت اجتماعات اللجان الفنية للحدود بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وعقدت ثلاثة اجتماعات للحدود

وتعتبر تلك الاجتماعات سلسلة لفتح الحوار الصريح لحل الخلافات بين الدولتين الشقيقتين ، وحيث اعتبر الاجتماع الاخير بمسقط نقطة تحول ايجابية بصرف النظر عن نتائجه التي تم التوصل اليها ، إذ أنه يأتي بعد فترة زمنية طويلة كانت العلاقات بين البلدين تتسم بالتردي ، ويعد هذا الاجتماع هو الاجتماع الرسمي الاول الذي يعقد في أحد البلدين على مستوى المسئولين حيث كانت الاجتماعات السابقة تعقد على التوالي في أبو ظبي والكويت كما تم مؤخرا تبادل زيارات رسمية بين مسقط وعدن تمثلت الاولى بزيارة وفد من وزارة الداخلية بعمان الى عدن ، ثم تلاه وفد فني في شئون الطيران الى مسقط ثم قام سفير الجمهورية اليمنية في أبو ظبي بزيارة رسميه الى مسقط حيث قابل وزير الخارجية العماني

كما تم الاتفاق لعقد الاجتماع الرابع بجمهورية اليمن الديمقراطيه الشعبية

وأرجو أن لا أسبق الامور حين أشير الى أن من الاهداف التي تعرفها الاطراف هو انسحابنا بهدوء في الوقت المناسب من هذه المفاوضات لنترك الطرفين الشقيقين يواجهان بعضهما بعضا بشكل طبيعي ودون وسيط ، وبذلك نكون مع الامارات قد أنجزنا المهمة بنجاح

جهود كويتية بارزة

تلك الصورة بشكل من التفصيل وهناك الكثير من الامثلة ولعل من أوضح تلك الجهود الكويتية في هذا الصدد على سبيل الاشارة لا الحصر هي

١ ـ المحادثات والاتصالات والجهود الدبلوماسية التي استهدفت قيام اتحاد لإمارات الخليج العربية

٢ ـ الإسهام في المفاوضات وجهود الوساطة

العربية بين الجانبين اللبناني والفلسطيني من أجل التوصل الى اتفاق ينظم الوجود الفلسطيني في الاراضي اللبنانية .

٣ ـ الإسهام في الاتصالات الدولية العربية من خلال اللجنة السباعية العربية المشكلة من أجل التوصل الى صيغة للحل السلمي للحرب العراقية الايرانية (قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٤٣٢٦ تاريخ ١٩٨٤/٣/٣١) .

٤ ـ الإسهام في الجهود المبذولة من أجل معالجة الازمة اللبنانية من خلال عضوية الكويت في لجنة المتابعة المشكلة من قبل مجلس الجامعة العربية لهذا الغرض .

٥ ـ الإسهام في الاتصالات الدولية من خلال لجنة المتابعة العربية المشكلة بقرار من مجلس الجامعة العربية (يونيو ١٩٨٢) من أجل فك الحصار عن بيروت وتحقيق الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

٦ ـ الإسهام في المفاوضات التى يقيمها الجانب العربي مع دول السوق الاوروبية المشتركة في نطاق الحوار العربي الاوروبي .

٧ ـ الإسهام في المفاوضات والاتصالات الرامية الى تعزيز التعاون العربي الافريقي من خلال عضوية الكويت في اللجنة المشكلة لتنظيم شئون التعاون المذكور مع منظمة الوحدة الافريقية بموجب قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٣٢٢٨ بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦ .

٨ ـ المساعي الحميدة عشية تأزم الوضع فيما كانت تسمى باكستان الشرقية وما أدت اليه الامور من قيام بنجلاديش فكانت الكويت واحداً من أهم أعضاء اللجنة التى أوفدها اجتماع منظمة المؤتمر الاسلامي لهذا الغرض .

٩ ـ ولا نستطيع ان ننسى بهذه المناسبة الدور الكبير الذى قامت به الكويت في استقلال البحرين .

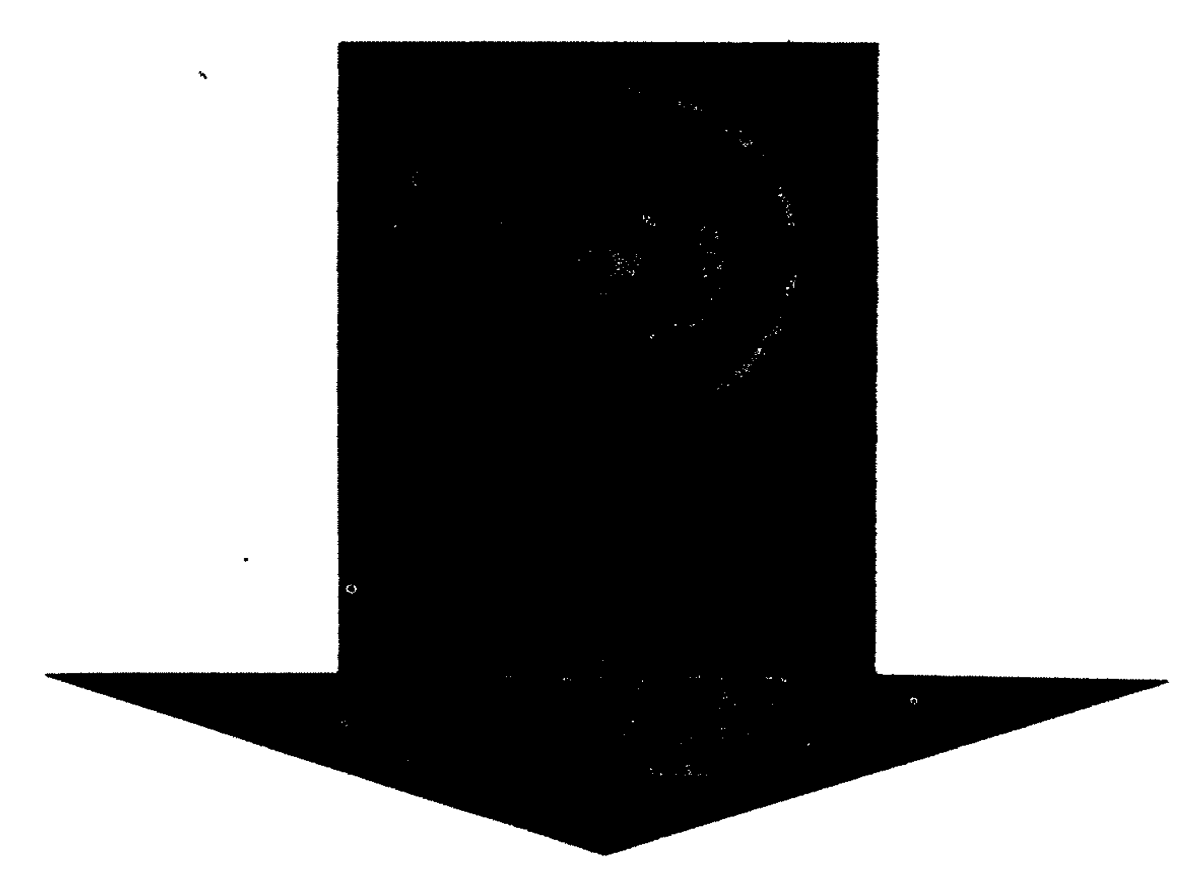
مهندس السياسة الخارجية

واستكمالا لحقائق الامور وحين نشير الى هذه الحقبة من حياة الكويت السياسية لا بد من ذكر مهندس السياسة الكويتية منذ فجر الاستقلال عام ١٩٦١ معالي الشيخ صباح الاحمد الجابر نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية عميد وزراء الخارجية العرب ، وثاني أقدم وزير خارجية في العالم بعد السيد جروميكو .

ولا مجال لي شخصياً للافاضة عن شخصية هذا الرجل في هذا المقام لاعتبارات متعددة ، ولكن من المؤكد أن المؤرخ لهذه الحقبة من الحياة الدبلوماسية للكويت ـ ودون انتقاص لأي دور آخر ـ سيجعل من هذا الرجل الوجه المشرق للسياسة الخارجية للكويت ، فما يملكه من قدرات صقلتها التجارب العملية جعلته القاسم المشترك في أي عملية وساطة أو بادرة أو مفاوضة على صعيد كل الاجتماعات السياسية في الخليج بمجلس التعاون ، أو في الجامعة العربية على الصعيد العربي ، أو في العالم الاسلامي من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي أو دولياً في حركة عدم الانحياز .

وأرجو أن أضيف شيئاً الى موضوعنا حين أورد لمحة عن كيفية تحرك هذا الرجل حيال المواقف التي لا تنتظر التريث في الرد ، فلقد قام في شهر ابريل ١٩٨١م بزيارة للاتحاد السوفيتي ، وعبر مائدة المفاوضات كان جروميكو وصحبه،ومن خلال الاجتماع كانت هناك أوقات يقتنصها المفاوض ليطرح بعض « بالونات » الاختبار ليبلغ عن موقف ، أو يكتشف هدفاً ، وإذ تقدم الشيخ صباح الأحمد بقائمة تحوي أنواعاً من الأسلحة قدرها السوفيت بانها تزيد عن حاجة الكويت ، وأمسك السيد جروميكو بالقائمة الطويلة ، وبكل جدية السوفيت ، وبعد أن أنزل نظارته فاستقرت على أرنبة أنفه ، نظر الى الشيخ صباح ليقول بهدوء ثلجي : يبدو أن رفيقنا الشيخ صباح لديه خطط لاحتلال العالم ! ! فما كان من معاليه الا أن أجاب : نعم كدولة صغيرة استطيع أن أحتل العالم ولكن بالسلام والحب وليس بالتهديد والحرب .

ولعل هذا الأسلوب يكشف بعضاً من ذات الرجل وبعضاً من أسباب نجاح الكويت في سياستها الخارجية . □



الأمم المتحدة

بعد أربعين عاماً من قيامها
وُلدت قويةً .. ثم أصابها الوهنُ في سِن النضوج !

بقلم : عبد الحميد الكاتب

في شهر اكتوبر من العام الماضي أحتفلت الأمم المتحدة ببلوغها سن الأربعين . وكان مولدها حدثاً لانها بدأت عملاقة قوية يحسب لها العالم ألفَ حساب . ثم مضت السنون ، وكبرت الهيئة الدولية ، وأصبحت تضم اليوم ١٥٩ دولة ، ولكنها أصبحت كيانا مترهلا ، لا يكاد يرتفع صوتها حتى يضيع وسط هدير مطامع الدول الكبرى ومصالحها وسياساتها . . كيف حدث هذا ؟ هذه هي القصة كما يرويها كاتب عاصر الأمم المتحدة مدة تزيد على الثلاثين عاما !

تبلغ الأمم المتحدة هذه الأيام سن الأربعين . وسن الأربعين في حياة الأفراد هي السن التي يكتمل فيها للفرد ما قدره الله له من قوة وخبرة ونضوج ، بعد انتقاله من مرحلة الشباب وهي مرحلة التجربة والاكتشاف ، وما يقترن بهذا من أخطاء أو نزوات ، وقبل أن تأتي عليه مرحلة الكهولةوما تحمل معها من قلة النشاط وقلة العمل والانتاج .

أما المنظمات الدولية فيبدو أنها تختلف عن الأفراد في هذا . فحين تولد ، تولد كبيرة قوية ، عالية الصوت مسموعة الكلمة ، وتحتفظ بقوتها وتأثيرها بضع سنين لا تتجاوز عقدا واحدا أو عقدين ، ثم يدركها الضعف والانهاك ، ولا تلبث أن تفقد نفوذها وفاعليتها ، وتتعرض لما يتعرض له الشيخ الفاني من الانصراف عنه والاستهتار بأمره . فاذا بالناس ، شعوباً وحكومات ، لا يكادون يدرون ماذا تصنع ، ولا يأبهون لما تقول .

كان هذا شأن (عصبة الأمم) . . فكان مولدها في أعقاب الحرب العالمية الاولى حدثا كبيراً على مسرح السياسة الدولية ، وكانت محوراً رئيسياً للعلاقات الدولية بضع سنوات .

فمثلا عندما غزت ايطالياالفاشستية أثيوبيا كجزء من محاولات موسوليني اقامة امبراطورية رومانية جديدة تمتد من البحر الأبيض الى البحر الأحمر ، فرضت عصبة الامم مقاطعة اقتصادية على ايطاليا ، واستجابت دول عديدة في العالم الى قرار المقاطعة ، والتزمت بتنفيذه الى حد ما ، ولكن لم تمض الا فترة وجيزة بعد هذا حتى فقدت العصبة نفوذها وتأثيرها ، فلم تستطع أن تفعل مثل هذا مع ألمانيا النازية عندما بدأت تغير على بعض المناطق المجاورةلها ،والتي كان هتلر يعدها أجزاء من ألمانيا الكبرى ، اغتصبت منها عندما هزمت في الحرب العالمية الاولى وضمت الى تشيكوسلوفاكيا وبولندة . . حتى النمسا بأكملها دخلها هتلر بجيشه وأعلن ضمها الى أرض الرايخ الالماني بينما كانت عصبة الامم تتطلع الى ما يحدث عاجزة عن أن تفعل شيئا ، وحتى هذا الموقف العاجز لم يعجب هتلر ، فأعلن انسحاب ألمانيا من عصبة الامم مستهيناً بها وبما يصدر عنها من قرارات . .

مولد الأمم المتحدة :

وكذلك الأمم المتحدة . . ولدت وسط مهرجان دولي عظيم أقيم في مدينة سان فرانسسكو ، وأطل الوليد مبشراً بأن عهد الحروب قد انتهى ، وأن عصر السلام والأمان قد أشرق على العالم ، ووضعت الأمم المجتمعة لنفسها ميثاقا مفصلاً أعلنته يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، فارتبطت به وتعاهدت عليه جميع الدول القائمة والمستقلة في ذلك الوقت ، وأقام الميثاق مجالس ولجانا وأجهزة كانت تبدو كفيلة بأن تجعل العالم يعيش آمنا مطمئنا ، ويتجه نحو أهداف واضحة من التعاون في مجالات الاقتصاد والاجتماع وحقوق الانسان . . وبعبارات بليغة تصدرت ذلك الميثاق أعلنت الأمم المتحدة فيما أعلنت :

(نحن شعوب الأمم المتحدة
(قد آلينا على أنفسنا
(أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب
(أن نؤكد ايماننا بما للأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية
أن ندفع بالرقي الاجتماعي قدما . . وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية فسيح
(أن نأخذ أنفسنا بالتسامح ، وأن نعيش في سلام وحسن جوار
(أن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعا) .

هذه فقرات من ديباجة ميثاق الأمم المتحدة التي جاءت مبشرة بعالم جديد متحرر من الخوف من الحرب ، ومتحرر من الخوف من الطغيان والاضطهاد وانتهاك حقوق الانسان ، ومتحرر من الخوف من الفقر وما يحمله في طياته من جهل ومرض ومساويء . .

ومضت الأمم المتحدة خلال السنوات الاولى من حياتها في همة وعزيمة . . تصدر القرارات فتستجيب الدول ـ حتى الكبرى منها ـ الى تنفيذ هذه القرارات ، فمثلا ، كان الاتحاد السوفيتي يحتل بجنوده منطقة أذربيجان في ايران ، فشكت ايران الى مجلس الأمن

وطلبت جلاء هذه القوات ، فأصدر المجلس قرارا يقضي بانسحاب القوات المحتلة ، واذا بالاتحاد السوفيتي يسحب هذه القوات ويجلو عن ايران . وبدا للعالم أن مجلس الأمن هو صاحب السلطة العليا في شؤون العالم ، وان كان من غير المستبعد أن الاتحاد السوفيتي سحب قواته من ايران لامور تتعلق باستراتيجيته الدولية .

قضية فلسطين :

ومثل آخر ، ولو أنه مثل سيء ، وهو القاء بريطانيا بمشكلة فلسطين في حجر الامم المتحدة . . فقد جاءت بريطانيا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة تقول انها لا تدري ماذا تفعل في فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني ، وانها قررت أن تنهي انتدابها وتسحب قواتها من فلسطين ، وعلى الأمم المتحدة أن تبحث ماذا تستطيع أن تفعل هناك . .

وتداولت الجمعية العامة في الأمر مليا وأصدرت قرارها ، وكان قرارا خاطئا أشد الخطأ ، ظالما الى أقصى حدود الظلم ، وكان من الواضح أنه ينطوي على نتائج وعواقب وخيمة . هذا هو قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . . ورغم الخطأ والظلم والعواقب المنتظرة فقد قال العالم : هذا ما قررته الامم المتحدة فلابد من احترام قرارها وتنفيذه . . وصار هذا هو الرأي السائد في العالم بأسره ، بما فيه العالم العربي نفسه ، فقد اعتبر قرار الأمم المتحدة أساسا (قانونيا) يستند اليه قيام دولة يهودية كما سماها القرار - فوق أرض فلسطين . . وتجسد هذا الرأي العربي الرسمي عندما وافقت الدول العربية التي شاركت في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ على قرار المؤتمر بأن تحل مشكلة فلسطين على أساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة بما فيها قرار التقسيم طبعاً !

ومثل ثالث على قوة الأمم المتحدة ونفوذها في تلك المرحلة الاولى من حياتها وهي قضية ليبيا ومصيرها ، وقد جاءت الى الأمم المتحدة مثلما جاءت قضيتا أريتيريا والصومال لأنها كانت مستعمرات ايطالية سابقة ، وقد هزمت ايطاليا في الحرب وجردت من مستعمراتها . . . . فماذا ترى الامم المتحدة وماذا تقرر ؟

وكانت بريطانيا حتى بداية الخمسينيات من هذا القرن ما تزال تعيش بعقلية الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وقد زادها انتصارها في الحرب العالمية الثانية وهما بأنها لا تزال قادرة على التوسع والاستعمار ، فاقترحت في الأمم المتحدة أن تقتسم ليبيا مع ايطاليا وفرنسا ، فتأخذ بريطانيا منطقة برقة ، وتأخذ ايطاليا منطقة طرابلس ، وتأخذ فرنسا منطقة فزان المجاورة لتونس . !

وهنا أظهرت الأمم المتحدة قوتها مرة أخرى ، فرفضت الجمعية العامة هذا المشروع ورفضت تقسيم ليبيا ، وقررت أن تبقى ليبيا بلدا موحدا وأن تحصل على استقلالها في موعد قريب . . وفعلا تم تنفيذ قرار الامم المتحدة ، وبعد سنين صارت ليبيا دولة مستقلة وعضوا في المنظمة الدولية . وهكذا كان شأن الأمم المتحدة في بعض المشاكل الدولية في سنواتها الأولى .

العدوان الثلاثي :

وربما وصلت الأمم المتحدة الى أقصى قوتها في مرحلة الصبا ، فيما بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة من عمرها . . أي فيما بين سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٣ . ففي السنة الاولى من تلك المرحلة اجتمع مجلس الأمن فجأة ، ووضع أمامه مشروع قرار يأمر بريطانيا وفرنسا ومعهما اسرائيل أن توقف فورا عدوانها على مصر ، فأطلقت بريطانيا وفرنسا حق (الفيتو) على مشروع القرار ، فانتقل الموضوع فورا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث لا يسري فيها ذلك (الفيتو) الذي تتمتع به الدول الكبرى ، وكانت الجمعية العامة قد اكتسبت قوة كبرى بمقتضى قرار سابق صدر عند نشوب حرب كوريا ، ويعرف باسم قرار (الاتحاد من أجل السلام) . . وهو القرار الذي ابتكرته الولايات المتحدة ، والذي يعطي الجمعية العامة سلطة تقترب من سلطة مجلس الأمن . . فلا تكون سلطتها مجرد إصدار (توصية) يعمل بها أو يهمل أمرها ، بل يكون قرارها ملزما لمن يصوتون معه ، فضلا عن تأثيره المعنوي على من يعترضون على القرار .

انتقلت مشكلة العدوان الثلاثي على مصر الى الجمعية ، وتوالى على منصتها العديد من الخطباء ينددون بهذا العدوان . . واستمر ممثلو الدول المختلفة يخطبون طول المساء وشطرا من الليل . . وعند الفجر تقريبا أصدرت الجمعية العامة قرارا حاسما يقضي بوقف العدوان فورا ، وبانسحاب القوات المعتدية الى حيث جاءت . ولا شك في أن هذا القرار الذي صدر بما يشبه الاجماع ، والذي كان أشبه بمظاهرة دولية كبرى تتصدرها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا ، قد هز الرأي العام في بريطانيا هزة قوية ، وأثر أيضا الى حد ما في الرأي العام الفرنسي ، فلم تمض على صدور القرار أكثر من سحابة نهار اليوم التالي حتى أعلنت بريطانيا وفرنسا وقف القتال عند منتصف الليل ، وبدأت الدولتان تسحبان قواتهما بعد أيام قليلة ، أما اسرائيل فتلكأت في الانسحاب بضعة شهور . وخرجت الأمم المتحدة من هذه المعركة وهي أقوى ما تكون ، وبرز على المسرح الدولي أمينها العام ، داج همر شولد ، كأحد القوى الكبرى المحركة لأمور السياسية في العالم .

وتغير وجه العالم :

وفي سنة ١٩٦٣ كان يبدو أن الامم المتحدة صارت تضم العالم كله تقريبا . . فيما عدا بقايا مستعمرات بريطانية وفرنسية متناثرة في آسيا وأفريقيا وفي بعض جزر المحيطات ، وفيما عدا المستعمرات البرتغالية الكبيرة في أفريقيا ، فقد كانت البرتغال تعيش بمعزل عن العالم تحت حكم القسيس سالازار الذي يبدو أنه مات قبل أن يدرك أن وجه العالم قد تغير ، وأن عصر الاستعمار قد ولى ، وكذلك بقي خارج الامم المتحدة حتى ذلك الوقت الدولتان المهزومتان في الحرب العالمية الثانية ، ألمانيا بشطريها واليابان ، وبقيت الدول المقسمة ، ومنها كوريا وفيتنام ، شمالها وجنوبها وبقيت سويسرا ومازالت ، خارج الامم المتحدة باختيارها . . وفيما عدا هذا فيمكن أن يقال ان الامم المتحدة في أواسط الستينيات صارت تضم من الدول ما يمثل الأغلبية الكبرى من شعوب العالم وصارت تمثل العالم تمثيلا شاملا .

وقد أدى وجود عدد كبير من الدول الآسيوية والافريقية والعربية واللاتينية الى دفع الامم المتحدة دفعة قوية في مجال آخر غير مجال السياسة ، وهذا هو مجال الاقتصاد . . وعلى الأصح مجال التنمية الاقتصادية للدول النامية ، ومحاولة اكتشاف نواحي الخلل الاقتصادي الذي يقسم العالم قسمين متباعدين ، قسم من الدول الصناعية الغنية ، وقسم من الدول الاخرى الفقيرة . . فضلاً عن مجموعة أخرى من الدول ، يناهز عددها الآن ثلاثين دولة ، هي أشد بلاد العالم فقرا . . انها الفجوة الواسعة بين الشمال والجنوب . .

كان في الامم المتحدة منذ البداية برنامج متواضع جدا اسمه برنامج المعونة الفنية . . ينفق منه على استئجار بعض الخبراء الأوروبيين والامريكيين ، وأحيانا بعض الهنود والعرب ، لتقديم خبراتهم لعدد من الدول النامية ، وينفق منه أحيانا مبالغ بسيطة للمشاركة في اقامة بعض مشروعات التدريب ، فلما بدأت الدول الصغيرة والمتوسطة تأخذ مكانها في الامم المتحدة ، وتتجمع وتقوى ويرتفع صوتها من فوق المنصات العديدة في الامم المتحدة ، وأخذ العالم يستمع الى أصوات واضحة وكلمات رشيدة تصدر عن ممثلي الهند ومصر والبرازيل والمكسيك وغيرها ، تحول البرنامج الصغير لاستئجار الخبراء ، الى برنامج ضخم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . . وأخذ رأس ماله ينمو سريعا حتى بلغ وجاوز مليارا من الدولارات ، تشارك مشاركة فعالة في كثير من مشروعات التنمية في معظم البلاد النامية ، ولم تعد الخبرة حكرا على عدد محدود من الخبراء الأمريكيين والاوروبيين ، بل صارت البلاد النامية نفسها هي التي تصدر الخبراء لغيرها من البلاد النامية ، فهم أقرب الى مشاكلها وأدرى بها . .

دور الدول النامية :

ومجال آخر اقتحمته الأمم المتحدة مدفوعة بأيدي الدول النامية التي كثر عددها وأحست بمصالحها ومشاكلها المشتركة ، وهو مجال التجارة الدولية . . فدعت الى مؤتمر كبير جدا هو مؤتمر (التجارة والتنمية) الذي عقد في سنة ١٩٦٤ وكانت القوة

الدافعة في المؤتمر تتكون من رجلين من البلاد النامية . . القيسوني الذي رأس المؤتمر من مصر ، وبريبتسن ، سكرتير عام المؤتمر ، من الأرجنتين . . وبجانب كل منهما مجموعة كبيرة من الخبراء أغلبهم من الدول النامية ، وطرحت مشاكل التجارة الدولية في دراسات وبحوث مستفيضة ، وتنبه الرأي العام المستنير في البرلمانات والمحافل الدولية ، الى أن العالم لا يمكن أن يعيش آمنا مطمئنا ، بينما أسعار المواد الخام متدنية الى حد السلب والنهب ، وأسعار المواد المصنعة مرتفعة الى حد الابتزاز والاستغلال .

ولم يسفر المؤتمر عن رفع أسعار المواد الخام التي تنتجها الدول النامية ، أو خفض أسعار المواد المصنعة التي تشتريها من الدول الصناعية ، ولكن أثار المشكلة وعرضها على العالم ، وأقام جهازا دائما للمضي في تنبيه العالم الى هذا الوضع الشاذ وما ينطوي عليه من خطر ، ونبه الدول النامية الى الطرق التي يجب أن تسلكها ، ويمكن أن يقال ان تلك كانت نقطة البداية في انشاء منظمة الدول المصدرة للبترول « الأوبك » . وفي التفكير المستمر في انشاء منظمات مماثلة للدول المصدرة للقطن والبن وغيرها من منتجات الدول النامية .

وكذلك ضغطت الدول النامية في ميدان آخر هو ميدان التنمية الصناعية ، ودعت الى عقد مؤتمر ، والى اصدار قرارات ، والى انشاء منظمة دائمة ، وصارت أمور هذه المنظمات بأيدي خبراء من بلاد العالم الثالث، وقراراتها ـ ولو أنها مجرد توصيات وتوجيهات ـ تتمشى مع مصالح ومطالب دول العالم الثالث ، بل أخذت دول العالم الثالث تقتحم المجالات العلمية في الامم المتحدة ، فثروات البحار وكنوزها ، وكيف ينبغي كف أيدي الدول الصناعية القليلة عن احتكارها لنفسها ، وكيف ينبغي أن تعتبر ملكية مشتركة لشعوب العالم كلها غنيها وفقيرها .

ان الذي فتح هذا الموضوع في الامم المتحدة دولة من أصغر الدول هي مالطة . . وكان لدولة أخرى من دول العالم هي الكويت دور بارز في هذا المجال . .

ومثله موضوع (الفضاء الخارجي) . . هل هو حكر للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ؟ لا ، فان مقترحات بناءة ، ومشروعات جادة ، تتقدم بها دول من ذلك العالم الثالث . . الهند والبرازيل ومصر وغيرها من الدول النامية التي أقامت معاهد ومراكز ، تحت اشراف الامم المتحدة يفد اليها الطلاب والباحثون من بلاد عديدة للدراسة والتدريب ، ودفعت الدول النامية منظمة الامم المتحدة الى التوسع في مجالات أخرى مثل مساعدة اللاجئين ، ومساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية ، ومثل تكوين رأي عام مدرك لمشاكل تزايد السكان ووسائل تطويق هذه المشاكل المتزايدة .

ولم تكن الدول الكبيرة والغنية وهي دول العالم الأول الغربية ، ودول العالم الثاني الشرقية ، بعيدة عن هذه المجالات والميادين التي أولتها دول العالم الثالث اهتمامها الكبير ، بل كانت تلك الدول تشارك في جميع الاجتماعات واللجان ، وتحضر اليها وفي أيدي ممثليها دراسات وافية ، وتشارك في المناقشة بجدية ونشاط ، وأهم من هذا أنها كانت تسهم بنصيب كبير في تمويل العديد من المشروعات ، ولكن الدول الكبيرة ، وعلى الأخص الدولتين العظميين ، كانتا معنيتين بمشكلة أخرى هي في الواقع أكبر مشكلة يواجهها العالم اليوم ، وهي مشكلة سباق التسلح ، وماذا يمكن الاتفاق عليه لتجميد بعض الأسلحة وتخفيض بعض الاسلحة الاخرى ، وفي مرحلة نشاط الامم المتحدة وحيوتها نجد أن الدولتين العظميين استطاعتا الاتفاق ، داخل اطار الامم المتحدة ، على عدد من أهم الاتفاقيات . . ومنها اتفاقية الحظر الجزئي على التجارب النووية ، أي التجارب في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت الماء وليس على سطح الارض ! والموقعة سنة ١٩٦٣ . . ثم معاهدة الفضاء الخارجي سنة ١٩٦٦ ، ثم معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية في سنة ١٩٦٨ . . ثم معاهدة حظر الأسلحة النووية في قاع البحار في سنة ١٩٧١ ، وفي العام التالي معاهدة منع وتخزين الأسلحة الميكروبية والسامة .

وهن وضعف !

بوجه عام شهدت السنوات العشرون الاولى من حياة الامم المتحدة نشاطا واسع النطاق ، متعدد المجالات ، داعيا الى الاحساس بأن الامم المتحدة في

طريقها الى تحقيق المبادىء والأهداف التي نص عليها الميثاق ، أما بعد هذا ـ وعلى وجه التحديد خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة ـ فقد دب الضعف في الامم المتحدة ، وسرى الهزال في كيانها ، وأصابها الاعياء والانهاك . .

وانظر عددا من القضايا المشاكل لترى أن الامم المتحدة على مدى خمس عشرة سنة أو تزيد لم تستطع أن تفرض حكما نافذا فيها ، أو تجد حلا سلميا لها ، أو تجد من الدول الاعضاء استجابة صادقة لما تصدره من قرارات .

وأوضح الامثلة على هذا هو عجز الامم المتحدة عجزا تاما أمام اسرائيل وأفعالها العدوانية قديما وحديثا ، فأما مجلس الأمن فلا يستطع أن يصدر قرارا لان (الفيتو) الأمريكي يتم اعداده مقدما في البيت الأبيض وفي وزارة الخارجية الأمريكية ليحول دون صدور قرار من المجلس يدين اسرائيل أو يطالبها بشيء ما ، وأما الجمعية العامة فهي التي تصدر العديد من القرارات ، وقد بلغت في دورة العام الماضي وحدها أكثر من عشرين قرارا ، ولكن اسرائيل لم تعبأ بهذه القرارات ، ولا أحد في العالم يطالب اسرائيل في شيء من الجدية والحزم أن تستجيب الى أي من هذه القرارت . وهكذا تجمدت القضية الفلسطينية ، وقضية كل أرض عربية امتدت اليها أيدي اسرائيل بالعبث والعدوان .

ومثل هذا قضية التفرقة العنصرية التي تمارسها حكومة اتحاد جنوب أفريقيا ، وتصدر القوانين التي تجعل ممارسة التفرقة العنصرية هي العمل المشروع ، ! ومقاومتها هي الخروج عن القانون الذي يستوجب اطلاق الرصاص ، والسجن لمن لم يصرعه وابل الرصاص .

وكل القضايا السياسية المطروحة أمام الامم المتحدة . . راكدة أو متجمدة ، وليس في المنظمة الدولية الكبرى قوة لتحرك أيا من هذه القضايا خطوة الى الأمام .

* قضية أفغانستان . . وللامم المتحدة وسيط هناك نسمع أحياناشيئا عن تنقلاته واتصالاته ، ولكن الاحتلال السوفيتي باق ويزداد شراسة ، وأكبر حشد من اللاجئين في العالم ، يزيد على ثلاثة ملايين أفغاني ، يعيشون في قرى باكستان وايران .

* قضية قبرص . . والمفروض أن تعمل الامم المتحدة على توحيد شطريها . . ازدادت تعقيداً !

* قضية ناميبيا . . المستعمرة الوحيدة الباقية في أفريقيا . . والتي كان من المفروض أن تستقل منذ أيام (عصبة الامم) في الربع الأول من هذا القرن . . اذ كانت تحت الانتداب ، الذي أقيم بدعوى وضع مؤقت يؤهل للاستقلال . . ما تزال حتى اليوم ترزخ تحت حكم جنوب أفريقيا .

وفي المجال الاقتصادي . . تجمدت البرامج التي ذكرناها من قبل وانكمش بعضها ، لان الولايات المتحدة بدأت تقبض يدها عن المساهمة الكبيرة في تمويل مشروعات هذه البرامج . . وهي تنذر من حين الى حين بأن الكونجرس الأمريكي قد يرفض تضييع أموال الشعب الامريكي في تمويل منظمة لا تتمشى أغلبية أعضائها مع أمريكا فيما تريد وما لا تريد ، وتعلو نغمة هذاالانذار كلما صدر قرار يدين اسرائيل أو يصف الحركة الصهيونية بصفتها الحقيقية وهي أنها حركة عنصرية ! . . وبينما كانت الولايات المتحدة تسهم بما يعادل ٦٦ في المائة من ميزانية الأمم المتحدة ، صارت مساهمتها ٢٥ في المائة ، أما الاتحاد السوفيتي فيسهم بما يبلغ ١٥ في المائة من الميزانية ولا يزيد ، ويمتنع عن المساهمة في بعض البرامج والمشروعات التي لا تعجبه .

* هذا . . . وفي المجال الاقتصادي أيضا فان دور الامم المتحدة فيما يسمى بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد لم يتعد حتى الآن دور الخطب والمساجلات بين الاغنياء والفقراء ، ودور اعداد الدراسات والتقارير المستفيضة ، دون خطوة واحدة الى الامام في سبيل اقامة هذا النظام .

وهكذا صارت الأمم المتحدة في سن الأربعين كيانا ضخما بأعضائه الذين يبلغون الآن ١٥٩ دولة . . وبموظفيه الذين يبلغون اثنين وعشرين ألف موظف . . ولكنه كيان مترهل ، متخاذل لا يكاد يستطيع العمل والحركة مثلما كان في سنواته الاولى □

رسالة اسبانيا :

الجديد في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

بعد مرور عقدين من السنين على حوار الشرق والغرب ، يجد المتحاورون أنفسهم عند نقطة البداية ، وأن الحوار الثقافي ليس أفضل حالا من الحوار السياسي والاقتصادي فهل كان ذلك لأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كبلنج قبل أكثر من نصف قرن من الزمان ، أم ان هناك عوائق حقيقية امام مسيرة الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ؟ ذلك هو ما يجيب عنه هذا المقال

تبدو اسبانيا جادة في تهيئة أرضها ، لتكون ملتقى حوار بين الشرق والغرب أو الاسلام والمسيحية ، أو العرب وأوروبا ، أو غير ذلك من أشكال اللقاء

وخلال السنة الماضية (١٩٨٤) عُقدت في مدريد واشبيلية وغرناطة عدة لقاءات ومؤتمرات ونشاطات ، دارت كلها حول موضوع الحوار ، وجوانب التقارب بين الشرق والغرب

وانطلاقا من تجربة ملتقيين مهمين نسبيا ـ أتيح لي أن أشارك في أعمالهما ـ تبلور في الذهن أمران على الأقل ـ

أولهما الخطوط الرئيسية لقضية الحوار الثقافي ، كما تبدو في نهاية عام ١٩٨٤ وبعد عقد كامل من بدء حملته

والثاني سلسلة الأسئلة الصميمية التي تثيرها في الذهن قضية الحوار ، والتي يخشى أن يبقى الحوار مكتوفا نسبيا اذا لم يسارع الغيورون الى البحث عن حل لها

والملتقيان هما ـ

١ ـ اجتماع الجمعية العمومية لجمعية (الاسلام والغرب) في اشبيلية من ١٠ ـ ١٢/٩/١٩٨٤

٢ ـ ملتقى (الحوار البرلماني العربي الاوروبي في سنته العاشرة) في مدريد وغرناطة ، من ٦ ـ ٩/١١/١٩٨٤ وقد خصصت فيه كالعادة قناة للحوار الثقافي الى جانب الحوار السياسي والحوار الاقتصادي

وحضر الملتقيين مندوبون يمثلون مؤسسات راقية في عددٍ من البلدان الأوروبية والعربية والاسلامية

وقد نشرت الصحافة اليومية جوانب مما دار في الملتقيين ، مما يعفي المرء من الوقوف عند الوقائع ، ويسمح بالتركيز على الناحيتين اللتين أشرنا اليهما آنفا وهما الخطوط الرئيسية والأسئلة

خطوط رئيسية للحوار :

ليس الحوار الثقافي طارئا على مائدة الحوار الشرقي العربي [1] ، اذ بدأ منذ عقدين من السنين ، مع الحوار السياسي والحوار الاقتصادي ، ومازال جزءاً لايتجزأ من عمليات الحوار المتتابعة وفي كثير من الأحوال خصصت له مؤتمرات وملتقيات موقوفة عليه ، تدليلا على أهميته

ومن الملاحظ أنه جرى التقرب من الحوار الثقافي في بادىء الأمر بحماسة شديدة وذلك نتيجة لوجود شعور عام بما يمكن ان يؤدي اليه (تطبيع) المناخ الثقافي بين الشرق والعرب ، من خلق تربية أفضل لكل من التعاون السياسي والاقتصادي وسائر مجالات الحوار

على أن امعان النظر في سلسلة حصيلة الحوار الثقافي يشير الى أن هذه القناة ـ ربما أكثر من القنوات الأخرى للحوار ـ لم تتقدم اية خطوات تستحق الذكر ومن الصعب القول بوجود مشروعات متسلسلة ومتساندة ، وهذا لاينفي وجود التطلعات الطيبة والرغبات المخلصة لدى مواقع مختلفة على جانبي قناة الحوار

ومراعاة للدقة والانصاف يحسن بالمرء أن يشير هنا الى أن مصير الحوار الثقافي لم يكن أسوأ بكثير من مصير الجوانب الأخرى للحوار ، وأنه حين بدأ قبل عقد من السنين كانت هناك توقعات ايجابية ومتفائلة بشأنه ، ولكن التطورات اللاحقة أظهرت جسامة الصعوبات التي تعترض الحوار بوجه عام ، وتفرد الحوار الثقافي بمشكلات حساسة دينية وتاريخية وفكرية وغيرها

على أن هذه التطورات السلبية ـ التي ينبغي الاعتراف بوجودها ـ لا يجوز أن تعني أن فكرة الحوار تلاشت أو تمخضت عن جيفة كاسحة ، وانما يجب ان تدفع طرفي الحوار ـ الى مزيد من التبصر والجهد في توجيه قضية الحوار واذا كانت جوانب الحوار الأخرى خارجة عن اطار هذه المقالة ، فانه يمكن القول أن الحوار الثقافي وحده يفتح أبوابا كبرى للبحث والتعاون والعمل المشترك ، سواء اكان ذلك مقصودا لذاته أم موجها لخدمة الحوار السياسي والاقتصادي والتعاون الحيوي التكامل ومن هنا كانت الضرورة تستدعي مواصلة العمل المشترك ، لوضع أساس سليم لارتياد الجوانب الأكثر فعالية للحوار

وجدير بالذكر هنا أنه نشأت خلال بضع السنوات الفائتة مؤسسات كثيرة تعنى بالحوار الثقافي . كما أن هناك مؤتمرات عديدة تعقد لهذا الغرض ، بعضها رسمي وبعضها من عمل جمعيات تطوعيه ويصاحب ذلك تزايد شديد في مستوى التبادل الثقافي والعلمي والتكنولوجي الذي تنظمه الاتفاقات الثقافية والتربوية الكثيرة ، التي تربط البلدان العربيه والاوروبية بوجه خاص الا ان الذي كان قائما في الأذهان منذ نشأة الحوار ، ونعتقد انه ما زال وارداً ، هو العمل على ابراز تلك المشروعات الثقافيه المشتركه بين طرفين عامين متحاورين ومتعاونين على غير صيغة الاتفاقات الثنائية بين دول منفردة ، اي بين أوروبا والعرب ، او بين الاسلام والعرب ، أو بين الشرق والعرب وقد اعترضت ذلك صعوبات كثيرة تكشفت بقوة حين بدأت بعض أقنية الحوار تنتقل من النظري الى التطبيقي ، ومن المجرد الى الملموس وبالنسبة الى الحوار الثقافي بالذات كانت العقبة المباشرة هي عدم وجود طرفين متبلورين على جانبي قناة الحوار

وهذا ما يقودنا الى الشق الثاني من هذه الرسالة

اسئلة صميمية

السؤال الأول .

هل هذه الملتقيات المتعاقبة حوار بين الشرق

---

1 ـ استعمل هذا المصطلح للدلالة على أشكال الحوار وحينما لا تكون هناك حاجة الى التخصيص

والعرب ، (ديالوج) أم حوار منفرد بين العرب والعرب (مونولوج) ؟ أليست المفاتيح الثقافية والكلمات الاصطلاحية والمفهومات التى يستخدمها المناقشون من الطرف الاسلامى تأتى فى كثير من الأحيان مطابقة لما يستخدمه الطرف العربى ؟

ومادمنا نردد دائما أن حوار الثقافة ليس تجريدا ، بل هو حوار حى بين البشر ، أفليس معظم الذين يناقشون العربيين (من موقع أفكار شرقية) هم من المثقفين الذين تعلموا وتكونوا ذهنيا فى العرب ؟ وكثيرون منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون الى العربية ؟

وبالطبع يجب ألا يفهم من هذا القول أى اعتراض على اتقان اللغات الأجنبية او الافادة من المعرفة العربية ، فالاسلام حض على تعلم اللغات وطلب العلم ولو فى الصين ان هذه التساؤلات تهدف الى تصحيح مجرى الحوار المنشود (الذى يخشى ألا يكون قد بدأ) ولنفترض مثلا أنه يوجد بين المتحاورين من يملك ثقافة اسلامية خالصة لنتخيل كيف يمكن أن يكون الحوار ألا يخشى أن يصم الحوار على الجانبين ممثلين للموقف التقليدى ، الى جانب غيرهم بالطبع ؟ ألا يفيد ذلك فى كشف زوايا مخبوءة من عملية الحوار ، يمكن أن تنتج عن إضاءتها خطوات إلى الأمام (خلافا لما يعتقده الكثيرون)

وإلا فكيف نأمل تقدما لحوار ينتقى له كل جانب أقرب الناس الى الجانب الاخر ؟ وبالنسبة للطرف العربى الاسلامى أليس المعتاد هو انتقاء مثقفين ممن درسوا التاريخ أو الأدب أو ـ حتى ـ الفكر الاسلامى فى العرب ، وتكليفهم محاورة زملائهم العربيين من متخرجى الجامعات نفسها والنظام الفكرى العام نفسه ؟

السؤال الثانى :

أليس ما نسمعه عادة من مناقشات الطرف العربى الاسلامى يعنى بمجمله أن الثقافة الاسلامية تحتاج الى التسامح العربى وسعة الأفق لكى يتم انصافها لكن أية ثقافة ؟

من الواضح أن الثقافة الاسلامية التقليدية تحظى باحترام عالمى شامل وقد نطق التاريخ حكمه بتقديرها ، ولم تعد بحاجة الى شهادات فردية إذن

أليست المشكلة هى أن الثقافة العربية المعرقة فى الحداثة تحاور ثقافة عريقة لم تتشكل عصريا بعد ؟

ألا تظهر هذه الحقيقة جلية حينما يجلس الطرف الاسلامى لمحاورة الطرف العربى ، فيشرع المثقفون المسلمون فى حوار داخلى لانهم خارج الزوايا الطيبة والمبادىء العامة ، ليسوا بالضرورة متفقين على مواقف ملموسة ؟

والنتيجة

ألسنا نطلب من العرب أن يحاور نفسه من أجل أن يصالح الثقافة الاسلامية مع نفسه ، وبالطريقه التى تلائمه فى المرحله التاريخية المُعْطاة ؟ ألسنا نشارك بهذه اللعبة الخطرة ؟ هل فكرنا فى مدى، مايحمله ذلك من أخطار مستقبلية ؟

السؤال الثالث

فى أى مناخ عالمى يجرى الحديث عن التثاقف وعن الحوار ؟ أليس واضحا أن العرب ما زال يهيمن ثقافيا على كل مكان فى العالم تقريبا ؟ وهل تصالح العرب مع أية ثقافة أخرى أو على الأقل تحاور معها على المستوى اللائق من الجدية والاحترام ؟

وحين نضع حوار (العرب ـ الاسلام) فى اطاره الأوسع من الحوار الثقافى العالمى فماذا نجد ؟

هناك ثقافة واحدة مسيطرة عالميا هى الثقافة العربية ، وهى تمد كل حوار ، صغيرا كان أو كبيرا ، بمفاتيحها الخاصة ومصطلحاتها ومفهوماتها أليس الصراع بين الرجعية والتقدمية والماركسية والليبرالية والديمقراطية والمثالية والمادية والنسبية والتحليلية ، كله يدور فى فلك الثقافة العربية ؟

هل لدى العرب أى استعداد لتفهم ثقافة عريقة مثل الثقافة الهندية أو الصينية ؟ وكيف يعامل العرب ثقافات الشعوب المقهورة فيما يسمى عربيا بالعالم الثالث ؟

ألم نقبل نحن طائعين تسميات (العالم الثالث) و (البلدان المتخلفة) و (الشرق الأوسط) و (الشرق الأقصى) و (الشمال الافريقى) وغير ذلك ، وكلها من اختراع العرب ؟

ليست هده مطالبة ماشرة بالتحلي كليا عں هده التسميات ، ولكنها مطالبة بأن نعى ما نحں فيه

السؤال الرابع

هل العرب ملوم فى موقفه ؟ هل يصح أن نصع اللوم عليه ونحمله الورر ونعصى فى اللعبة المرسومة ؟ وهل نطلب منه أن يفهمنا أكثر مما نفهم أنفسنا ؟ ألسنا مطالبين بأن نتصدى لمعضلتنا ؟

ها أبدا ـ ربما ـ انتهي الى النتيجة نفسها التى ربما وصلها كثيرون من قبلى وهى المطالبة بالتحليل الذاتى ولاأدرى بالمناسبة كيف يجرى تصالح هده النتيجة مع المرافعات الكثيرة التى نسمعها على مختلف منابر الحوار ، والتى تطالب العرب بتحمل مسؤولية تفهم الثقافة الاسلامية أو العربية أو الشرقية

على أى حال أليس المطلوب منا الان ودون ابطاء أن نعمل على تكوين هويتنا الثقافية الحديثة فى ضوء احتياجات مجتمعاتنا المعاصرة ، وأن نكون صريحين حدا وقاسيين مع أنفسنا ، وأن نكون أيضا واثقين من المستقبل ، لأن تراثنا الحضارى وامكاناتنا المعاصرة المتعددة الجوانب تمنحنا أساسا موضوعيا لثقة بالنفس ، واقعية وبعيدة عن التفاخر والمبالغة ، وبالتالى تؤهلنا لموقف حوارى أكثر جدوى مع ثقافات معاصرة تقف على أرض صلبة من وضوح الهوية ، وتستند الى تراث تاريخى حافل ؟

السؤال الخامس

ألا تبالغ بعض لقاءات الحوار فى حكمتها حين تلتزم الابتعاد عن السياسة ؟ أليس هناك شىء أساسى مهم ناقص فى تحليلاتنا وهو البعد السياسى ؟ وهل يمكن ان تفهم مشكلات الحوار الثقافى بمعزل عن الصراع السياسى ومحركات المصالح والنفوذ ؟

وهل المسألة مسألة اقتناع أو اطلاع فقط ؟

وهل نتصور أن المانع الوحيد من تطور الفهم المشترك المنشود هو القصور فى الفهم المتبادل ؟

وهل مسأله الفهم المتبادل صعبة الى هدا الحد على العقل الانسانى الذى تمثل خلال العصور الوسطى (مصطلح غربى أيضا) فى أرقى أشكال الفكر والعلم (فى المنطقة العربية) والذى يتمثل اليوم (عند البلدان المتقدمة فى الغرب) فى أرقى اكتشافات الفضاء ؟ وهل هذا العقل عاجز عن تعرف ذاته من خلال التمثلات المتباعدة فى الزمان واللغات ؟

ألا يحتمل أن تكون هناك عوائق (فوق ـ فكريه) فى طريق الحوار الثقافى بحيث لا يستطيع الحوار الثقافى أن يتقدم تقدما محسوسا اذا لم يذللها ؟

ألا يصح أن يعدل الحوار الثقافى من حكمته قليلا ليقول نتجنب تفصيلات الوقائع السياسية ولاندخل فى المماحكات العويصة ، ولكن لانتجاهل البعد فوق الفكرى للحوار الثقافي؟.

أسئلة صعبة ما فى ذلك شك ، ولكن لا بد من مواجهتها بشجاعة وتبصر □

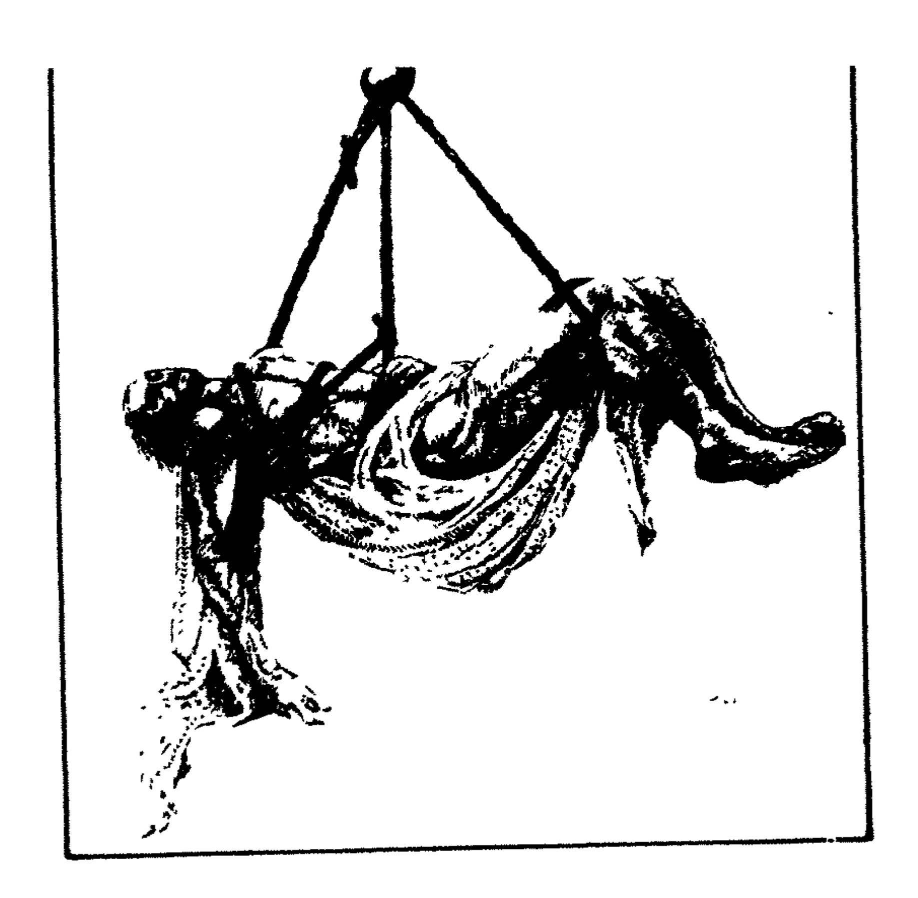
صندوق ونصيحة !

أتي الحجاج بصندوق مقفل ، قد أصيب من بعض خزائن كسرى ، فأمر بالقفل فكسر ، فاذا فيه صندوق آخر مقفل ، فقال الحجاج : من يشتري مني هذا الصندوق بما فيه ، ولا أدري ما فيه ؟

فتزايد فيه أصحابه ، حتى بلغ خمسة آلاف دينار ، فأنفذ الحجاج البيع ، لكنه عزم على المشتري أن يفتح الصندوق ويريه ما فيه .

ففتح الصندوق ، واذا فيه رقعة مكتوب فيها :

من أراد أن تطول لحيته ، فليمشطها من أسفل .



أنشودة الانتصار الفلسطينية

بقلم : الدكتور عبد الوهاب المسيري

في احدى قصائد معين بسيسو ـ رحمه الله ـ يموت الجندي المجهول في صمت دون أن يعلن عن نفسه أو عن تضحيته . وهو في استشهاده يشبه الشاعر الحق الذي لا يلقي بكلماته جزافا ، دون أن يدرك معناها ، ودون أن يكون على استعداد لدفع الثمن ، وانما ينزف دمه ليضفي مصداقية عليها :

ماكان بيده كاميرا ، وعلى فمه
ماكان مكبر صوت
كان يموت وراء خطوط الضوء
وراء خطوط الصوت

والصورة هنا ـ على المستوى المباشر ـ تتحدث عن وسائل الاعلام ، التي يجيد الصهاينة والآخرون

استخدامها ، والتي تزيف الواقع الى أن تسود الأكاذيب اللامعة المصقولة هذا التحدي الشهيد لا يكترث بذلك ، ويقدم ذاته كي يسود الحق وتعود الحقيقة ولكن على مستوى أعمق نعرف أن هذه المنطقة التي تقع (وراء خطوط الضوء/ وراء خطوط الصوت) هي الأزلية والدار الآخرة التي وعد الله المجاهدين

والايمان الكامن وراء هذه الابيات هو أنه اذا مادفع الثمن سيحين وقت الحصاد ، وهو ايمان يصبح واضحا ظاهرا في غنائية توفيق زياد القصيرة التي يقول فيها

احبائي برمش العين
أفرش درب عودتكم ،
برمش العين ،
وأحضن جرحكم
وألم شوك الدرب
بالكفين ،
ومن لحمي
سأبني جسر عودتكم
على الشطين

والقصيدة تعبر عميق عن الايمان بحتمية الانتصار ، فهي تتحدث عن نهاية الأحزان ، وعن التحام المنفيين خارج فلسطين بالمسحوقين داخلها ، وعن الجراح التي ستندمل ، والأشواك التي ستنزع ، والدروب التي ستفرش ، وأخيرا عن الجسر الذي سيبنى ـ جسر العودة (عنوان القصيدة) والمصطلح الذي يستخدمه الشاعر هو مصطلح الشعر الرومانسي وأغاني العشق والغرام

رمش العين ودرب العودة واحتضان الأحزان والشطين (وكلمة الشط أو الشاطيء أصبحت مرتبطة في الأغاني العربية الحديثة بشط الغرام وشط النيل ، حيث يلتقي المحبون) ، ولكن الغنائية المتدفقة والمصطلح الرومانسي ينسياننا لوهلة أن الشاعر هنا ، شأنه شأن حدي سيسو المجهول ، يدفع ثمنا فادحا فرموش العين لا تعطي اشارات الغرام وانما هي التي ستفرش الدرب ، والجراح لن تندمل بفعل الزمن وانما بعد أن يحتضنها الشاعر نفسه ، وشوك الدرب سيدمي كفيه ولا شك ، الى أن نصل الى الصورة الأخيرة حيث نكتشف أن الجسر الذي سيربط الشطين مبني من جسده وتكتسب القصيدة كثيرا من جمالها وتجددها وصلابتها من هذا التوتر بين المستويين الكامن والظاهر

وهذا هو النمط السائد في أشعار الانتصار الفلسطينية ، حيث يجب أن يزف الشاعر ليقام عرس الدم الفلسطيني يقول محمود درويش في قصيدة (طوبى لشيء لم يعد)

هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي
هذا هو العرس الفلسطيني
لا يصل الحبيب الى الحبيب
الا شهيدا أو شريدا

وفي احدى قصائد سميح القاسم يحاول الشاعر أن يستكشف لحظة الانتصار الفلسطينية من خلال استخدام اسطورة هندية امريكية قديمة ، اسطورة طائر الرعد ـ رمز الخير والحرية الذي سيأتي لا محالة

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوه في غبار مناهج الدرس
ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء روائعه بلا حد
شيء يسمى في الأغاني
طائر الرعد
لابد أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت

ان (حتمية) وصول طائر الرعد مرتبطة بالشمس وبدورات الطبيعة ، ولكنها مرتبطة بشيء أعمق بالبذل الانساني والدم الفلسطيني ، ولذا فهذه العنقاء الهندية لن تصل الا بعد أن نبلغ نحن (قمة الموت)

ولكن ليس كل قصائد الانتصار الفلسطينية تنتمي الى هذا النمط المتكرر (الدم النازف ثمنا لانشودة الانتصار) بل ثمة قصائد تحتفي بلحظة النصر وثمرة النضال دون ذكر للثمن ـ وكأننا هناك بالفعل ، وكأننا قد وصلنا

ولا يوجد في مثل هذه القصائد أي توتر بين ماهو

قائم وما يسعي أن يكون ، ولا أي ثورة على الحدود أو الكلمات ، لأن الصور تحاول أن تنقل للقارىء صرنا من اليقين الهادىء ولعل أفضل مثل على هذا النوع من القصائد قصيدة فدوى طوقان (طائر النورس ونبي النبي) التي تقابل فيها طائرا آخر ، ولكنه هذه المرة ليس بطائر اسطوري وانما طائر النورس المعروف الذي يسيطر على جو القصيدة سيطرة كاملة ، اذ يجوم فيها وكأنه ملك في مملكته ، يقود الجيوش بثقة كاملة

عبر الافق وشق الديجور
ممتلكا ناصية الرقة منطلقا بجناح النور
لف ودار وظل يدور

يأتي الطائر كرمز للامكانات اللانهائية ، ولكنه لا ينطق حرفا ، فهو صورة متعينة للميلاد والنصر المرتقبين ، ولذا فالحروف والكلمات لا أهمية لها

دق على شباكي المظلم فارتعش الصوت المبهور
حيرا ياطير
وفشي بالسر ولم ينبس
وتوارى النورس

والسكون هنا ليس علامة العجز أو القهر ، وانما هو تعبير عن الامتلاء الذي يتخطى حدود الكلمات ولذا فالشاعرة تجيب عنه مع أنه لم ينبس ببنت شفة ، فقد أدركت محتوى رسالته حتى وسط السكون ، والظلمة لا تخيم على الاحزان ، اذ أن كل شيء يتغير

ياطيري ! ياطير البحر ! الآن عرفت
في الزمن الصعب الواقف في أقبية الصمت
تتحرك كل الاشياء
تنمو البذرة في قلب الموت
ينفجر الصبح من الظلماء

وفي وسط هذا الامتلاء والتوازن حينما ترد صورة الطوفان فهي الاخرى تكتسب هدوءا واتزانا ، ولا تفكر الشاعرة في جانبها المدمر وانما في جانبها التطهيري وحسب

الآن ـ ة ـ.
وانا اسمع ركض الخيل نداء الموت على الشطآن
كيف اذا جاء الطوفان
تغتسل الارض من الاحزان

وترفض القصيدة حتى النهاية أن تدخل في عالم التوتر والصراعات ، وتظل داخل دائرة الفرح ـ دائرة النورس المحلق ـ التي لا نسمع فيها أية كلمات ، وانما نرى فيها صور الفرح الواضحة المحددة تقف شاهدا على ما سيكون ولذا لم يبق أمام الشاعرة سوى أن تتمتم وتغمغم بكلمات الحمد والشكر

ياطيري ، ياطير البحر الطالع من قاع الديجور
بشرك الله بكل خير
الآن عرفت
شيء حدث انفتح الافق وحيا الدار صباح النور

مثل هذه القصائد (الساكنة) و (المترنة) ليست كثيرة ، بل يمكن القول انها نادرة فهي لا تتعامل مع ماهو قائم ، وانما تتعامل مع ماسيكون ولا يوجد الكثير في مخيمات اللاجئين ولا في الجرائد اليومية ماقد يساند هذه الرؤية ، فالدماء الفلسطينية لا تتوقف عن النزيف ولكن مع هذا مع جو الوجدان الثوري أن يترك عالم الجدل التاريخي ، عالم القتال والاستشهاد ، ليصل الى (هناك) حيث الجنة الموعودة ، وحيث الزمان المرتقب ، فهذا ولا شك يشد من ازرنا ويخلق مسافة بيننا وبين الواقع المتعثر ، ونحن في هذا لا نهرب من الواقع وانما نتجاوزه لنصل الى ما نرى انه الجوهر ، وعلى حد قول محمود درويش

والحلم اصدق دائما ، لا فرق بين الحلم
والوطن المرابط خلفه
الحلم أصدق دائما ، لا فرق بين الحلم
والجسد المخبأ في شظية
والحلم أكثر واقعية

ان شعر المقاومة الفلسطيني باحتفائه بما سيكون وبما ينبغي أن يكون ، يبين مدى عمق ايمانه بالانسان ، ذلك الكائن الذي يرفض الرضوخ والاذعان للقهر وللبيانات العسكرية والاكاذيب الاعلامية والحقائق المصمتة ولكل ماهو قائم

وبذلك تتسع ساحة هذا الشعر لتضم لا الفلسطيني وحسب ، ولا حتى العربي وحسب ، وانما كل البشر ، وبذا تصبح أنشودة الانتصار الفلسطينية هي أنشودة انتصار الانسان □



إبداع التراث



بقلم : الدكتور فهمى جدعان

تعنى فكرة تاريخية التراث ، انه لا يتبقى لنا من التراث ، « هنا . . الآن » ، الا بعضه . وأما بعضه الآخر فليس علينا الا ان نعلقه أو أن « نضعه بين قوسين » ، ناظرين اليه نظرتنا الى أى عنصر أو حدث تاريخى انقضى . الى أين يؤدى بنا هذا القول . . . فلننظر .

ـ الذى يهمنا هنا الآن هو فقط ذلك الجزء من ـرات الذى يقبل ان يكون ، بقدر ما ، جزءا حـ من الحاضر . وامام هذا الذى « يتبقى » لن يكون ـى من حث الا واحدا من اثنين : الدمج المادى ، أو ـ تمكن ن اسميه بـ « الاستقلاب المعنوى » . وكل واحد من هذين الحالين ينصب على نمط معين من عناصر التراث فأما الدمج المادى فيقع على العناصر المستحصة العيانية من التراث . وأما الاستقلاب المعنوى فيقع على العناصر الأدبية والجمالية منه . ولكى لا يكون هذا الضرب من القول مجردا،أقول ان جميع العناصر التى تشتمل عليها أعمال المتكلمين المسلمين مثلا مما يمكن أن يكون مقبولا اليوم فى اطار علم العقيدة العقلانى ، هى عناصر يمكن أخذها ودمجها فى مجمل الانظار العقلية الراهنة للقضية العقيدية ، وأن جميع الاجتهادات الفقهية التى نجمت عبر العصور المختلفة مما يمكن أن يكون مقبولا لدى المشرعين اليوم ، ومما يمكن أن يمثل حلا معقولا لمشاكل عملية فقهية مطروحة هى عناصر يمكن أخذها ودمجها فى مجمل التشريعات الفقهية الراهنة ، وأن جميع المفاهيم الفلسفية التى ما تزال مقبولة الآن تظل جزءا من منظوراتنا الفلسفية أو الفكرية ، وهكذا . ومن وجه آخر نحن لا نستطيع الا أن نستخلص فوائد أدبية وجمالية من قراءتنا للاعمال الأدبية والفنية العربية أو الاسلامية الكلاسيكية ، ولا نملك الا الاعجاب والانبهار والتأثر بكثير من روائع الفن القديم . وهذا يعنى أن عملية « استقلاب » آثار هذه الأعمال وتمثلها وادخالها فى حالتنا الشعورية ووعينا الجمالي ، تظل هى الحال الطبيعية لنا بإزاء هذا النمط من العناصر المورّثة . فقراءة الجاحظ مثلا او التوحيدى ، او المتنبى أو المعرى وغيرهم ، وتأمل

أعمال الفن التشكيلي المختلفة والآثار المعمارية وغير ذلك ، مما يثير الاحساس بالجمال والمتعة هي أمور لا مجال لاستبعادها أو اهمالها وهي تدخل ، بكل تأكيد ، في المركب الاساسي المعقد لوجودنا الراهن ويدخل في هذا المركب بالاجمال جميع القيم الأدبية والجمالية التي تثير فينا الرضا والقبول والفائدة وكلها يكون شأننا معها الاتصال المستمر ، والدربة والممارسة والمعاناة والتعلم والتذوق ، اذ بذلك يمكن لعملية « الاستقلاب » ان تتم فتتحول هذه العناصر الادبية والجمالية الى المركب الثقافي لبنيتنا الشخصية

ما ينبغي طرحه

ووراء هذه الوجوه من التراث لا يبقى في الحقيقة الا ما يسقط في طريق التاريخ ويتحول الى متحفه وهذا الذي يسقط ينتمي الى واحد من القطاعات الثلاثة التالية قطاع المفاهيم والعقائد والأفكار ، وقطاع المصنوعات أو المبدعات التقنية ، وقطاع القيم فثمة عدد كبير من المفاهيم والعناصر التي تشتمل عليها العلوم النظرية القديمة قد فقد قيمته اطلاقا وما على انسان يحيط بالعلوم الحديثة الا أن يفتح كتابا في العقائد مثلا ، أو في الفلسفة الطبيعية ليقرر ، بعد التدقيق ، أن معظم المفاهيم أو العناصر الكلامية أو العلمية أو الفلسفية لم يعد مقبولا الان ، أو أنه منازع فيه كثيرا أما قطاع المصنوعات التقنية فلا ينكر أحد أنه تضاءل الى درجة لم يعد يساوي معها شيئا ، بالاضافة الى ما انجز في القرنين الأخيرين وأما القيم والعادات فمن الواضح أن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد ألقت بكثير منها في غياهب اليم

وعلى هذا الأساس ، وفي كل الأحوال ، ننتهي واقعيا الى حالة من النظر والفعل لحمتها الواقع المباشر وما تبقى من التراث ، ويكون المطلوب منا عمليا مباشرة أفعال مشخصة بهذه الاطراف الماثلة أمامنا أو الحالّة فينا لكن هذه المباشرة لا يمكن أن تكتمل الا بتدخل عنصر ثالث هو الوحي ، يضاف الى العنصرين الآخرين ليصبح مخطط النظر والعمل الراهن على النحو التالي المعطيات المباشرة للواقع ، والتراث الحي ، والوحي

المعطيات المباشرة والتراث والوحي

١ ـ أما المعطيات المباشرة للواقع فهي الأرض التي نتحرك عليها ، وهي الأصل المباشر لأحوالنا انها منبع الحياة والفعل ، والمصدر الذي تتفجر منه مشكلاتنا وقضايانا الوجودية وأول ما ينبغي التصدي له هو الواقع ، لانه هو الحياة وليس معنى ذلك أن عقولنا وأفكارنا ينبغي أن تتشكل وفقا للواقع باعتبار أنه ذو قوانين نهائية ملزمة ، وانما معناه أن فهم حركة الواقع وبنيته شرط ضروري لكل فعل وأن توجيه الواقع وتغييره من خلال هذا الفهم أمر لا مفر منه وهذا يعني أن الفكر يمكن أن يلجأ الى تغيير أحكامه وأساليبه في النظر والعمل ، في ضوء الواقع ، ان كان هذا الواقع يجري مجرى لا يتناسب مع متطلبات الفكر

وليس هذا الجانب من المسألة في وجهه الفقهي ، الا عين ما عبر عنه القدماء بقاعدة « تغير الأحكام بتغير الأزمان » فنحن نحيا الواقع الذي يتشكل ، بتضافر عوامل وظروف ذاتية وخارجية حد معقدة ، ونحن نعيد تشكيل حياتنا وأفكارنا عبر هذا الاحتكاك المستمر بالواقع ، ومستندنا في ذلك منجزات العلوم الوضعية الانسانية وبهذه العملية نقوم ، عمليا ، بانجاز عناصر « تراثية » جديدة تضاف الى العناصر المتبقية من التراث السالف ، وتورّث للاتين من بعدنا وهذا هو الوجه الأول مما أسميه « ابداع » التراث

٢ ـ واما التراث ، عند حده الماضي ، فقد أصبح شأنه جليا اذ قلنا ان ما يتبقى منه من عناصر مادية يندمج في نظمنا المادية والحياتية الراهنة ، وما يتبقى منه من عناصر أدبية وجمالية يستقلب بعملية التمثل الأدبي والجمالي ، ويصبح جزءا من حساسيتنا الأدبية أو الجمالية الحالية وبعمليتي الدمج والاستقلاب هاتين نحن نحيي التراث من جديد ، أي أننا نجعله حيا في الحاضر وهذا أيضا ابداع له وخلق جديد بيد أنه لا بد من القول ههنا ان التراث الماضي يفقد

بيته النوعية ، من حيث هو جزء من الماضي التاريخي ، أو من حيث هو كل تاريخي سالف ، ويصبح عنصرا مركبا من عناصر التراث الذي يتكون أو يصير أو يتشكل وبهذا الاعتبار يمكننا القول أن التراث دائم التشكل ، وان جوهره في حراك مستمر ، أي أنه خاضع لعملية ابداع دائمة

٣ ـ وكما سبق أن قررنا ، في القسم الأول من هذا البحث ، ليس الوحي جزءا من التراث لذ لا يمكن الكلام عليه هنا الا من جهة أنه أصل للتراث ، أو أنه واحد من الأصول التي ينبني عليها التراث ونحن نتكلم هنا ، بطبيعة الحال ، على التراث العربي الاسلامي لا على سواه اذ من نافلة القول التذكير بأن هناك ثقافات و « تراثات » ليس لها مبدأ في الوحي أما في الاسلام فالوحي أصل للتراث وعلى هذا الأساس ليس لدينا أي علم من العلوم التي ظهرت في الاسلام الا وللوحي أثر ما فيه ومن قبيل التكرار القول ان علومنا برمتها ، هي العلوم الاسلاميه ، قد كانت أثرا مباشرا له ، مهمتها خدمته وتحليله وبيانه فهذه العلوم « التاريخيه » هي علوم تراثية ، بينما الوحي نفسه ليس « علما » تراثيا ومعنى ذلك ان التراث هنا وفي هذه الدائرة هو هذا الذي ينجم عن عملية الالتقاء بين الانسان القابل من ناحية ، وبين الوحي الفاعل من ناحية ومن هذا الالتقاء ـ وعبر الشروط الموضوعية التاريخية ـ نجمت العلوم الاسلامية المختلفة وهذه العلوم ، كما قلنا مرارا وتكرارا ، هي علوم تاريخية مقترنة بالظروف والأوضاع التي ظهرت فيها ولأن الأوضاع التاريخية متباينة متغايرة ، فان من الطبيعي أن تتفاوت ثمار « الفهم » عبر العصور وبسبب تفاوت صور « فهم » الوحي تاريخيا كان ثمة « قراءات » مختلفة للوحي الذي يتوجه الى الانسان في كل الظروف والأزمنه فاجتمع لدينا قراءة نقلية خبرية ، وثانية لغويه نحوية ، وثالثة عقلية ، ورابعة بلاغية أو بيانية ، وخامسة صوفية كشفية ، وسادسة غنوصية باطنية وسابعة ظاهرية ، وهكذا وكل هذه القراءات تدخل في « التراث » ، وليس ثمة واحدة منها بحائزة على اجماع « القراء » جميعا وكلها ، كما هو بين ، تاريخي وهذا يعني أننا نحن اليوم ، اذ ندخل « الوحي » طرفا رئيسا في حياتنا النظرية والعملية من حيث نحن مسلمون ، لا بد لنا أن نقابل الوحي بقراءة ما ، قد تكون واحدة من تلك القراءات التاريخية القديمة ، لكن ليس ثمة ما يمنع من نجوم قراءات أخرى ، جديدة ، غير تلك القديمه وليس ثمة حرج في ذلك طالما أننا نتعامل مع الوحي باعتبار أنه الأصل ، ونتعامل مع مناهجنا باعتبار أنها طرقنا الراهنة لفهم الوحي ووضعه عمليا موضع التنفيذ ، بحسب أنظارنا وأفهامنا الحالية وموضوعات العلوم الانسانيه الحديثه قد أفرزت مناهج لفهمها ودراستها ـ وقد نقول اننا نحن الذين أبدعنا هذه المناهج لفهم تلك الموضوعات ـ ونحن نستطيع أن نستخدم هذه المناهج لفهم « النص » الديني ، كما نستخدمها لفهم النصوص غير الدينيه والذي يمكن أن يترتب على هذا نجوم قراءات عده قراءة لسانيه ، وقراءه بنيوية ، وقراءة وظيفية ، وقراءه فينومينولوجية[1] ، وقراءة برجماتية[2] ، وقراءة ابيستيمولوجية[3] ، وغير ذلك من القراءات والحقيقة ان هذه القراءات جميعا ممكنة دليل ذلك أن هناك من يتعلق بها ويستخدمها في فهم النص القرآني والدعوة لمضامينه دون الخروج على قواعد « العقيدة » التي يرتبط بها بحبل سري لا ينقطع

القراءة . . وإعادة القراءة

لا شك أن هذه المناهج جميعا قابلة للنقد أو للجدل ، ولا شك أنها يمكن أن تقدم النصوص الدينية بثوب يشبه أن يكون كألوان الطاووس ، لكن ما الضرر من ذلك ان كان كل منهج من هذه المناهج

---

(١) الفينومينولوجيا هي فلسفة الظواهر ، أو هي العلم الذي يبحث في وصف الظواهر وتصنيفها ، وهو وصف علمي للظواهر الواقعية يتجنب كل تأويل أو شرح أو تقويم

(٢) البراجماتية هي فلسفة الذرائع ، وهي التي تجعل النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الافكار وصدقها

(٣) الأبستيمولوجيا هي نظرية المعرفة

يؤدى وظيفة محدية ويجعل من النص القرآني نصا معاصرا لنا حيا بحياتنا متألقا بألق العصر ، مبهجا بما يخلعه عليه العقل الذى أبدعه الله بنفسه وهداه الى ما هداه ! بيد أن ثمة قيدا لا بد من التعلق به فى هذه العملية ، وهو أنه ليس لأحد من أصحاب هذه المناهج جميعا أن يقول أن قراءته هى القراءة الوحيدة الصحيحة ، وأن الوحى فى ذاته هو ما ينتهى الى تحديده هذا المنهج أو ذاك فهذا غير صحيح ، وهو يشبه تماما قول بعض القدماء ان القراءة الكشفية وحدها هى الصحيحة ، أو ان القراءة البلاغية هى وحدها الصحيحة ، وهكذا ان الوضع السليم لواقع الحال هو ان يقال أن هذه القراءة أو تلك ممكنة ، وأنها تؤدى وظيفة محددة فى معرض بيان الخطاب الالهى وعرضه على الانسان وعند هذه النقطة نستطيع القول ان هذه القراءات تمثل ابحارا تراثيا جديدا ، هو بدوره تاريخي ، وهو فى حقيقته ابداع لتراث جديد

ما الذى تصح عليه ، بعد هذا ، العلائق التى تكلمنا عليها فى مطلع هذا البحث علاقة المقدس الدينية ، وعلاقة المقدس القومية ، وعلاقة المقدس الانسانية ؟

الحقيقة النهائية هو أنه لا شيء مقدس فى التراث ! لان التراث قد ارتد الى حدوده الطبيعية ، أى الى حدوده الانسانية الخالصة ونحن لا نستطيع أن نتكلم على قداسة للتراث الا على معنى المجاز والأنسب أن نتجنب نهائيا الالماع الى وجه كهذا للتراث لانه لا مسوغ لذلك على الاطلاق ، طالما ان المقدس الحقيقي الوحيد وهو الوحى قد ظل خارج دائرة التراث ان ما نستطيع الكلام عليه ، بل ما ينبغى الكلام عليه هو تقرير القول ان التراث واقعة لا غنى عنها اطلاقا ، وانه مركب جوهرى من مركبات وجودنا التاريخي

التوجيه والابداع

ويبقى سؤال ملح هو التالى اذا كانت وظيفتنا ابداع التراث ، فما هو التراث الذى ينبغى أن نبدعه ؟ او بتعبير آخر هل ثمة تراث محدد من واجبنا نحن ، ان نبدعه ونورثه ؟ ام أن ما نبدعه مرهون بظروف الواقع والتاريخ ؟

الحقيقة ان عملية « توجيه » التراث المبدع ليست أمرا يسيرا فى ظروف العالم الراهنة لأننا لسنا سادة أفعالنا جميعها ، رغم أننا بكل تأكيد نود أن نكون كذلك كما أننا لسنا بمنأى عن عوامل الفعل والانفعال الذاتية والخارجية ولست أجانب الصواب ان قلت اننا « معاصرون » تاريخيا معاصرون بأنماط الفهم التقليدية العقيمة ، ومعاصرون بأوهامنا ورغباتنا وأهوائنا الانانية والطائفية والعشائرية والأسرية والقطرية والشوفينية

واذا كانت مهمتنا النهائية هى انجاز تراث قومى وانسانى يليق بنا ويحقق وجودنا على نحو سام ، فى هذا العصر وفى الأعصر القابلة ، فان مهمتنا الأولية السابقة على أية مهمة أخرى هى الفعل المباشر من أجل ما أسميته بـ (فك الحصار) المضروب على فعالياتنا الطبيعية والصنعية وفى اعتقادى أن ما يناضل من أجله مفكرو التيار الجديد الذين يدعون الى (عقلانية نقدية واقعية) هو أمر لا مفر منه وهو ضرورى لا لأن المعتزلة وابن حزم وابن رشد مثلا قد أخذوا به ، ولا لأن له ما يعززه فى التراث ، وانما لان المعطيات المباشرة لوجودنا العربي الراهن تلزم به الزاما لا محيد عنه بيد أنه ينبغى أن يظل ماثلا على بال ان « تفرد » العقلانية وريادتها لخطو الانسان العربي الصانع للتراث الممتد الجديد لا يجوز أن يعنى الافتئات على المركبات الأساسية الأخرى للطبيعة الانسانية ، او التقليل من أهمية هذه المركبات وخطورتها ومن واجب العقلاني أن يعرف قبل غيره أن المركبات البيولوجية والنفسية واللاعقلية والميتافيزيقية لها هى أيضا حقوقها فى عملية بناء الانسان وبهذا الاعتبار عليه أن يجابه المشكلة القديمة نفسها التى جابهها افلاطون وأرسطو وابن سينا وابن رشد ، وهى كيف يتسنى لنا أن نجعل من هذا الوجودى الذى هو العقل قائدا لهذه العربة التى تحمل كل هذه القوى المتصارعة ، او المتباينة ، او المتمردة ، او المتكاملة ! ? □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

في أوروبّا يريدون أطفالاً أكثر !

عدد السكان قضية تشغل الجميع ، البعض يريد سكانا أكثر ، والبعض يريد سكانا أقل ، والبعض لايريد غير الاستمرار بلازيادة أو نقصان.

وبينما يحسم الأمر في النهاية قرار فردي أو عائلي ، فان عوامل عدة تدخل في صناعة هذا القرار ، بينها موقف الدولة أو الحكومة وماتتخذه من سياسات.

أيضا ، وبينما يصبح الصوت الأعلى لدعوات تنظيم الأسرة وتقليل الزيادة السكانية في العالم الثالث خاصة ، فانه ـ وفي نفس الوقت ـ يبرز صوت آخر يقول لماذا لانريد عدد سكان هذه الدولة أو تلك ؟ لماذا لانسعى أكثر ؟ ويقول أصحاب هذا الصوت « ان الذين يخشون الزيادة السكانية يواجهون خطر نقص الموارد وعدم كفايتها. أما نحن ـ هكذا يقولون ـ فاننا نملك الموارد ولانملك البشر نملك المستقبل الاقتصادي ، ولانملك المستقبل السكاني ، والذي يتهدده النقصان باطّراد ؟ »

النموذج من أوروبا حيث بلغ الكثير من دولها حالة من التوازن يسميها علماء السكان حالة التثبيت حيث لازيادة أو نقصان ، وانما يأتي الأطفال الجدد ، والذين يبقون على قيد الحياة ليلعبوا دور الاحلال لآخرين يفارقون الدنيا.

ولأن التوازن لعبة خطرة ، ولأن تكنولوجيا العصر قد ضاعفت امكانية استغلال الموارد ، فان البعض يسلك الطريق الآخر وهو تشجيع الانجاب وزيادة السكان.

وقد مرت بأوروبا عصور عديدة عانت فيها من ظاهرة انخفاض الخصوبة ، وانكماش عدد من تنجبهم المرأة ، ويبقون على قيد الحياة ، ويحددون معدلا لحجم الأسرة. ففي أوائل القرن التاسع عشر بلغ معدل الوفيات للأطفال فيما يطلق عليه الآن اسم ألمانيا ثلاثة أطفال بين كل عشرة. وكان المعدل العام في أوروبا طفلين أي (٢٠) بالمائة من الأطفال. المعدل مرتفع ، لذا كان التباطؤ في النمو السكاني واضحا.

ولم تكن الوفاة هي كل شيء ، فقد حملت سجلات الأبرشيات ـ وهي مصدر المعلومات لبعض الفترات ـ أن بعض القرى الفرنسية كانت تعرف تحديد النسل ، وتمارس تخفيضا متعمدا للخصوبة ، وتقف عند حدود الطفلين لكل أسرة ، وكان ذلك في القرن الثامن عشر.

نفس الشيء ، ولأسباب أخرى حدثت في هنغاريا وبولندا في القرن الثامن عشر ، حيث لجأ ملاك الأرض لتحديد حجم الأسرة ، حفاظا على حق التوريث في قطعة أرض مناسبة. بينما سجلت أسر العمال الزراعيين خصوبة أكبر للمرأة وحجما أكبر للأسرة.

وكما كان الفقر والعوز والمرض أسبابا لنقص السكان ، كان النمو والتقدم مسببين لنفس الظاهرة. لقد ثبت ـ وفي الدول الأوروبية قبل غيرها ـ أن الوفرة الاقتصادية والصحة والتعليم والتحضر عوامل لتقليل حجم الأسرة والتراجع ، عما يسميه المشتغلون بعلم السكان « مستوى الخصوبة ».

حدث ذلك في الكثير من بلدان أوروبا وشهدت بداية هذا القرن انتشار الظاهرة ، حتى أصبح الكثير من الدول الأوروبية « مجتمع مسن » وحينذاك تحركت بعض الحكومات في اتجاه عكسي ،

وبدلا من أن تشجع التقييد في الانجاب ، راحت تصنع السياسات التي تحد كثرة الانجاب وكان من هذه الدول التي تمارس هذه السياسة في الوقت الراهن هنغاريا ورومانيا

النموذج الأول ـ هنغاريا ـ يثير الانتباه ، فالحالة الاقتصادية والاجتماعية ـ وفقا لأرقام البنك الدولي حالة طيبة متوسط دخل الفرد ـ وفقا لارقام ١٩٨٢ ـ (٢٢٧٠) دولارا في السنة معدل النمو (٦,٣) بالمائة سنويا وهو معدل مرتفع ، بينما يسجل التضخم معدلا منخفضا هو (٢,٢) بالمائة سنويا وصحة الفرد يعكسها رقم يقول ان العمر المتوقع للطفل الهنغاري عند المولد هو (٧١) عاما ، وهو المتوسط العام للدول الاكثر تقدما

هناك وفرة اقتصادية ومستوى صحي مرتفع ، ولكن في نفس الوقت فانه لايوجد توقع بزيادة في السكان التوقع وفقا لحسابات البنك الدولي أن يظل سكان هنغاريا من الان وحتى عام (٢٠٠٠) كما هم وبنفس العدد (١١) مليون نسمة على أحسن الفروض

قد يعني ذلك دخلا أكبر للفرد في المستقبل وقد يكون سببا في رفاهية معيشية أكثر ولكنه قد يعني أيضا خطرا أكبر ، وهو ماتعكسه أرقام أخرى ، تقول ان معدل المواليد والمتوسط السنوي لنمو القوى العاملة يتراجعان بانتظام ، حتى أصبحت نسبة مايضاف للقوى العاملة في الثمانينيات(وحتى عام ٢٠٠٠ وفقا للتوقع) نصف ماكانت تسجله هذه النسبة في السبعينيات ، وخمس ماكانت تسجله في الستينيات

لذا ، كان التدخل واجبا لتشجيع الانجاب ، ولتبلغ الخصوبة عام ٢٠٠٠ مايسميه علماء السكان مستوى الاحلال ، وهو المستوى الذي تعوض فيه الزيادة الجديدة الفاقد بسبب الموت

في عام ١٩٨٢ دفعت هنغاريا (٢,٤) بالمائة من ناتجها المحلي كعلاوات للأمومة والأسرة فالنظام يقضي بمنح اعانة شهرية للأطفال ، وهي أعانة تتزايد بعد الطفل الثاني كذلك تقضي هذه النظم باجازات أمومة طويلة ومدفوعة ، وتمنح اعانات لملابس الأطفال واحتياجاتهم ، وتأمين ضمان العمل لكل أم و في نفس الوقت واعتبارا من عام ١٩٧٤ ـ أصبح الاجهاض ممنوعا إلا لفئات معينة هي المطلقة ، والأرملة ، وغير المتزوجة ، والزوجات فوق الأربعين ، ومن لديهن ثلاثة أطفال ، وليس لديهن سكن

في رومانيا تتشابه الظروف الاقتصادية والصحية من حيث الوفرة وارتفاع متوسط الأعمار ولكن معدل المواليد ونسبة نمو القوى العاملة في تراجع ورغم أن هناك زيادة سكانية محدودة الا أن الخطر كان واضحا بسبب الاجهاض ، الذي سجلت أرقامه عام ١٩٦٥ أربعة أضعاف عدد المواليد

ووفرت الدولة قدرا من الحوافز الاقتصادية من أجل انجاب أكثر وأعطت قضية الاجهاض اهتمامها ، فحظرته الا في حالات تقدم السن ، أو المرض ، أو وقوع الحمل بسبب الاغتصاب

كان ذلك عام ١٩٦٦ ، ولكن وبعد ١١ عاما سجلت الارقام أن وفيات الأمهات بسبب الاجهاض غير الرسمي قد بلغت ثلاثة أضعاف ماكانت عليه ، وذلك بالرغم من انتشار وسائل منع الحمل وبقول اخر فقد أصبح في النموذج الروماني إرادتان ارادة الافراد التي تريد أطفالا أقل ، وارادة الجماعة ـ أوالدولة ـ التي تريد أطفالا أكثر ، وبين الارادتين تحاول السياسات الحكومية أن تدفع المجتمع لحجم أكبر ، بعد أن بلغ (٢٣) مليونا عام ١٩٨٢ ، ومن غير المتوقع أن يزيد أكثر من مليون واحدة حتى عام ١٩٩٠ ومليون أخر حتى نهاية القرن

والنماذج هنا تشير الى أن مسألة السكان ـ سواء بالزيادة أو النقصان التحديد او التثبيت ـ قد أصبحت من قضايا العصر التي تشغل بال كل دولة

لم تعد القضية متروكة للتلقائية ، ولم يعد الأمر خاضعا لقرار خاص يتخذه الزوجان ولكن أصبحت الدولة طرفا في هذه العلاقة الخاصة ، وهذا الاختيار الذي يحدد حجم الأسرة ،

الدولة أصبحت طرفا ، والتدخل الاداري أصبح أحد أسس القرار العائلي والثقافة والتوعية والحوافز الاقتصادية أصبحت أسلحة تصل بين الاثنين الفرد والدولة وبينما تنتشر في العالم الثالث مقولة « كفى أطفالا تنتشر في بعض بلدان الشمال الأوروبي ، مقولة « سيدتي لماذا لاتنجبين أكثر ؟ » □



الثروة الحقيقيـــة !

كان صن ياتاي العامل الصيني المتقاعد العجوز الـذي جاوز الحـادية والسـعين من عمـره ، عائدا الى بيته بمدينة زيجرو في اواسط الصين ، عندما احس باحدى قدميه تصطدم بحقيبة ثقيلة على جانب الطريق وتوقف ياتاي وانحنى يفتح الحقيبة ، فاذا به يفاجأ بما لم يكن يخطر له على بال فقد كانت الحقيبة الانيقـة تحوي ثـروة من العملة الصعـبة ، عنـدمـا احصوها فيما بعد وجدوا انها تزيد على المائة الف جنيه استرليني

واعاد ياتاي غطاء الحقيبة الى مكانه ، وحملها تحت ابطه وراح يبحث عن اقصر طريق يوصله الى مركز الشرطة الذي لم يدخله مرة واحدة في حياته وهناك سلم الثروة التي عثر عليها لضابط الشرطة وانصرف في هدوء عائدا الى بيته بعد ان ترك اسمه وعنوانه

وفي البيت الصغير الذي يحتـوي عـلى غـرفتين ويعيش فيه مع زوجته وابنه المتزوج ، جلس الرجل يروي قصته مع الحقيبة والثروة التي امتلأت بها ، ويقول « لم يخطر ببالي للحظة واحدة ان احتفظ بهذا المال الكثير كان كل همي عـندما عثرت عليه ان اعيـده لصاحبـه ولم يكن امامي الا ان الجأ الى الشرطة لتساعدني ! واستطاعت الشرطة ان تصل الى صاحب الحقيبة انه احد البنوك المحلية بالمدينة ، وكانت سيارة البنك تحملها مع ست حقائب اخرى تحوي مبالغ كبيرة عندما فتح الباب الخلفي الـذي اهمل الحرس اغلاقه ، وسقطت الحقيبة في الشارع !

وفي مساء ذلك اليوم ، كان ياتاي يشاهد برنامج التلفزيون وفجأة سمع اسمه يتردد على لسان رجـل وقور يجلس الى مكتبه انه مدير البنك الذي اعادت اليه الشرطة المبلغ الضائع وراح مدير البنك يشيد بامانة ياتاي ويتوجه اليه بالشكر بينما كان العـامل العجوز يستمع الى كلماته وهـو يشعر بالفخر بين اصدقائه ومعارفه وجيرانه الذين جاءوا يهنئونه !

قالوا بعد ان انتهى التلفزيون من اذاعة الخبر « الم تحصل على المكافأة التي تستحقها على امانتك ؟

وقـال يـاتـاي « بل حصلت عليهـا واكـثر يكفي انني اعيش اليوم مكرما وسط اسرتي الصغيرة واصدقائي انني فخور بما فعلت هـذه هي ثروتي الحقيقية ! »



الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة !

● كـان أبـوهـا سكيـرا عـربيـدا قـاسى القلب ، أمـا أمهـا فقـد مـاتت منتحـرة وعـاشـت هـى محـرومـة مـن الحب الـذي تبحث عنه كل طفلة . . كانت تنتقل من بيت الى بيت مع المربيات اللواتي كن يتغيرن كما تتغير الملابس التي تضع فيها جسمها الصغير .

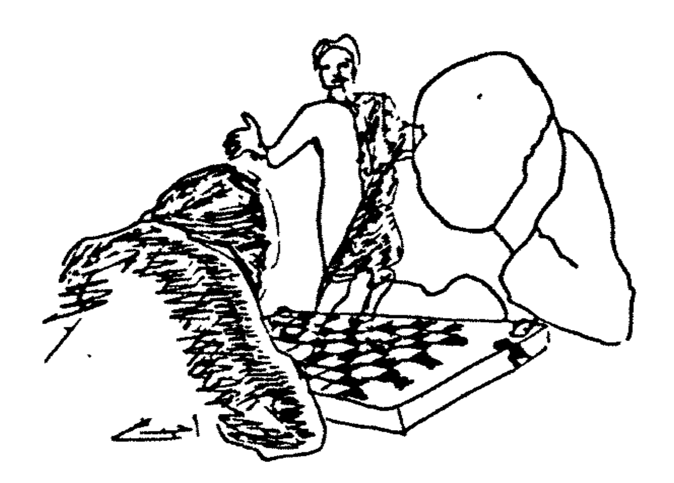
كانت خجولة وكانت تشعـر دائما بـالوحـدة حتى وهي تسير في أكثر شوارع المدينة ازدحاما . . قال لها أبـوها يـومـا بعـد أن لعبت الخمـر بـرأسـه وزاغت عيناه : « يجب أن تعلمي أيتها المخلوقة الضعيفة أن ٩٩ ٪ من سكان هذا الكوكب الذي نعيش فيـه قد جاءوا اليه « صدفة » !!

وسط هذه البيئة التعسة ولدت ونشأت المليونيرة الأمـريكيـة « بـاربـارة هـاتـون » صـاحبـة محـلات « وولـورث » التي تنتشر في جميـع أنحاء الـولايـات المتحدة وأوروبا،وقد رحلت باربارة عن عالمها التعس الذي عاشت فيه طفولتها وشبابهـا في عام ١٩٧٩ ، بعد حياة مليئة بالآلام والأحزان . .

حتى وهي طفلة في السادسة ، لم تـدرك بالضبط ماذا يعنى هذا الكـلام الذي تسمعـه عندمـا جاءوا يقولون لها : « لقد ورثت عن جدك محلات وولورث التي تصل قيمتها اليوم ما يوازي خمسمائة مليون جنيه استرليني » .

فقـد عاشت بـاربـارة بجـرح لا ينـدمـل طـوال حياتها . . كتبت يوما عندما بلغت عامها الثالث عشر تقول : « سوف أعيش حياتي عانسا . . أنا أعلم أن أحدا لا يحبني ، واذا وجدت هذا الحب فلن يكون لي ، وانما سيكون لما أملك من مال ، انني أعلم أنني سأعيش حياتي مع الوحدة !! »

وفي كتاب جديد اختار له مؤلفه عنوانا يعبر عن المأساة التي عاشتها باربارة هاتون الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة ، يستطيـع المرء أن يقرأ صفحات من حياتها التي أمضتهـا في بعشرة المـلايين بحثـا عن الحب . . كانت تريد أن تتزوج رجلا يحبها لذاتها . . وتزوجت سبع مرات ، وفشلت زيجاتها السبع في اسعادها .



لقد كانت باربارة قادرة على أن تشتري أي شيء وكل شيء ، وعندما صور لها خيالها في احدى مراحل حيـاتهـا التي امتـلأت بـالمـرارة واليـأس ، أنها ربمـا استطاعت بفضل ثروتها أن تعيش حياة سعيدة بعيدا عن الرجال الذين كانوا يطلبون ودها من أجل مالها ، سارعت الى شراء قصر منيف في مدينة طنجة وجلست فوق عرش مطعم بالذهب ، وراحت تستقبل ضيوفها كما كانت تفعل كاترين العظمى امبـراطورة روسيـا القيصرية .

ولكنهـا ما لبثت أن ملت حيـاتهـا الجـديـدة التي امتلأت بالنفاق ، فتركت القصر وسافرت هاربة الى باريس وأقامت في جناح خاص بفندق ريتز ، وكانت تدفع في الليلة الواحدة مبلغا يوازي الآن أكـثر من ثـلاثة آلاف جنيـه استرليني . ثم تـركت هـذا كله ومشت حافية فاذا بها تجد نفسها تعيش وسط غابة !

وعندما تقدم بها العمر راحت تبحث عن السعادة في مكان آخر . .

« في المكـان الوحيـد الذي أعـاد اليها الشعـور بأنها مازالت تعيش وتتنفس » كما وصفته باربارة هاتون ، في القصائد التي كتبتها وهي تحاول أن تضع فيها بعضاً من أحاسيسها ومشـاعرهـا . . ولم يكن هذا المكـان سـوى الجمعيـات الخيـريـة والمؤسـسـات التي تعنى بالفقراء والمحرومين . . وأخذت تغدق عليها وتهب الملايين للمحرومين .

ولكن سعـادتهـا لم تـطل . . فقـد بـدأت تشعـر بـالشيخوخـة تزحف الى جسـدهـا النحيـل وقلبهـا

المريض ، فذهبت الى فراشها تطلب فيه الدفء . . ولكنها لم تستطع أن تغمض عينها . . لقد هرب النوم من رأسها المتعب المهموم .

يقول مؤلف الكتاب دافيد هيمان : « وعندما ماتت المليونيرة التعسة ، وجاءوا ليحصروا تركتها ، لم يجدوا شيئا لقد ذهبت ثروتها كلها . . وعادت فقيرة ، وهي أمنية كانت تعيش لها ، ولكنها لم تتحقق الا بعد رحيلها !!

الوحوش في حراسة الانسان !

● مفاجأة تنتظر اللصوص الذين احترفوا السرقة في تايبه عاصمة جزيرة فرموزة ! فقد رأى رجال الاعمال الاثرياء ان الكلاب البوليسية لم تعد قادرة على حمايتهم وحماية اموالهم وممتلكاتهم امام الاساليب الارهابية التي تفتقت عنها اذهان محترفي السرقة والاجرام ، فما كان منهم لأول مرة في تاريخ مكافحة الجريمة ، الا ان لجأوا الى استخدام الحيوانات المتوحشة بدلا من الكلاب .

وفي مقدمة الوحوش التي تتولى الحراسة الآن الاسد والنمر والغوريلا والدب القطبي ، وهم يدفعون مبالغ ضخمة في سبيل الحصول عليها من حديقة الحيوان او عن طريق البحارة الاجانب الذين يدخلون هذه الوحوش خلسة الى البلاد بعيدا عن اعين رجال الامن والجمارك .

وفي بيت احد رجال الاعمال المتقاعدين ، وهو ثري كبير ، تمرح خمسة نمور في الحديقة الواسعة ، بينما يقف قرد من نوع الشمبانزي على مقربة من الباب الخارجي ، علموه كيف يقرع الطبول التي صفت امامه عندما يسمع صوتا غير مألوف .

ويقول رجل الاعمال صاحب النمور والقرد ، انه كان قد تعرض للسرقة عدة مرات ، بمعدل مرة او مرتين في السنة الواحدة ، ولكنه الآن يستطيع ان يغمض عينيه وينام وهو مطمئن ! .

حياة ربة البيت في ايطاليا مهددة بالخطر !

● عمل ربة البيت في ايطاليا ، وظيفة محفوفة بالمخاطر ! هذه هي النتيجة التي توصل اليها اتحاد شركات التأمين على الحياة في العاصمة الايطالية . ففي عام ١٩٨٣ بلغ عدد الحوادث التي ادت الى اصابات مختلفة اكثر من ٨٠٠ ألف حادث ، أصيب فيها أكثر من مائة ألف شخص ، و ٧٠٠ ألف امرأة ، بعضهن كانت اصاباتهن خطيرة أدت الى عجز تام ، بينما بلغ عدد الوفيات اربعة الاف .

وتقول الاحصائيات المعلنة ان اكثر من نصف الاصابات كانت نتيجة للسقوط من فوق السلم الصغير المتنقل الذي تستخدمه ست البيت للوصول الى الاماكن العالية لتنظيفها ، او بسبب السقوط فوق بلاط المطبخ . وبلغت نسبة الاصابات بين النساء اللواتي تعرضن للارتطام بالمقتنيات في البيت اكثر من ٣٠٪ ، واصابات التسمم ٣٪ ، والاصابات الناجمة عن الحروق ٣٪ ، وكذلك الاصابات الناجمة عن الاختناق او التعرض لصدمة كهربائية فقد سجلت هي الأخرى نسبة لا تقل عن ٣٪ .

ثم ماذا ؟ لقد اكتشفت شركات التأمين ان الوفيات بين النساء اللواتي يقمن بأعمال البيت التي تفرضها عليهن وظيفتهن كزوجات وامهات تبلغ ثلاثة اضعاف الوفيات بين اي فئة اخرى من النساء اللواتي يزاولن اعمالا اخرى ، حتى اصبح قائد سيارة السباق اكثر امنا على حياته من ربة البيت !

الشـــقيقتـــــان !

● دخلت الحـــدة العجـــوز « بيللي كيف » التي حـــاورت العـام السـعـيـن من عمـرهـــا ، مسـابقة لاختيـار أجمـل جـدة وبشـرت الصحف البريطانية صورتها مع بقية الجدات المتسابقات ، وفي صباح اليوم التالي كانت جـدة اخرى تـدعى كويبي فيليس ، تمسك بالصحيفة وتقرأ تفاصيل المسابقة ، وتتأمل صور المشتركات باهتمام ، وما كادت تصل الى صورة الجدة بيللي حتى تـوقفت عندهـا وراحت تتأملها في حيرة ودهشة ، ثم ما لبثت ان أسرعت الى مرآتها تتأمل وجهها هي ، وراحت تحدث نفسها « هل يمكن ان يكون هـذا صحيح ؟ هـل يمكن أن تكون هي ؟

ولم تطل حيرتها ، فقد اسرعت تتصل بها تليفونيا بعد أن حصلت على رقم تليفونها من الصحيفة وعـلى الجانب الآخـر من الخط سمعت صوتها وصرخت أنت بيللي ؟ نعم انا انت شقيقتي إذن هل تذكرين ؟

وصـــرخت بيللي بـدورهـــا واختلط صـوت الشقيقتين بـالـدمـوع وكـان اللقـاء في مـدينـة بورتسموث بانجلترا ما القصة ؟

لقـد افترقت الشقيقتـان منـذ اكثر من خمسين عاما وكان اللقاء اخيرا بعد أن ظنتا كل الظن أن لا تلاقيا !

ان الشقيقتـين حـدتـان اليـوم لخمسـة وثـلاثـين حفيدا !

نهاية رحلـــة كاتـــب !

● حتى عندما كان صبيا صغيرا ، كانت تـراوده دائما الرغبة في ان يصبح كاتبا مرموقا وقد بدأ بالفعل في هذه السن المبكرة بكتابة الموضـوعات الانشـائية وقصـائد الشعـر .

وعـنـدمـا بلغ العشـرين ، استـطـاع رافـائيـل ستاميلوتو ، وهذا اسمه ، ان يفرغ من كتابة اول مؤلف له ، ثم ما لبث ان حمله وذهب به الى احدى دور النشر الكبرى في مدينة ميلانو بايطاليا !

وقرأ الناشر القصة ، ولكنه ما لبث ان اعادها الى « الكاتب » الصغير قائلا لا تصلح ، لأنها تفتقر الى الواقعية ان الكاتب يا بني لابد ان يخوض تجربة الحيـاة حتى يستطيـع ان يكتب ! وقرر رافـائيـل ان يلتحق بالفرقة الاجنبية في فرنسا وسافر الى مرسيليا ، واصبح محاربا مأجورا

وعاد بعد عامين ليكتب من جديد ، وقرأ الناشر ما كتب ، وقال ليس في كتابك الجديد قلب يخفق ! انه موت ودماء بلا دموع ، لم اجد لمسة دفء واحدة بين سطوره !!

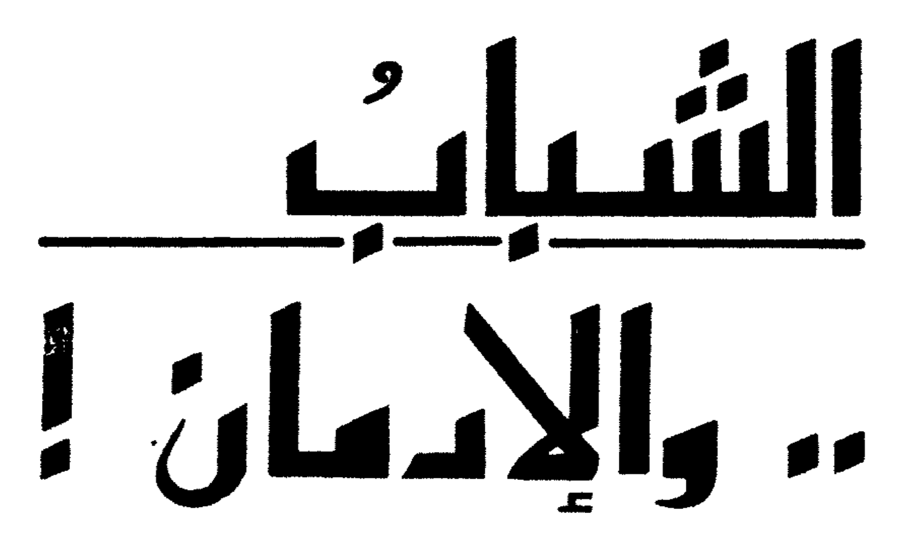
ولم ييأس رافائيل ، راح يجري من جديد ، وكانت تجربته في هذه المرة مع المغامرات الغرامية ، ثم ترك ضحاياه وعاد ليكتب وقرأ النـاشر كتـابه وقـال « اين المغامرة في كل هذا انها قصص يمكن ان تجد ابطالها في اي مكان !

وقرر « الكاتب » ان يذهب الى احراش افريقيا ، وعاد بعد عامين يحمل كتابا جديدا ! ولكن الناشر عاد يقول « لقد تغير مزاج القاريء انه يبحث عن العنف والحركة وليس في كتـابك اي شيء عـبر تجاربك مع الحيوانات المتوحشة التي كنت تطلق عليها الرصاص فتسقط امامك بلا مقاومة !

واحس رافائيل بخيبة امل ، ولكنها لم تستطع ان تثنيه عن عزمـه وفي هذه المـرة ، خرج يبحث عن « العنف » ووجده في تلك المحاولة التي قام بها للسطو على أربعة محال تجارية ومصرف كبير في مدينة ميلانو الايطالية !

وقبض عليه بعد معركة مع رجال الشرطة ، وقدم للمحاكمة وحكموا عليه بالسجن لمدة عامين !

قال وهم يسوقونه الى زنزانته « من يدري فقد استـطيع ان اصنع كتابي الجـديد عن الحيـاة داخل السجـون !!



بقلم : الدكتور درى حسن عزت*

اذا كانت الحضارة الحديثة قد يسّرت الكثير من سبل حياتنا ، وأشاعت فيها مزيدا من القوى والامكانات ، وألوانا من المتاع والوفرة ، فانها لم تعفنا من ضجيجها ومنغصاتها ، حتى استغلقت دروب الامن أمام بعض الشباب ، وضاقت صدورهم عن معايشة الواقع ، فاجتذبتهم المواد المخدرة لترمي بهم في عوالم الضياع والدمار.

وفي هذا الموضوع نتعرف الى حطورة هذه المواد ، وسبل وقاية شبابنا منها ، ومعالجة أولئك الذين جرفهم قدرهم التعس الى التردي فيها

انتشر استعمال المواد الادمانية بين سائر فئات المجتمع في العقدين الاخيرين وظهرت الاثار السلبية لذلك وتنبه الجميع الى خطورة الظاهرة والى ضرورة اتخاذ الاجراءات لمكافحتها حاليا وللوقاية من زيادة انتشارها مستقبلا

فبعد ان كانت المواد الادمانية لاتتعدى المشروبات الكحولية والحشيش والافيون ومشتقاته اشتملت الان على المهدئات النفسية والمنومات والمنشطات والمواد « المهلوسه » مثل حمض الليثارجيك وكذلك استنشاق المواد الهيدروكربونية التى تدخل في تكوين الأصباغ والاصماغ والبنزين

وبعد ان كانت اعلى أعمار المدمنين حول مرحلة منتصف العمر تدنت مؤخرا لتصل الى سن الشباب أي حول سن العشرين وفي بعض الاحيان حول سن العاشرة وبعد ان كان الادمان ينتشر بين الذكور بدأت تظهر حالات قليلة بين الاناث ، كما زادت نسبة دخول حالات الادمان الى مصحات العلاج النفسي بالنسبة الى الدخول الكلي لكافة الامراض من

* استشارى الطب النفسي ـ الكويت

٣ ـ ٥ ٪ في الماضي لتصل الى حوالي ١١ ـ ١٣ ٪ : في الحاضر .
هذه بلا شك مؤشرات واضحة تدق الناقوس عاليا ليسمعه المسئولون عن قطاعات الشباب وغيرهم لأخذ الامر بالجد الذي يستوجبه .

أسباب الانحراف

هذا المجال مازال فى حاجة الى مزيد من البحث والاستقصاء ، فهناك من يقول إن الشباب يواجه الضغوط والحرمان ، ولايستطيع قسم منه مواجهة ظروف حياته الصعبة فيهرب الى استعمال المواد الادمانية التى تبعده فى الخيال عن واقعه مؤقتا . وهناك من يقول ان الكثيرين يدمنون بالرغم من أن حياتهم راغدة وظروفهم سهلة لاتسبب ضغطا ولاحرمانا ، وهذا القول صحيح ، ولكن بالرغم من هذه الظواهر المتناقضة فإن هناك ثوابت يمكن الاعتماد عليها .
فبشكل عام يواجه الشباب فى المجتمعات المتقدمة مستقبلا غامضا ، إذ انه بالرغم من عظم الجهد المطلوب منه ى حاضره فإن المقابل المتوقع له مستقبلا لايوفر له حياة مستقرة ، فالبطالة وصلت الى أكثر من ١٥٪ من قوة العمل ، ويقع على الشباب العبء



الاكبر من آثارها ، والوضع فى البلاد النامية اكثر سوءا من ذلك بكثير ، ناهيك عن البطالة المقنعة التى تسبب الملل والحرمان من تأكيد الذات وتحقيقها ، كذلك يُدفع الشباب أحيانا للقيام بمهام وتحمل أعباء ليست لديهم القناعة الكافية بضرورتها والمثل الواضح على هذا هو حرب فيتنام ، فنتيجة للاحباط الذى اصاب الشباب الامريكى بسبب هذه الحرب انتشرت بين صفوفه موجَة عارمةٌ من الادمان لم يفق من آثارها حتى اليوم .

كذلك سرعة إيقاع الحياةَ الحديثةَ وما يتبع ذلك من حدة المنافسة بين الانداد لتحقيق الاهداف ، وكثرة المتطلبات الحياتية مع محدودية الامكانيات لتلبيتها وازدياد معدل المتغيرات فى المجتمعات ومايستلزمه ذلك من تقبل للقيم الجديدة وضرورة التأقلم على الاوضاع المتحددة ، والشعور بالفجوة بين الاجيال ومفاهيمها المتناقضة ، والمعيشة فى بيئة قلقة كأنها بوتقة من الاحداث التى لاتهدأ ولاتسمح لاحد باستقرار أو هدوء ، كل هذه العوامل تشكل فيما بينها محصلة من الضغوط تعمل عملها فى انسان العصر مما يثير عنده الاحساس بالاغتراب ويدفعه للهجرة الذاتية داخل النفس أو يثقل عليه شعوره بواقعه فيحاول التخفيف من وطأته باستعمال المهدئات او المنومات او المنشطات او المخدرات التى سرعان مايقع فريسة الادمان لها ، كذلك يميل الشباب بطبعه الى التحرر والانطلاق والتعبير عن نفسه وتأكيد ذاته ، وعلينا أن نعترف ان الشباب فى معظم البلاد النامية لايجد امامه المساحة الكافية فى وسائل الاعلام الحديثة للتعبير المأمون عما يجيش به صدره ، وهذا من العوامل التى تدفع البعض منه الى التنفيس فى عالم الخيال الذى تعوضه له المواد الادمانية عما يعجز عنه فى عالم الواقع ، ويلاحظ ايضا ان الادمان ينتشر بين الشباب الذى ينشأ بين الاسر المفككة التى يسودها الاضطراب والفوضى ويحكمها الجمود والقسوة والتسلط ، او تتراخى فيها سلطة الوالدين اوتهتز فيها صورة الاب المثالى بسبب انحرافه او ادمانه هو الأخر .
وأخيرا ، فقد اعلن مؤخرا ان البلاد التى تزرع النباتات المخدرة زادت انتاجها كوسيله للتغلب على أزماتها الاقتصادية فتضاعف التصدير للاسواق العالمية

مما نتج عنه انخفاض سعرها وتوافرها بين أوساط الطلبة والعمال ، ناهيك عن تقدم تكنولوجيا التهريب والترويج وسطوة رجال العصابات مثل (المافيا) وغيرهم وفعاليتهم في توريد المخدرات ونشرها بين راغبيها

اعراض الادمان :

ينتج عن إدمان بعض المواد التي أتينا على ذكرها مجموعة من الاعراض ، هذه تتوقف على نوع المادة الادمانية

فالافيون ومشتقاته كالمورفين والهيروويين يُشعر المستعمل بحالة من الخدر الحسي تشبه الحلم مع الغبطة والانفصال عن الواقع تستمر لبضع ساعات يعقبها شعور بالانحطاط والانقباض مما يدفعه للبحث عن جرعة اخرى ترجعه للحالة الاولى ، ويستمر هكذا مع اضطراره لزيادة الجرعة للحصول على نفس الاثر ، واذا اضطر المدمن للتوقف فجأة عن التناول حدثت ردة فعل قوية تعرف « بالحالة الانسحابية » تبدأ بعد ساعات من الانقطاع وأهم اعراضها القلق والخوف وعدم الاستقرار ، مع التثاؤب والعرق وزيادة الافرازات وكذلك الغثيان والقيء والاسهال ، مع تقلصات بالبطن والام بالجسم

الكوكايين :

وهو منبه للجهاز العصبي،ويتناول بالحقن او الاستنشاق ويسبب النشاط البدني وقوة الرغبة الجنسية والشعور بالغبطة

واعراض التسمم تشمل الاضطرابات العقلية والشعور بالاضطهاد واحساس بزحف الحشرات فوق الجلد ، واستنشاقه يسبب التهابات وتقرحات للغشاء المخاطي للانف

الحشيش او (الماريهونا):

هو من اقدم انواع المخدرات واكثرها انتشارا في العالم بين مختلف الاجناس والطبقات والاعمار ، والماده الفعالة هي مادة الكانابينول

ويستعمل عن طريق التدخين ويسبب حالة تشبه الحلم حيث تكون الافكار تجرى بغزارة دون ترابط او سيطرة او قيود ، كذلك يختل إدراك الوقت والمكان وتقدير الأبعاد ، وبالتعود عليه يصبح المرء متبلدا كسولا ، لايعنيه مايدور حوله ويفقد الدافع الارادى لتحسين احواله وينعزل عن النشاط الاجتماعى الايجابى

وللحشيش شهرة أن له مفعولا منشطا للقدرات الذهنية والنشاط الحسي عند الرجال ، لكن ذلك لم يثبت بالدليل العلمي

القات :

تمضغ الاوراق وتخزن بالفم ويستحلب عصيرها ويبلع ، ويُحدث القات تنبيها للجهاز العصبي وشعورا بالغبطة والرضا وحسن الحال ، يصاحب ذلك ميل للثرثرة والخلط في مواضيع التفكير والكلام وبانتهاء المفعول يشعر المتناول بالتبلد والاكتئاب وفقدان الشهية للطعام

عقاقير الهلوسة

واهمها حمض اللسارجيك

وينتشر استعماله بين بعض الشباب الفاشلين والعاطلين عن العمل ،وتؤخذ هذه العقاقير عن طريق الفم بجرعات صغيرة جدا ، لهذا فخطر انتشارها كبير إذ أن تهريبها وايصالها للمستعملين لايشكل مخاطرة كبيرة وتسبب هذه العقاقير حدوث الهلاوس وبالاخص البصرية منها فيرى المتناول مناظر عجيبة بألوان متغيرة وتفاصيل غريبة وتراكيب تتصل وتنفصل ، وتتداخل وتختفي،وتظهر على هيئات واشكال لانهائية في تغيرها تسبب احساسا بالذهول والاعتزاز والذعر احيانا ، ويكون الذهن صافيا يراقب مايدور في حالة من الاندهاش والاستسلام والاستغراق ، وبعض من يتناولون هذه العقاقير تحدث لهم حالات اضطراب عقلي تشبه مرضى الفصام

الأمفيتامين :

هو منبه للجهاز العصبي ويستعمله بعض الطلبة قبل فترة الامتحانات واثناءها لازالة الشعور

بالتعب والتغلب على النعاس وسرعة الاستيعاب ، وبعض الاناث يستعمله للتحكم في الشهية وتخفيف الوزن ، وبشكل عام يولد الامفيتامين الشعور بالثقة في النفس وتزايد الطاقة البدنية فيتعاطاه الشباب في البلاد العربية قبل حضور الحفلات الصاخبة ليزداد عددهم الصخب ويشطون بلا تعب في الرقص والغناء والصراخ والاستمتاع ، والادمان على هذا العقار يؤدي الى حدوث حالات اضطراب عقلي تشبه مرضى الفصام وتحتاج للعلاج في المستشفيات النفسية ، كما يمكن ان يحدث اضطرابات سلوكية غريبة على الطباع الاصلية كالتورط في السرقات والمطاردات الحسية دون كبح أو سيطرة ، والكثيرون اهملوا اعمالهم وفشلوا في دراساتهم او الانتظام في الحياة الاجتماعية المتحة

ومن العلامات الكاشفة للادمان المبكر على الامفيتامين ، ان المدمن يسرف في عملية المضغ دون أن يكون في الفم ما يُمضغ ، وكذلك الكز على الاسنان واحتكاك اللسان من حافيه بداخل الشفة السفلى إلى درجة التقرح لكليهما

ويمكن ان تصدر من المدمن افعال خطرة ضد المجتمع كالاعتداء على الاخرين والعنف تجاههم او ارتكاب جرائم القتل نتيجة للمعتقدات الوهمية الاضطهادية او يقدم على الانتحار في اثناء نوبة من الاندفاع والاستهانة بالمخاطر او نوبة من الاكتئاب الشديد واليأس وفقدان الامل

الادمان على المشروبات الكحولية :

تعرف منظمة الصحة العالمية المدمنين على الكحول بأنهم « هؤلاء الذين يشربون باسراف ويعتمدون على الكحول في حياتهم بحيث تظهر عليهم تبعا لذلك اضطرابات عقلية واضحة ، او يؤثر في صحتهم النفسية والبدنية ويقلل من كفايتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية ، أو الذين تظهر عليهم العلامات الاولى لهذه المرحلة »

وجدير بالذكر أن تناول الكحول بكميات كبيرة بشكل متقطع غير ادماني يمكن أن ينتج عنه سلوك عدواني وتصرفات منتقدة اجتماعيا وخلقيا بسبب ضعف القدرة في السيطرة على النفس وبعض الناس يتصرفون بعنف وعدوان حتى بعد تناول كميات قليلة من الكحول ولو كان ذلك لاول مرة

أعراض الادمان على الكحول :

الاعراض البدنية

- آلام واحساسات غريبة أوفقدان الاحساس في منطقة القدمين واليدين نتيجة التهاب الاعصاب الطرفية
- التهاب المعدة المزمن والقرحة نتيجة لتهيج الغشاء المخاطي
- رعشة في اليدين او البدن بأكمله
- تليف الكبد وتضخمه ومن اعراضه القيء الممزوج بالدم
- التهاب الحنجرة والشعب الهوائيه نتيجة الاسراف في التدخين ، فالادمان على الكحول غالبا ما يصاحبه الاسراف في التدخين
- نوبات صرعية لتهيج انسجة المخ نتيجة الاعراق المائي لمن ادمنوا تناول البيرة
- التهاب العصب البصري مما يؤدي لفقدان البصر بسبب تناول الخمر الرديئة او شرب ماء الكولونيا او الكحول المثيلي المستخدم في الصناعة
- يصبح المدمن سريع الاستثارة ضيق الصدر دائم القلق والاكتئاب
- تضعف عنده الذاكرة للاحداث القريبة وبتطور الحالة يمتد الضعف للاحداث التي تتعلق بالماضي
- يعاني المدمن من المعتقدات الوهميه الباطلة ، وبالاخص التشكك في سلوك الزوجه واتهامها بالباطل في إخلاصها
- الهلاوس السمعيه المزمنة اذ يسمع أصواتا تسبه وتلعنه وتقلل من شأنه
- بطء الانعكاسات العصبية وخلط المدركات مما يسبب الحوادث السيئة

مضاعفات الادمان :

- بسبب تلوث الحقن تحدث الالتهابات الجلدية والخراج الموضعي ، كذلك تخثر الاوعية الوريدية كما تنتقل الامراض مثل التهاب الكبد الوبائي وداء الزهري والملاريا

ـ عدم القدرة على العمل المنتج مما يؤدي الى الطرد من الوظيفة أو العمل وفقدان مصدر الرزق

ـ الفشل في الدراسة بالنسبة للطلبة وضياع المستقبل

ـ إهمال الاسرة وضياع الصغار من افرادها نتيجه لادمان ربها العائل لها

ـ التدهور الاجتماعي والخلقي ، اذ يضطر المدمن الى ارتكاب الجرائم للحصول على المال لشراء المخدرات او يُدفع الى ذلك بواسطة المروجين مقابل الحصول على المخدر فينغمس اكثر في الجريمة ويعيش في العالم السفلي من المجتمع

علاج الادمان :

يهدف العلاج الى تغيير السلوك الادماني بالكليه الى سلوك اكثر توافقا . ولهذا يلزم دخول المريض لمصح خاص بالادمان يتوافر فيه العلاج الشامل من بدني ونفسي وتأهيل والبقاء في المصح لفترة قد تطول لشهور عدة لعزل المريض عن ظروفه التي دفعته للادمان ولحمايته من مطاردة المروجين وصحبه المدمنين الذين يؤثرون عليه باغرائهم له بالرجوع الى الادمان اذا أخرج من المصح مبكرا ، ويجب تضافر جهود المهتمين بالعمل الاجتماعي في التأهيل ، ولرجال الدين دور اساسي في تنمية القوى الروحية لدى المريض لمقاومه الاغراء والانتكاس

الوقاية من الادمان :

الوقاية هي انجح العلاجات لحماية الصغار والشباب من مشاكل الادمان ومضاعفاته ، ليس فقط من اجل الجيل الحالي بل أيضا من اجل اجيال المستقبل التي لم تولد بعد

وللاسرة الدور الاول في هذا المجال ، اذ يجب ممارسة سلطة الوالدين لوضع الموانع والحدود امام الابناء ومراقبة التزامهم إياها،وعلى الوالدين مناقشة السلوك غير المرضي عنه مع ابنائهم بكل وضوح ، ووضع المثال الذي يجب أن يحتذى امامهم ، فالأبناء يحتاجون لهذا الارشاد ويرحبون به لكننا نجد في أحيان عديدة انهم يفتقدون هذه الرعاية الاسرية الاساسية

وعلى رب الاسرة ان يؤكد على القيم والأخلاق حتى ينشأوا عليها ويهتدوا بها في حياتهم ، فاذا وضحت هذه المفاهيم للابناء منذ صغرهم اصبحوا محصنين ليس فقط ضد الادمان بل ضد جميع أنواع الانحرافات ، وليس أنفع من قيم الايمان الصحيح وأخلاقه السامية يُحصَّن بها الابناء وتُسلح بها الاجيال

وعلى وسائل الاعلام وبالاخص« التلفاز » بث التوعية المستمرة المستنيرة التي يقوم بها المتخصصون على أن تكون ضمن خطة قومية شاملة لمكافحة الادمان ، ولن يجدي في مجال التوعية حديث فردي عابر ، ويجب ان يُراقب نوعي كل ما ينتج ويعرض من مسلسلات وافلام عن الادمان ، فالبعض من هذه الوسائل رغم ادعائها التوعية لمضار الادمان تحتوي من المشاهد والمواقف والحوار مايمكن اعتباره مدعاه اليه وترغيبا فيه ، وقد تعلم الصغار الكثير عن ممارسه الادمان خلال افلام الفيديو التي يشاهدونها سرا في غفلة من مراقبة الكبار

كما يجب التدقيق في الحصول على الأدويه المهدئه والمنومة والمنشطة من الصيدليات والمستشفيات ، اذ ان هذه الادوية يساء استعمالها في بعض الاحيان وتتخذ بديلا عن المواد الادمانية الاصلية في حال عدم توافرها ، وهذا التدقيق يجب أن يسري في جميع بلاد المنطقة الواحدة فلن يجدي التدقيق في بلد ما بينما التفريط موجود في اخر

وفي الختام يجب أن نبين مرة اخرى ان الشباب ينزع بطبعه الى الحرية والانطلاق وحب المغامرة والتجربة واشباع الفضول

وعلينا ان ننظر الى الشباب ومشاكله بنظرة متفهمة وبروح متعاطفة ومساندة ، ونيسر له قنوات التعبير الكافية ليفصح عن ذاته في أسلوب مأمون ملائم ، لكيلا يدفع الى دروب خفية يلتمس فيها ما حُرم منه إذا ما أحيط بجو من القهر والجمود والحرمان ، وعلى الشباب أن يضع المستقبل نصب عينيه ، فالمستقبل له وهو صانعه ، والمجتمع ينظر الى الشباب بثقة واكبار ويتوقع منه الخير الكثير لحاضره ومستقبله □

الرأي ، والرأي الآخر . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .



تعريب التعليم في الجامعات

بقلم : عبد الرزاق البصير

بالرغم من صدور ونشر مئات الكتب والدراسات ، ربما قبل بداية هذا القرن ، حول ضرورة تعريب التعليم في أقطارنا العربية ، وبالرغم من حصول بعض هذه الأقطار على استقلالها منذ ما يزيد على نصف قرن ..

مع ذلك فان بعض المواد العلمية مازالت تدرس بلغات أجنبية في جامعاتها ومعاهدها ..

فما هي العقبات والصعوبات التي تقف حجر عثرة بوجه التعريب ، وكيف كان الأمر في زمن سابق على زماننا ؟

من المحقق أن المثقفين من الانجليز والفرنسيين والألمان ، وفي كل الشعوب المتحضرة لا يفكرون في التعليم بلغاتهم ، لأن ذلك أمر أصبح من المسلمات ، فكل أمة حية تعلم أبناءها بلغتها ، ومن المؤكد أن بعض هذه الأمم ابتلى بمثل ما ابتلينا به من سيطرة المستعمرين ، ولكن هذه الأمم لم تكد تستقل وتسيطر على شئونها حتى جعلت التعليم في جميع مراحله بلغاتها من بديهيات الاستقلال ، ومن عجب أننا معشر العرب الذين نمتلك لغة تعد من أقدر اللغات على استيعاب ما يجد في الحياة ، بشهادة التاريخ الذي مرت به الامة العربية الاسلامية أيام ازدهارها وقوتهامن عجب أننا ما زلنا ندعو الى تعريب التعليم على الرغم من مرور أكثر من قرن من الزمن على بداية تعريب التعليم ، فمن المعروف أن الطب كان يدرس باللغة العربية في مصر أيام محمد علي الكبير المتوفي سنة ١٨٤٩ .

فالمفروض والحالة هذه أن نكون قد تجاوزنا معالجة قضية التعليم بلغة القرآن في جميع مراحل التعليم ، وينبغي أن نكون قد انتهينا من بحث هذه القضية وأصبحت في الواقع العملي منذ مدة طويلة ، فان التعليم باللغة القومية أصبح من المسلمات عند جميع الأمم الحية كما أشرنا الى ذلك قبل قليل ، فهي لا تحتمل الأخذ والرد ، فمن المعروف أن جميع الامم التي لها لغة قومية متكاملة أصبحت تعلم أبناءها بلغاتها في جميع مراحل التعليم ، وهذه ايران سعت حثيثا الى اتخاذ الفارسية وسيلة للتدريس في الطب والصيدلة والهندسة والزراعة وغيرها من الفروع العلمية ، وهذه الهند سعت بعد استقلالها الى استخدام اللغات الهندية وحدها أو بالاشتراك مع الانجليزية في التعليم العالي للعلوم البحتة والتطبيقية ، وتوضع الآن باللغات الهندية كتب في مختلف العلوم لتدريسها في الجامعات ، وهذا الكيان الصهيوني يستخدم اللغة العبرية في تدريس العلوم ، وقد نجح الصهاينة في ذلك نجاحا كبيرا في بضع سنين .

الآن وليس غداً !

والأمثلة على تعليم الأمم أبناءها في جامعاتها ومعاهدها بلغاتها القومية أكثر من أن تحصى ، فالصين واليابان قد سلكتا هذا السبيل ، على الرغم مما في لغاتهما من تعقيدات شديدة نشأت عن تراكيبها . ان الزام اللغة القومية في التعليم من الأمور التي لا تقبل النقاش ، وذلك ان التعليم الجامعي باللغة القومية من أهم عناصر تقرير المصير ، وهو أمر يعتمد على اتخاذ القرارات الحاسمة من قِبَلِ مَنْ بيدهم الأمر والنهي ، وكمثال على ذلك ما حدث في الجزائر ، حيث أن المشتغلين في التربية والتعليم عقدوا مؤتمرا حضره المرحوم هواري بومدين ، وأخذوا يتحاورون حول السؤال القائل « متى نبدأ في تعريب التعليم ؟ » وكيف نبدأ ؟ وقد استمر الحوار عدة ساعات ، وحين انتهى حوارهم ، سأله المؤتمرون عن رأيه فكان جوابه ينبغي أن نبدأ في تعريب التعليم من هذه الساعة ، ولا يجوز السؤال عن متى نبدأ وانما السؤال هو كيف نبدأ في تعريب التعليم ؟ ونحن نعلم جميعا ان اللغة الفرنسية في الجزائر قد أمعنت بصورة قوية الى حد جعل الكثير منهم لا يستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية ، واذا ما تساءل متسائل عن سبب لانصرافنا عن تعليم أبنائنا في كليات العلوم بلغة القرآن ، فان الجواب يأتي بأن الأمة العربية قد قدر الله لها أن تحيا عدة قرون تحت ظل حكم أجنبي ، وان يخيم الجهل عليها ، حتى ضعف وعيها الى درجة أصبحت لا تقدر ما يعنيه ضعف لغتها من أثر على وجودها ، فلما جاء الاستعمار الاوروبي زاد في تعميق هذا الداء في نفوس الكثيرين ، لأنه يدرك بأن أهم عناصر قوة الأمة وعزتها يأتي من قوة لغتها . وقوة اللغة تنشأ من ترجمة العلوم اليها وتعليم أبنائها بها ، لأن ذلك يخلق في الأمة اعتزازا بلغتها ، فانه اذا لم يتأكد في نفوس أبناء الأمة أن لغتهم قادرة على استيعاب ما يجد في الحياة انهدمت أو ضعفت على الأقل ثقتهم بلغتهم ، مما يجعلهم ينصرفون الى غيرها من اللغات الأجنبية ، وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا إن كل أمة تصل الى مثل هذا الحال يصبح شأنها ضعيفا ، مما يجعلها هدفا للغزو الثقافي .

ومن غريب الأمر أننا كنا نعلم أبناءنا الطب قبل أكثر من قرن باللغة العربية ، وكان الطلاب يتلقون ذلك بكل يسر وسهولة ، بحيث أنهم كانوا ينجحون في فهم ما يلقى اليهم من تلك الدروس أحسن الفهم . فقد كانت مدرسة القصر العيني في القاهرة تدرس الطب باللغة العربية ويضع اساتذتها الكتب بها . يقول الدكتور احمد شوكة الشطي عن هذه الكتب ، في كتابه « نشاط العرب العلمي في مائة سنة » ، « لو تصفحنا الكتب التي ألفت أو ترجمت في مدرسة قصر العيني يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتبا ممتازة لا تقل عن أمثالها في ذلك الحين من كتب الغرب جودة في الطبع وحسنا في التعبير وبراعة في الايضاح » .

على أن مجامع اللغة العربية قد وضعت المئات من المصطلحات العربية في علوم الطب والكيمياء والهندسة والفيزياء الى غير ما هنالك من العلوم التطبيقية ، مما يدل على أن اللغة العربية قادرة على مسايرة الحياة ،ولكن المؤسف حقا أن تظل هذه المصطلحات التي بذل فيها علماؤنا جهودا مضنية ،

أقول من المؤسف حقا أن تظل هذه المصطلحات حبيسة في كتب المجامع ومجلاتها . . لا ينتفع منها الا انتفاع قليل جدا ، كحديث يذاع من احدى المحطات الاذاعية ، أو مقال صغير بسيط ينشر في بعض المجلات أو الجرائد ، في حين أن هذه المصطلحات ينبغي أن تكون مستعملة في جامعاتنا ومعاهدنا ، ولقد حضرت في مجمع اللغة العربية في الأردن ، واستمعت من رئيسه الدكتور عبد الكريم خليفة حديثا يدعو الى الحزن والألم . . . يقول الدكتور خليفة « ان بعض اساتذة مادة الرياضيات في جامعة اربد ترجموا الكتب المختصة في هذه المادة والمقررة على الطلاب في السنة الاولى وأخذوا يلقون منها دروسهم عليهم ، فكان نجاحهم باهرا لان استيعابهم لهذه المادة كان قويا جدا ، ولكن الغريب في الامر أن عميد تلك الكلية قد تغير وجيء بعميد آخر ، فأمر بأن تلغى الكتب المترجمة الى اللغة العربية ، وأن توضع مكانها كتب باللغة الأجنبية ، ولا تسل عما حدث من ارتباك في نفوس الطلاب ، وفي هذا دلالة على أن هناك من يسعى لابعاد اللغة العربية عن التعليم الجامعي ، وهو أمر لا يجوز السكوت عنه .

ومهما يكن من أمر فنحن نعلم جميعا أننا نبعث طلابنا للدراسة في مختلف البلاد الأجنبية كأمريكا وفرنسا وروسيا وانجلترا وغيرها من البلاد ، فيعودون الينا حاملين الشهادات العليا بمختلف اللغات ، فما عسى أن نصنع بهؤلاء من بناتنا وأولادنا ، وكيف ننتفع بدراساتهم بلغات مختلفة ، والتي أنفقنا عليها كثيرا من الأموال ، وبذلوا فيها جهودا عظيمة مشكورة ؟ من المحقق أن الانتفاع بهم لا يمكن الا اذا كان التعليم الجامعي عندنا باللغة العربية ، فان التدريس باللغة العربية يساعد على نمو اللغة وتطورها ، كما أنه يذلل صعوبة اختلاف المصطلحات ، فان ممارسة التعليم هي التي تطوع اللغة في هذا الشأن .

والدليل القوى على ما ذهبنا اليه هو أن التعليم في الجامعات السورية باللغة العربية قد بدأ منذ ستين سنة أو أكثر ، وقد تخرج في تلك الجامعات أعداد كبيرة من الطلاب في مختلف العلوم التطبيقية ، وان من العجب حقا أن ننسب العجز الى لغة كانت لغة العالم المتحضر ، قبل ألف سنة ، وقد نقل اليها من اللغات الأجنبية كثير من الكتب العلمية في زمن لم تبلغ الحاجة الى النقل مثلما بلغته في وقتنا الحاضر ، دون أن يشكو المترجمون من عجز اللغة العربية . . وكيف تعجز لغة تضم أكثر من اثنى عشر مليون كلمة عن احتضان العلوم التطبيقية ، وما نظن أن اللغة الانجليزية والألمانية والصينية وغيرها من اللغات القديمة والحديثة تملك من ثروة المفردات أكثر مما تملكه لغة القرآن . ولكن الذي نحتاج اليه هو الثقة المطلقة بلغتنا العربية .

التدرج في التطبيق

وقد ثبت علميا أن الطلاب المتخرجين في الجامعات التي تدرس باللغة العربية ، يكونون أقدر على فهم ما يلقى عليهم من الدروس ، ومن ثم يصبحون قادرين على تدريس العلوم بلغتهم ، والطريق العلمي أن نتدرج في ذلك ، فنكتفي في أول الأمر باعطاء مادة أو مادتين علميتين ، ثم ننطلق بعد ذلك في تدريس بقية المواد العلمية ، وليس من شك أن التجربة في أى عمل من الأعمال هي التي تذلل كل عقبة وتزيل الحواجز التي خلقها الاستعمار وعملاؤه في النفوس .

أما وسائل تنمية اللغة فهي كثيرة لعل أهمها الاشتقاق والتعريب ، وقد تحدث العلماء عن قواعدها أحاديث مفصلة تضمنتها مؤلفات قيمة ، منها القديم ومنها الحديث ككتاب « المعرب » للجواليقي وكتاب « شفاء الغليل » للخفاجي و « المعرب من القرآن » للشيخ حمزة فتح الله . . وغيرها كثير وكلها تشهد بمرونة اللغة العربية ، لان الاشتقاق من صفاتها ، ومن المحقق أن علينا ألا ندخل في لغتنا العربية إلا ما نحتاج اليه ، لان في إدخال مالا نحتاج اليه إضعافا للغة العربية .

وهناك « النحت والتوليد والقياس والتركيب » وقد أقر مجمع اللغة العربية هذه الوسائل ووضع لها قواعد محكمة فيها صون للغة العربية ومراعاة للذوق العربي ، ذلك أن بعض الناس يخرج على هذا كله ، وكمثال على ذلك نشير الى ما فعله البعض حيث قال في قلم الحبر « قلمح » أو « قحبر » أو « قلحب » .

عبر من ماضينا

وعلى كا حال فاننا جميعا نفخر بما لنا من تراث علمي جليل ـ شمل الطب والرياضيات والفلك والفيزياء وغيرها من العلوم التطبيقية ـ قام به علماء أجلاء شهد لهم الأجانب بالنبوغ والتفوق كجابر بن حيان ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة ، والحسن بن الهيثم ، وغيرهم كثيرون ، ولسنا في حاجة الى القول إن هؤلاء العلماء أصدروا آثارهم العلمية باللغة العربية ، دون أن يلاقوا أي صعوبة تمنعهم عن ذلك ، فهل يجوز ـ ولغتنا العربية على ما ذكرناه من القابلية والتكيف ـ أن نمتنع عن تعريب التعليم ، بحجة أن لغتنا غير قادرة على تعريب المصطلحات العلمية الجديدة ؟

والامة الحية هي التي تصل حاضرها بماضيها ، وليس من وسيلة لهذا الأمر أفضل من تعريب التعليم . لان هذا النهج يدفع علماءنا الى المشاركة والمساهمة في مختلف العلوم التطبيقية المعاصرة ، على أن التعريب الذي ندعو اليه لا يقتصر على التعليم في كليات العلوم بالجامعة وانما يجب أن يمتد الى كل المؤسسات والوزارات الرسمية وغير الرسمية لأن من شأن ذلك جعل الثقافة غير مقصورة على صفوة من الناس ، وإنما تصبح قدرا مشتركا بينهم جميعا ، فالفرد يصبح مقدرا للغته أعظم التقدير حينما يجدها هي اللغة السيده في الجامعات والمعاهد والمؤسسات ، ثم ان هذا النهج يعزز الوحدة الوطنية بصورة خاصة لما للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية من أثر قوى على الجماهير بما لها من اتصال مستمر بالمؤسسات ، ويعزز الوحدة العربية بصورة عامة ، والتي هي حلم كل فرد مخلص لهذه الأمة . اذ لا توجد مصطلحات فرنسية في هذا القطر وايطالية في ثان وانجليزية في قطر ثالث ، وانما توجد لغة مشتركة بين أمة العرب في جميع أقطارها .

وبالجملة فاني اعتقد اعتقادا جازما أن جامعات جمهورية مصر العربية اذا أخذت بالتعليم باللغة العربية في كليات العلوم ككلية الطب والهندسة ، الى ما هنالك من العلوم التطبيقية ، فان نهج التعريب يصبح ساري المفعول في كل البلاد العربية ، لما لمصر من أثر قوى على كل الأقطار العربية ، فما من اتجاه حدث في مصر الا وكان له أبلغ الأثر في مشرق الوطن العربي ومغربه ، مما يؤكد أن مصر هي قلب الأمة العربية .

وبعد . . فان الحديث عن تعريب التعليم ميدان واسع متشعب جالت فيه أقلام فئة كبيرة من المفكرين المؤمنين بعزة أمتنا العربية ـ أمة القرآن ـ ووحدتها □

منتدى العربي

تعقيبات

مَنْ قتلَ اللغة العربيّة ؟

في منتدى العربي بالعدد ٣١٧ من العربي عدد ابريل ١٩٨٥ مقالان دفاعاً عن الفصحى ، ونعياً على قاتليها ، والذين يدعون الى احلال العامية محلها .

والواقع المر أن الفصحى لم يعد يستخدمها حتى بعض من يفترض فيهم الفصاحة والاشتغال باللغة ، وأصبح الذي يتكلم العربية بدون عي أو فهاهة ، وبدون أخطاء في النحو والصرف ، ودون سوء استخدام للكلمات والحروف ، وبغير الاستهتار الذي يكاد يكون متعمداً في استخدام التنقيط

والعواصل ، أصبح مثل هذا الشخص أندر من أن يعول عليه في الدفاع عن اللغة وحمل رايتها الى النصر المبين

والمشكلة مرة وحلها انما يتم بأن يتناقش الناس في أمرها ، دون أن يتهم من يخالفنا في الرأي - كعادتنا دائماً - بالتحريب و « هدم شمل الأمة » وغير ذلك من التعميمات السخيفة التي لم يعد يقبلها أحد ان الاختلاف في الرأي هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة ، والصحافة الحرة في بلاد الله الحرة تنشر مقالين متناقضين في نفس العدد ولا يوصف أي المقالين ولا من كتبهما بالخروج على الأمة ولا بالخيانة ، ولا نعكس هذا من صفات المديح الممجوج التي تصب صباً على من يتفق معنا في الرأي اذ أن كلا من المدح والقدح لا يفيد الناس في شيء ، انما الذي يمكن أن يفيد الناس هو أن نشرح لهم ثلاث نقاط

أولاً مظاهر المشكلة وأبعادها (أو الجانب الوصفي للمشكلة)

ثانياً أسباب المشكلة (أو الجانب التحليلي للمشكلة)

ثالثاً علاج المشكلة (أو الجانب البنائي للمشكلة)

أما عن مظاهر المشكلة فالناس كلهم يعرفونها ، وتكفي مقالة الدكتور الدوادي لبيان بعض هذه المظاهر وخلال ما يقرب من ربع قرن في التعليم الجامعي بالولايات المتحدة وبعض الدول العربية ، لاحظت أن المشكلة تتفاقم باستمرار ولم يعد الطلاب وحدهم هم العاجزون عن استخدام اللغة ، وانما وصل الحال الى أن كثيراً من الأساتذة لا يعرف أبسط قواعد اللغة

أما عن أسباب المشكلة فلعل في القاء الضوء عليها ما يمكن من ايجاد الحل باعتباره السبب الأول في نظري - هو في فكرة التعليم الكمي لا الكيفي ، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية هذه الظاهرة التي بدأت باندفاع جميع السكان على دخول المدارس دون الاستعداد الواعي لخلق الكوادر التعليمية ، انتهت بحيث لا نهاية له من طالبي العلم في جامعات غير مستعدة لاستقبال معشار العدد والنتيجة الحتمية لهذا التيار كانت خلق جيل من أنصاف المتعلمين يعلم جيلاً من الجهلاء ، ولما كان العمل الوظيفي هو النهاية المألوفة لغالبية أصحاب الشهادات ، انتهى الأمر من سيء الى أسوأ ، وأصبح هنا « متخصصون » في جميع فروع المعرفة ، لا يستطيعون خلق جديد في مجالاتهم ، لأنهم لم يجدوا الفرصة للاطلاع على القديم أصلاً ، وينطبق هذا التحليل بصورة أعم على اللغة العربية وخريجي مدارسها

السبب الثاني هو الاستهتار باللغة ، واعتبار العلم بها عيباً والعالم بها متخلفاً « أو فقي » ، لا يجوز الاهتمام به وبدأت الظواهر تتجلى في الكتابات اليومية في الصحف ووسائل الاعلام ، ثم تصاعدت الى أن وصلت الى أعلى صور الصياغة القانونية ، والمقارن لكتب القانون وأحكام المحاكم اليوم بما يناظرها من أربعين عاما يجد الهوة شاسعة حقاً

السبب الثالث هو الالحاح الدائم من وسائل الاعلام اليومية على استخدام لغة عربية في الفاظها وقواعدها والمطابع والاذاعات تصنع هذا الكلام وتمجه على أسماع الناس وابصارهم كل لحظة ، حتى أصبح العامة يحسبون هذه الغثاثة هي السليم ، وأن ما غيرها « كتباً صفراء » لا يجوز لعاقل أن يقرأها

والسبب الرابع - و هو الأشد خطورة - هو أن جيلاً ممن يجهل اللغة العربية جهلاً تاماً أصبح يسيطر على وسائل الاعلام ويستطيع بهذا أن يقول للناس ان العربية الحقة لغة عتيقة قديمة لا تصلح لما يقدمه العصر من تقدم ونماء

السبب الخامس - أن الغيورين على اللغة العربية لم يقدموا لنا نتاجاً فكرياً مقبولاً لا في مجال التعريب ولا في مجال التطوير وما زالوا يقولون لنا ان « الشاي » كلمة غير عربية لا بد أن توضع بين قوسين وأن « الاسبح » يؤكل لأنه هو المانحو ، وأن السروال أصبح من السطلون ، الى آخر قائمة هذه السذاجات الفكرية التي تعرقل نمو اللغة ولا تطوره ، والناس تتثاءب في ملل ، أو تترك الأمر برمته وتكتب وتتكلم كما تشاء

هل هناك حـــل ؟

لا يستطيع انسان أن يزعم بأنه قمين بتقديم حل

واحد للمشكلة ، ولا بتقديم الحلول جميعاً في مقال قصير مثل هذا ، انما نستطيع أن نبدأ بشيء مما يلي : ـ

١ ـ فرض دراسة اللغة على جميع طلاب الجامعة ، ولا عيب في هذا ، فجميع جامعات الولايات المتحدة تفرض دراسة اللغة الانجليزية لمدة سنة على الأقل على كل طالب .

٢ ـ توفير كوادر تدريس اللغة واحترامهم معنوياً ومادياً .

٣ ـ فرض منقحين لغويين على دور النشر ووسائل الاعلام ، والتشهير بالأخطاء كلما ظهرت . ولعل صحافتنا تتعلم من صحافة الغرب التي تقيم الدنيا وتقعدها لسوء استخدام بعض أجهزة الحكومة لعبارات معينة بقصد التمويه .

٤ ـ أن يحاول علماء اللغة التقريب بين الواقع والخيال ، فان كان عالم اللغة يرى مثلاً أن قول امريء القيس جميل حين أنشد :

مسحّ اذا ما السابحات على الونى
أثرن غباراً بالكديد المركّل

فهذا شأنه ، كما أنه من شأن أي عالم أن يعجب بالقديم في علمه . ولكنه لا يجوز لأي عالم أن يفرض على غيره حب هذا القديم . وكما أن عالم الانجليزية يحب اللاتينية التي هي أصل لغته ، الا أنه يستخدم الفاظاً انجليزية حديثة الكثير منها جرماني وفرنسي بل عربي . وكما نحتنا كلمة تلفاز من كلمة « تلفزيون » الفرنسية ، فقد نحت الفرنسيون كلمة اميرال من عبارة أمير البحر العربية » .

٥ ـ ان يحاول علماء اللغة خلق قاموس عربي عصري يتجدد كل عام أو عدة أعوام ، وتدخل فيه الكلمات الجديدة ، كما يفعل علماء اللغة في كل بلد يعتز بلغته ، فاللغة كائن حي يستخدمه الناس للتعامل اليومي لا للمبارازات البديعة . وكيف يستطيع انسان مثلاً أن يكتب لآخر خطاباً يصف فيه جهازاً اليكترونياً مثل الكمبيوتر دون أن يضع ٩٠٪ من الكلمات بين أقواس أو بالانجليزية ؟ ان انساناً لا يستطيع أن يشرح جل ما يتعلق بهذا الجهاز باللغة العربية ، لا لأنه لا يفهم العربية بل لأن علماء اللغة لا يفهمون الجهاز . وكما قال الجرجاني :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

القضية ليست مخططا لدفن العربية ، وانما هي جهل المعلم ، وحاجة للتعبير تتغير أمام لغة لم ينجب لنا أصحابها ، فهل يتحركون ! ؟ □

د. مصطفى ابراهيم شعبان

تأثير الموسيقى بين الوهم والحقيقة

بعد التطور المذهل في جراحة المخ والأعصاب ، عرف العلماء أن دماغ الانسان يحتوي على مادتين مخدرتين هما (اندروفين) و (انكوفالين) ، وهما : اقوى من المورفين بمئة مرة تقريبا ، وهذا ما تؤكده الدوائر الطبية في فرنسا واليابان والصين والاتحاد السوفييتي ، وهو ما كشفه تيرانيوس السويدي وسنديدر وج سيمون من امريكا ، وكان للفرنسي (باسي) والياباني (راكو) الفضل في استغلال هذه الناحية والاستفادة منها طبيا ، هذه حقيقة قديمة والفضل فيها ليس لعلماء جامعة اوهايو الأمريكية كما يذكر الدكتور نبيل سليم في مقالته (الموسيقا علاج طبي) المنشورة على صفحات مجلة العربي (العدد ٣١٠) . وأهم تطبيق لهذه الحقيقة هو المعالجة بالوخز (بالابر) ضد بعض الأمراض ، إذ يستخدم العلماء الوخز كمحرّض للدماغ لافراز الـ (اندروفين) والـ (انكوفالين) ويمكن التحريض بواسطة :

"Multiple Electoronic Aupuncto-scope"

كما يمكن الاستفادة من هذه الظاهرة ، وبواسطة

الوخز ايضا ، في معالجة الأمراض العصبية والنفسية وبعض الأمراض المستعصية مثل الأرق والصداع النصفي المسمى بالشقيقة واوجاع المفاصل وتشنج العضلات وتكلس فقرات الظهر والرقبة وبعض الاضطرابات الجنسية . وافاد هذا الاسلوب في علاج كثير من حالات الادمان الكحولي والنيكوتيني ، وكل هذا بالطبع لا يغني عن وسائل الطب المعروفة لكشف المرض وحالة المريض بمساعدة السماعة الطبية وجهاز الضغط والاشعة والمخابر ، أو العقاقير .

ومنذ توصل العلماء لهذه الحقائق بدأوا يبحثون عن بديل للوخز باعتباره مؤلما ، فاتجهوا الى التحريض عن طريق حركات رياضية معينة ، او عن طريق احداث اهتزازات متنوعة،ودراسة التغيرات التي ترافقها ، وهذه محاولة في سلسلة المحاولات التي يسعى اليها الطب للمعالجة بدون عقاقير وادوية،وتغيير الاسلوب الكلاسيكي القديم في الطب ، ومن الطبيعي ان يفتش بعض العلماء في الموسيقا لعلهم يجدون فيها ضالتهم ، وبحثهم في الموسيقا ليس لاجلها بل لانها اهتزازات منظمة،ويمكن التلاعب بذبذباتها لاحداث هذه التأثيرات .

اما ما يقرره الدكتور نبيل سليم من ان الموسيقا تؤثر على الجهاز العصبي فهو صحيح تماما الى هذا الحد ، أما أن الموسيقا تقضي على الالم فهو امر مبالغ فيه جدا ، بل ان المنطق العلمي والطبي لا يجيز بأي شكل من الاشكال تعميم مثل هذا الكلام ، فهو نسبي والى حدود لا تتجاوز ١٥٪ كما قرر العلماء اصحاب هذه النظريات انفسهم ، لا كما نقرر نحن هكذا دون دليل ، ثم نروح نقرر وبالاسلوب ذاته ان الاتجاه العلمي في استخدام الموسيقا يسعى العالم كله اليه الأن (انظر الى كلمة العالم كله) .

ان الـ ١٥٪ ممن يستجيب لنداء الموسيقا ايجابيا هم من فئة معينة من الناس لهم ميول وانفعالات نفسية خاصة ، بمعنى ان العامل الذاتي يلعب دوره ، فضلا عن ان الفضل فيما تم التوصل اليه من استجابات يعود الى الجهد الرياضي الذي بذلوه اثناء اخضاعهم لهذه التجربة وفي ظروف مناخية معينة . اما تجارب الدكتور (جيفري رودي) في جامعة اوهايو فلا تشكل الموسيقا فيها الا العامل المساعد وليس الرئيسي بشهادة الاخ كاتب المقال نفسه ، كما ان طرق الاستشفاء تقوم على اسلوب ممارسة نوع من التركيز والحصر الذهني الشعوري الشبيه بطرق التنويم المغناطيسي،مما يذكرنا بممارسات بعض فرق المتصوفة في غابر العصور والازمان . ومن نافلة القول ان اذكر هنا ان بعض (الرومانطيقيين) ممن يمجدون الالم فرحوا عند اكتشاف هذه العلاقة بين الألم والمتعة بعد معرفة عمل الاندروفينات هذه،فراحوا يروجون لأرائهم بقالب فلسفي ميلودرامي .

بناء الانسان

يقول الدكتور سليم « ان الموسيقا عنصر جوهري في البناء الروحي للانسان توقظ فيه الشعور بالمعاني الكبيرة ، المعاني السامية ، كالحق والخير والجمال ، وتحرك وجدانه » ثم يربط هذا بمقولة (شوستاكوفيتش) - وانا صراحة لا اعرفه من قبل - وكيف يخدم الفنان قضايا السلام والتقدم .

هذا كلام شخصي محض لأن عملية البناء الروحي للانسان تقوم على اسس اهمها شعوره بالانتماء لجماعة ، وما ينمي هذا الشعور لديه ليس الموسيقا وانما هو القيم والمعتقدات الاخلاقية التي يدين بها ، وتنظم علاقاته مع المجموعة التي يعيش فيها ، والمنطق العلمي - الطبي والاجتماعي - يؤكد هذا الكلام .

ان كثيرا من الفلاسفة واصحاب المذاهب الادبية سبقوا الدكتور سليم في رأيه فبعضهم قال بان الرقص يبني الانسان ، وبعضهم قال ان الرياضة والسباحة هي التي تبنيه ، في حين اصر اخرون على ان البناء الروحي للانسان يتم فوق السطح تحت اشعة الشمس المحرقة ، مع الانهماك بالتأمل وعمل الطلاسم ، وتعصب آخرون للشعر والأدب ، وفريق تحمس للعمل المنتج وجماعة مجّدوا الألم والدموع ، فلا مانع من ان يرى الدكتور سليم في الموسيقا بانية للروح ، وهو امر شخصي لا ننكره ، لكن الا ترون معي ان عملية بناء الانسان اعقد واكبر من ان يحلها موسيقى ، وعملية بناء السلام والحضارة اخطر من ان نوكل اعباؤ ها لعازف اكورديون او غيتار . □

محمد فتحي الحريري

● رسالة المغرب العربي ●

من رشيد خشانة

ندوة حول كتاب :

تكوين العقل العربي

■ المغرب : وتكوين العقل العربي .

■ الجزائر : تستعيد ذكرى ودور ابن باديس .

■ تونس : تناقش إلهامات رجالها في المعجم العربي .

المغرب :

نظم اتحاد كتاب المغرب ندوة حول كتاب الدكتور محمد عابد الجابري الجديد « تكوين العقل العربي » الذي يأتي بعد كتابيه السابقين « نحن والتراث » و « الخطاب العربي المعاصر » . وشارك في الندوة عبدالسلام بن عبدالعالي وسعيد بن سعيد وكمال عبداللطيف ومحمد عابد الجابري . أكدت مداخلات المناقشين للكتاب أن المؤلف لايقوم بتأريخ بارد لمكونات الثقافة العربية الاسلامية أو بمحاولة للتجريب المنهجي المحايد وانما هو يخطو خطوة هامة في افق التحرر مما هو ميت ومتخشب في كياننا العقلي وارثنا الثقافي . ويعتبر الجابري أن عصر التدوين هو الاطار المرجعي الذي يشد اليه جميع مناحي الثقافة العربية ، وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة الى يومنا هذا ، وهويقسم الفكر العربي الى ثلاثة أنظمة رئيسية هي : البيان والعرفان والبرهان . ونظام البيان هو الذي يجد أسسه الثقافية في اللغة والدين ، ويتجلى في حقول متعددة ، كالنحو والبلاغة والفقه وعلم الكلام ،وآلته المعرفية هي القياس ، ونظام العرفان أو مايسمى « باللامعقول العقلي » ويعود الى جذور قديمة اندمجت في الموروث الثقافي القديم ، وانصهرت في خليط من العقائد والديانات والفلسفات الباطنية ، ويتجلى - في الثقافة العربية - في التصوف والفكر الشيعي والفلسفة الاسماعيلية ، وفي السحر والطلاسم وعلم التنجيم ، وتقوم آليته المعرفية على الكشف والوصال والتجاذب . أما النظام الثالث ، نظام البرهان او المعقول العقلي فقد تأسس في حقل الفلسفة ، وشكل ارسطو مرتكزه المرجعي الاول ، ويتجلى هذا النظام في الكتابة المنطقية ، وفي الرياضيات والطبيعيات ، وتقوم آليته المعرفية على مبدأ الأستنتاج العقلي .

وركز الاستاذ كمال عبداللطيف في مداخلته على أن الجابرى حاول دراسة مادعاه بأزمة الأسس فسعى الى تشخيص الأزمة التي عرفها العقل العربي في حركته التكرارية المغلقة ،عن طريق تحليل الانظمة المعرفية المؤسسة للعقل العربي ، فبين أن الاصطدامات التي عرفتها هذه الانظمة (اصطدام البيان بالبرهان ، واصطدام البرهان بالكشف ، ثم أشكال المدنة التي مورست في الثقافة العربية ، بين هذه الانظمة خلال

مراحل حركتها التكرارية) أدت الي حلل معرفي بارر في سية العقل العربي ، يتحلي في عياب التقدم اد يشكل تأريخ الثقافة العربية لحظة متموحة تكرارية ، لحطة تكمىء داحل رميتها المعلقة باستعادة الأوليات والآليات القديمة ، من دون أن تشكك في أسسها أوتحاول كسر قوالبها

ويستثي الحابري من هده اللحظة التكرارية التحربة الثقافية الأندلسية المعربية التي تمكنت - في رأي الحابري - من فك الطوق وفتح امكانية التحاور

وركز الدكتور سعيد س سعيد مداحلته على مسألة واحدة اتحدها عمودها وهي موقف الحابري من الأشعرية ، فهو يعتبره موقفا متقدما ، لكنه يومىء الى أن نصوص الأشاعرة بل المكر الاشعري لايكون قابلا للفهم الا بمقدار ما نبتعد به عن النظرة التصنيفيه الثالثه الي تسعى الى تصنيف المفكر وتأطيره في نفس الخانة مرة واحده والي الابد ، وتعحب د س سعيد كيف يتنصل الحابري بسرعه من الموقف الدي اتحده بخصوص الأشعري عندما يعرض لفكر رعيم الاشاعرة وكبيرهم العزالى ، والحال أن العزالى احوج منهم حميعا لهذا النوع من التأويل الدى يكون وحده قادرا على فهم شخصيته العربية « المتعددة » فلماذا كان الامر حلالا هناك وحراما هنا ؟

أما د عبد السلام بن عبد العالى فشدد في مداحلته التى تحمل عنوان « حلدوبية جديدة » على أن الحابرى ينحو في كتابه الجديد منحى ابن حلدون في منهجه ويحاول مواصلة المشروع الحلدوني ومجاوزته مواصلته أولا لأن المنهج الحلدوني ، تحرك في اتجاه تحرير العقل من اللاعقل ، وهدا مايرمي اليه كتاب تكوين العقل العربي ، الا انه حاول - في الوقت داته - دمج المشروع الرشدى (ابن رشد) مع المشروع الحلدوني ، والقيام بما قام به الأول اراء ابن سينا والثانى اراء اخوان الصفا ، ولكن هده المرة اراء الثقافة العربية بمجموعها ، وهنا تكمن محاولة تخطى ابن حلدون

وتكلم الدكتور الحابرى في الندوة ليعقب على المداحلات ، وكان أهم ما جاء في كلمته أننا في حاجة الى عقل نستطيع به ان نحقق دواتنا ومشروعنا الحضارى ، ونعيد به بناء استقلالنا التاريخى ، فلا يمكن الفصل بين ما أكتبه - يقول الحابرى - وبين المشروع النهضوى العربى ، لدا يجب ان نطمح الى بناء هدا المشروع عن طريق العقل ، أما باللاعقل فغير ممكن ، فنحن إما وقعنا فيها وقعنا فيه لاننا استسلمنا لهدا اللامعقول العقلى التصوف والطرقية وما ترتب عنها من عنوصية وسواها

كتاب جديد للروائى محمد شكرى :

اصدر الروائى المغربى المعروف محمد شكرى الذى اشتهر بروايته « الخبز الحافى » مجموعته القصصية الثانية بعنوان « الخيمة » وكانت مجموعته الاولى الصادرة عن دار الآداب عام ١٩٧٩ تحمل عنوان « مجنون الورد » تقع المجموعة الجديدة فى ١٣٢ صفحه من القطع الوسط ، وتضم ١٤ قصة قصيرة هى الرحال المحظوظون - الأفواه الثلاثة - المستحيل - نسيج العنكبوت - الليل والبحر - الجثة العربية - الفردوس الصغير - الراحمون وقوفا - نعل النبى - الخيمة - اررو - الارامل ١ - الارامل ٢ - عائشة

الأيام والليالى لادريس الخورى

صدرت للقاص المغربى ادريس الخورى مجموعة قصصية جديدة بعنوان « الأيام والليالى » وتضم تسع قصص قصيرة تتركز حول هموم الانسان العربى ومن اهم قصص المجموعة الوقوف فى الخنادق و « ألا تعرفون ؟ » و « انا أيضا » و « عسان » و « حطان عير متواريين » و « أنا اتعير ولدا فأنا كما أنا » و « الأيام والليالى » الخ

ورأى النقاد فى هده المجموعة عودة الى القصة الستينية من حيث التقنية الجمالية ، وان كان المؤلف أفاد من تقنيات الفيلم السينمائى ، وعابوا عليه اغراقه في المباشرة والسرد باستثناء القصة التى يحمل عنوانها عنوان المجموعة ، والتى نحس فيها ببحث جمالى مميز ، وتناوله لقضايا انسانية وشمولية

الجزائر :

مكتبة وطنية جديدة :

تم في يوم ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٥ وضع تصميم لمركز العاصمة الجزائرية الجديد ، في ضاحية « الحامة » ويضم ثلاثة مشروعات ضخمة ، أحداها مبنى المكتبة الوطنية .
وتضم الآن المكتبة الوطنية الجزائرية نحو مليون مجلد وأربعة آلاف مخطوط ، وتحددت مهمتها منذ الاستقلال بجمع التراث الوطني والمحافظة عليه ، وتمكين الباحثين والقراء من مصادر البحث والاطلاع ، الا ان قاعات المكتبة صارت تضيق اليوم بالرواد ، وذلك بسبب قدم المبنى الذى يعود انشاؤه الى فترة الاحتلال الفرنسي أيام كان فرعا للمكتبة الوطنية الفرنسية ، وقد فكر الجزائريون ـ أمام ضخامة مقتنيات المكتبة ، وتزايد عدد المرتادين ـ في توسيع المبنى الحالي ، لكن اتضح أن الكلفة ستكون عالية جدا ، فتقرر انشاء هذا المبنى الجديد .

كتاب عن الاحتلال الروماني للمغرب العربي :

في كتابه الجديد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال الاحتلال الروماني يحلل د . محمد بشير شنيتي استاذ التاريخ القديم بجامعة الجزائر اوضاع الامبرطورية الرومانية ، والحالة السياسية في المغرب العربي في القرن الثالث الميلادي ، وهي أوضاع اتسمت بصعود أسرة مغربية ـ ليبية الى عرش الامبراطورية ، مما تسبب في احداث تغيرات جوهرية تتمثل اساسا في سن دستور كاراكلا ، الذي أقر حق المواطنة الرومانية لكل أحرار الامبراطورية ، ولو نظريا على الاقل ، ثم تعرض المؤلف الى حملات سبتموس سفيروس ضد الفرس في الشرق .
في الفصل الاول من الكتاب الذي يحمل عنوان « الوضع الاقتصادي في المغرب الروماني : الزراعة والضرائب » يتعرض المؤلف الى وضعية الأراضي واحتلال المستوطنين الرومان لها وتشريد القبائل الأصلية ، وفي الفصل الثاني الذي يحمل عنوان الوضعية الاجتماعية في المغرب الروماني : النسيج الاجتماعي ، يحلل القبائل وأصولها مثل النوميديين والجيتول والبقواط والبوار الخ . . . ثم يدرس علاقاتها بالجماعات الوافدة كالايطاليين والسوريين واليهود .

اما الفصل الثالث والأخير فقد وضعه د . شنيتي تحت عنوان « الاطار الديني للصراع الاجتماعي ـ السياسي » وتناول فيه بالبحث حركة التنصر ، مقارنا اياها بالمعتقدات الوثنية التي كانت سائدة قبلها ، ومحللا عوامل انتشار المسيحية في المغرب الروماني .

موقف الغرب من ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ :

ألقى الاستاذ مولود قاسم رئيس المجلس الأعلى للغة الوطنية بالجزائر محاضرة حول موقف الغرب من ثورة الجزائر في الأول من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٤ ، بدأها بذكر ماجاء في الدستور الفرنسي من أن الجمهورية الفرنسية وحدة لاتتجزأ ، وأن الجزائر جزء من هذه الوحدة منذ أكثر من قرن ، ولذلك فان المساس بهذه القطعة من فرنسا يعد مساسا بفرنسا نفسها . ثم تطرق الاستاذ قاسم الى مواقف اليسار الكاثوليكي واعطي مثالا من موقف الكاتب فرنسوا مورياك الذي صرح بعد يومين من اندلاع الثورة المسلحة قائلا : ان الذين ينتظرون مني موقفا آخر غير تأييد الحكومة سيخيب أملهم ، لأنني لايمكن ان أصارع حكومتي التي تنطلق من نظرية قانونية موجودة أمامنا ، وهي أن الجزائر جزء لايتجزأ من فرنسا دستوريا .
اما الحزب الشيوعي فظل حتى ١٧ مايو ١٩٥٧ متمسكا بنظرية الوحدة الفرنسية التي تشمل الجزائر ، وهو امتداد للموقف الذي أعلنه الأمين العام للحزب موريس توريز في الجزائر سنة ١٩٣٩ والقائل بأنه ليس هناك شعب جزائري وإنما هناك خليط من عشرين جنسا يعيشون في صراع دائم .

واشار المحاضر الى أن جان بول سارتر وفرانسيس جونسون شكلا نواة لتجمع المثقفين الذين تضامنوا

مع ثورة ١ تشرين الثاني (نوفمبر) . ثم استعرض مواقف معظم بلدان أوربا الغربية ، كألمانيا ، وبلجيكا ، والنمسا ، وسويسرا ، ودول الشمال ، وكانت المواقف الرسمية في هذه البلدان مناهضة للثورة الجزائرية في معظمها ، لكن موقف الاحزاب والشخصيات غير الرسمية كان ايجابيا .

تونس :

ندوة حول اللسانيات

نظمت الجمعية المعجمية العربية بتونس ندوة دامت ثلاثة أيام ، وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والاساتذة الجامعيين المتخصصين في علوم اللسانيات وكان موضوع الندوة اسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي .في الجلسة الاولى المخصصة لموضوع التراث المعجمي فى تونس تكلم د . محمد رشاد الحمزاوى عن تفسير التحرير والتنوير الذى وضعه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور واسهامه فى اثراء المعجم العربي ، وتكلم ابراهيم بن مراد عن المعجم العلمى العربي المتخصص فى تونس حتى القرن الثامن هجرى ، وكانت الورقة الثالثة لرئيس اتحاد الكتاب محمد العروسى المطوى بعنوان « المصطلح الصوفى فى مناقب أحمد بن عروس » . اما الجلسة الثانية فتكلم فيها د . محمد السويس عن التجربة التونسية فى التعريب ، وتحدث محمد مواعدة عن دور مدرسة باردو الحربية فى التعريب في القرن التاسع عشر ، وتكلم حبيب عونللى عن التعريب فى الادارة التونسية .

وخصصت الجلسة الثالثة لمحور قضايا المصطلحات فى تونس ، وقدم فيها على بن قائد ورقة عن دور المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية فى وضع المصطلحات ، فيا قدم د . عبد السلام المسدى ورقة عن « المصطلح اللسانى فى تونس » وقدم عبد الحميد سلامة ورقة عن « دور التونسيين فى اثراء معجم الرياضة البدنية » .

أما الجلسة الثالثة الأخيرة فتكلم فيها عبد اللطيف عبيد عن التأليف المعجمى فى تونس فى عهد الاستقلال ، وقام هادى بوحوش بدراسة « القاموس الجديد » الصادر سنة ١٩٧٩ . . وقدم د . احمد العايد « معطيات أساسية عن الرصيد اللغوى فى تونس » .

ندوة الكتاب والقراءة فى افريقيا :

فى المركز الثقاف الدولى فى مدينة الحمامات عقدت ندوة علمية خلال الاسبوع الاخير من شهر شباط (فبراير) أشرف على تنظيمها معهد الصحافة والاعلام ، وتناولت بالدرس أوضاع البحث العلمي والتكوين والتأهيل المهنى فى ميدان الكتاب فى البلدان الافريقية ، وكان شعار الندوة من أجل تكوين جامعى ومهنى للعاملين فى قطاع الصناعات الثقافية نهوضا بالكتاب والقراءة .

وشارك فى الندوة العديد من المنظمات والبلدان ، كما قدم الدكتور عبد القادر بن الشيخ المنسق العام للندوة ورقة تمهيدية جاء فيها : ان ارادة تعميم التعليم وارساء المؤسسات الأولية للنشر والطباعة والتوزيع يشكلان ـ فى تفاعل مع تطور وسائل الاتصال الالكترونية ـ جملة من الوسائل التى يتحتم أن تستجيب لاهداف نمو متحرر من وطأة التبعية .

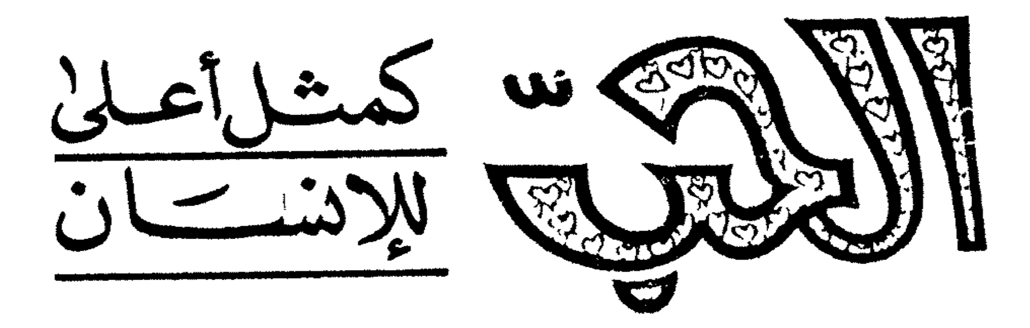
أما جلسات العمل العلمية فتركزت على بحث العلاقة بين المكتوب وأدوات الاتصال ، وواقع تدريس علم الكتاب فى الجامعات العربية والافريقية ، وتقويم البحوث العربية والافريقية فى هذا الميدان .

ولم تخلص اعمال الندوة فى شكل توصيات كما جرت العادة ، وانما اعتمدت على تصور عام لمشاريع أولى صيغت فى شكل محاور من بينها :ـ

* تكثيف العناية بالجوانب النظرية فى ميدان نشر الكتاب .
* علاقة المكتوب (النصوص المخطوطة) بأدوات التوصيل .
* اجراء بحث مقارن موضوعه « الشباب وعلاقته بالمكتوب » .

ثم شكلت الندوة هيئة علمية مهمتها التنسيق لاعداد ندوة افريقية مماثلة بعد سنتين ، وذلك فى اطار الجمعية العالمية للكتاب التى استقر مكتبها الاقليمى فى تونس . □

أضواء من الفلسفة على :



الحب كمثل أعلى للإنسان

للدكتور : توفيق الطويل

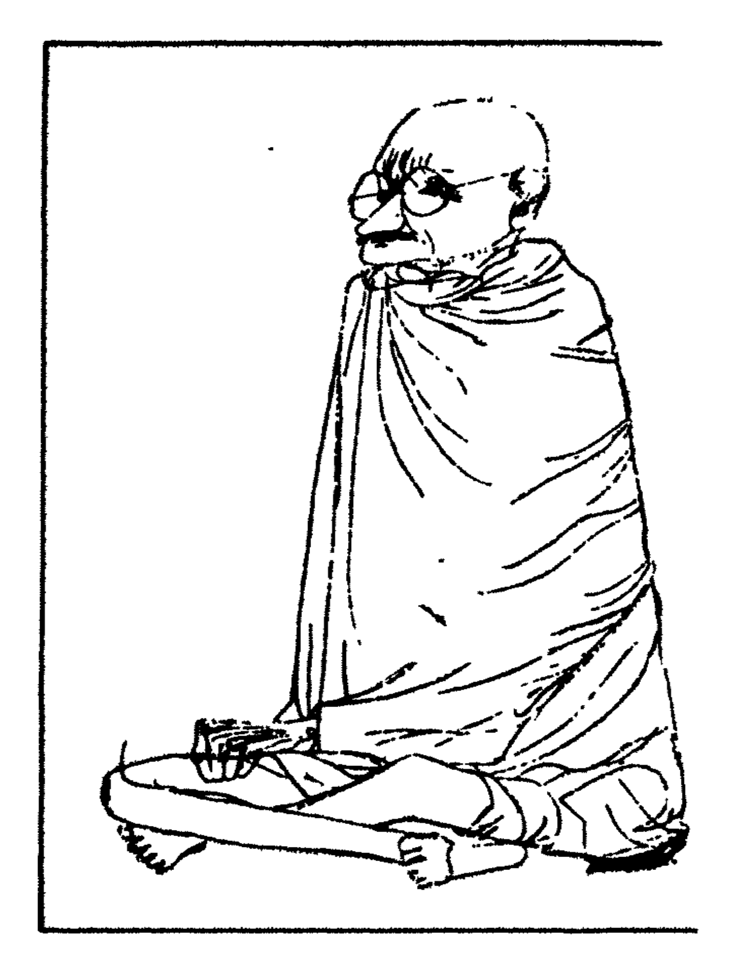
الحديث هنا عن الحب . المثل الاعلى للانسان في تصور الفلاسفة :
عند أرسطو ـ عند نيتشه ـ عند الرواقية ـ في المسيحية ـ في الاسلام ـ في أحلام الفلاسفة ـ في المواثيق الانسانية . فهل يمكن أن تتحقق آمال البشرية فيه مع المستقبل القريب ؟

لا نقصد بالحب هنا ما كان مجرد ميل أو غريزة تربط بين قلبين ، برغم أن مثل هذا الحب يحتل في قلوبنا مكانا مرموقا من التقدير والاحترام ، لكننا ننظر الى الحب في هذا المقال في محيط أوسع ، وبمعنى أعم وأشمل ، ذلك الذي يجمع بين قلوب يربطها هدف انساني كريم ، يستتب في ظله الامن ، ويستقر السلام ويقوم التعاون بين الناس بعضهم وبعض،أفرادا وجماعات وأمما في كل زمان ومكان .

غاندي والامبراطورية البريطانية :

بالحب هزم المهاتما غاندي أعظم امبراطورية عرفها التاريخ الحديث ، وهي الامبراطورية البريطانية التي كانت ـ عند استعمارها للهند ـ لا تغيب الشمس عن أملاكها ! وقد كفل لها أسطولها البحري وامكاناتها الحربية ان تفرض سيادتها على الدنيا بأسرها ، فتصدى غاندي لمجابهتها ووراءه مئات الملايين من الهنود العزل من كل سلاح ، الا من الايمان بمبدئه في « الاهمسا » أي « الكف عن الاذى » ، ومقاومة السيئة بالحسنى ، ومحاربة الحقد والظلم والكراهية بالحب الذي يملأ شعاب النفس ، ويدفع صاحبه الى الصيام والصلاة طلبا للمغفرة لمن أساء وبغى وظلم . .

والعالم كله لم ينس بعد كيف قاد غاندي مسيرات ضخمة مسالمة كانت تحتج على ظلم المستعمر البريطاني وبغيه ، وتعرضت احداها لهجوم البوليس الانجليزي الذي انهال على هؤلاء المسالمين ضربا وطعنا وتشتيتا في غير رفق ولا رحمة ، وهم يحتملون الاذى صامتين ، لا يردون على العدوان حتى بهتاف عدائي . ونظر البوليس المعتدي فاذا برجل قميء نحيل قد انتحى ركنا وراح يجهش بالبكاء والنحيب إشفاقا على أقرانه المعتدى عليهم ظلما وعدوانا . . وأدرك البوليس أنه غاندي نبي الهنود كما كان يراه



مئات الملايين منهم ، فتوقف المعتدون وكأنما شلت أيديهم ، وخفوا إليه يستغفرونه من سوء ما فعلوا . .

وكان هذا حاله مع مختلف طوائف الهنود ، كلما نشب بين طائفتين منهم صراع سارع الى صلاته ، وأعلن الصيام حتى يتوقف الصراع ويسود الوفاق ، وان خشى المتصارعون على حياته أعلنوا أنهم تصافوا وتحابوا بعد كراهية !

بمثل هذا استقلت الهند المسالمة العزلاء تحت راية الحب والمسالمة عام ١٩٤٧ وخارت أعظم امبراطورية فى التاريخ الحديث أمام رجل أعزل من كل سلاح ، لم يستخدم ـ هو ولا أبناؤه ـ طوال سنوات الكفاح قنبلة ولا صاروخا ولا مدفعا ولا دبابة ولا غواصة ، ولا شىء مما يستعان به عادة فى الحروب من آلات الفتك والقتل والتدمير والتخريب . . ومن أسف أن ما يصلح فى شعب عميق الايمان بالحب قد لا يصلح عند شعوب أخرى تتعارض ظروفها مع ظروفه .

وكان غاندى لا يستريح حين يوصف جهاده بالمقاومة السلبية ، إذ كيف تكون سلبية وهى لا تتحقق إلا لمن وفق في مجاهدة ميوله وغرائزه ، وضبط دوافعه ونوازعه.، والسيطرة على أهوائه ونزواته ، وهذا هو الجهاد الاكبر كما قال المصطفى عليه صلوات الله وسلامه ، وهذا هو المعنى الذى فات الفيلسوف الالمانى فريدريك نيتشه ١٩٠٠ Nutgsche حين كان يخطط لظهور « السوبرمان » أو الانسان الاعلى ـ كما سنعرف بعد قليل .

ومن سخرية الاقدار أن يموت غاندى أمام الحب والمسالمة عام ١٩٤٨ قتيلا على يد مجرم أثيم من أهل دينه ، اغتاله من فرط ضيقه بسماحته ومسالمته لاصحاب الديانات الاخرى .

هذا هو الحب ، يطهر النفوس من الدنايا والضغائن والاحقاد ، ويصل بين الناس ما انقطع ، ويقيم بينهم التعاطف الوجدانى ويربطهم بالتعاون الذى يتكفل بتحقيق مصالحهم المشتركة ، وحسبه أن يكفل للعزل من السلاح أن يدحروا أعظم امبراطورية فى التاريخ الحديث ، فرضت سيادتها على الدنيا بأسرها . فلنتصور وطننا العربى وقد صفت نفوس أهله وتطهرت من الحقد والكراهية ، وتعاونت دوله على البر والتقوى ، ماذا تستطيع أمتنا العربية بسكانها المائة والخمسين مليونا تقريبا أن تحقق من أمجاد أجدادنا يوم دمروا الصليبيين ، وقهروا المغول ، ويوم كانوا أئمة الحضارة والفكر فى الدنيا بأسرها .

فى تصور الفلاسفة :

كان المثل الاعلى للانسان مثار اهتمام الفلاسفة من قديم الزمان ، وقد عرفت منه نماذج شتى ، نتخير منها ـ الى جانب من ذكرنا ـ أربعة نماذج ، أشار اليها « برترند راسل » ممثلة فى : أحسن الناس عند أرسطو ، والسوبرمان عند نيتشه ، والحكيم المتحكم فى انفعالاته بعقله عند فلاسفه الرواقية قديما ، وقد قيل انه كان ارهاصا بالقديس المسيحى فيما بعد .

فأحسن الناس عند أرسطو يتميز بالكبرياء والغطرسة واحتقار العجزة والاستخفاف بالضعفاء ، والترفع عن حب من كان دونه ، يقدم للناس المنافع ويستحى أن يتلقاها منهم ، ولا يبلغ هذه المكانة ـ

عند أرسطو ـ الا الملوك وأبناء الطبقة الارستقراطية . ومع أن أرسطو قد أطال فى بحث الصداقة ، فانه لم يشر بكلمة الى حب الانسانية ، أو تقديم الخدمات الى الاخرين . إنه كان يدرك آلام البشرية ولا يستثار بها ولا يشقى بسببها ، إلا متى كان ضحاياها من أصدقائه ، وهذا هو مكان الحب فى أنسانة الاعلى . !

وقد أحيا هذه الصورة وبالغ فيها حديثا فردريك نيتشه . فيما سماه بالسوبرمان أو الانسان الاعلى ، اذ أنه أعاد جدولة القيم الاخلاقية ، وانتهى الى أن العوائق التى تعوق هذا الانسان الاعلى هى تمجيدنا لقيم بالية يتمسك بها الدهماء وهم الكثرة الساحقة ، من مسالمة وحب وتعاطف ورحمه وحنان وحلم وصبر ودعه وطاعة وتواضع ومساواة وحرية . . . وغير هذا مما سماه بأخلاق العبيد . . « أما أخلاق السادة عنده التى يتخلق بها الانسان الاعلى المنتظر فهى فى رأيه أرادة القوة والقتال والبغى والظلم والعسف والقسوة والسيطرة على الضعفاء والسير على جثثهم » . . !!

وهكذا رد نيتشه الانسان الى شريعة الغابة . . . ولم يفطن الى أن التحكم فى النفس والسيطرة على نزواتها وضبط غرائزها ، وتطهير النفس من الحقد والكراهية ، وترويضها على الحب والحنان والتعاطف والرحمة والدعة . . . هى شجاعة لا يقوى عليها إلا صفوة الممتازين من الناس .

ويقول مؤرخو الفلسفة : ان أحسن الناس عند أرسطو ، والانسان الاعلى عند نيتشه كانا على تعارض ملحوظ عند الحكيم الرواقى الذى كان ارهاصا بالقديس المسيحى ، أن هذا الحكيم يعيش وفاقا للعقل ولا ينساق أمام عواطفه ووجداناته ، وهو يحتقر الاهواء والميول ، ويشعر بالانفعالات ولكنه لا يأذن لها ـ من فرط قدرته على ضبط نفسه ـ أن تتحكم فى سلوكه ، وهو لا يشعر بالحنان والتعاطف الوجدانى ولا يهزه موت الاصدقاء والاعزاء ، ولا يحس الما ولا حزنا ولا خوفا ولا ندما . . . وهكذا أنكر الرواقية الحب كعاطفة فى حياة الانسان . !

ومن هنا وبسبب ماديتهم التى لا تتمشى مع منطق الاديان بدا الحكيم الرواقى ـ فى رأينا ـ على خلاف مع القديس المسيحى ، برغم أن من آباء الكنيسة من أعجبه تمسكهم بالاخلاق ، فقال ان الفلسفة الرواقية كانت مدخلا الى المسيحية،فالقديس المسيحى بوداعته وحنانه وتعاطفه مع الآخرين تمثلت فيه أعلى صفات الحب فى المسيحية .

سطر جديد فى المسيحية،أبان المسيح عليه السلام فى عظمته للحواريين على الجبل معنى الحب حين أوضح لهم الجديد فى دينه الجديد فقال (فى الاصحاح الخامس وما بعده من انجيل متى فى العهد الجديد) :

« سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن (يقصد ما ورد فى التوراه) وأما أنا فأقول لكم :لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الايسر فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يعترض سبيلك فلا ترده ، سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين ، لانه ان أحببتم الذى يحبكم فأى أجر لكم ؟ اليس العشارون يفعلون ذلك ؟ وان سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ اليس العشارون أيضا هكذا ؟ فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم فى السموات هو كامل » .

ويقول مؤرخو المسيحية ان خطبة المسيح للحواريين على الجبل قد ارتفعت بالمسيحية الى أعلى قمم شاهقة من الروحية ، وان الحب فيها قد بدا أعلى القيم وأسماها [1] . . فماذا كان الحال فى الاسلام ؟ .

فى الاسلام :

ان من أسماء الله الحسنى فى الاسلام : الودود ـ بمعنى المحب ـ وقد ورد فى آيات الكتاب وأحاديث النبى ما يدعو المؤمن الى تطهير قلبه من الحقد

(١) (العربى) يرى السيد المسيح أن « الله محبة »

والكـراهية ، وبث الحب فى شعـاب نفسـه ، قـال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عـداوة كأنـه ولى حميم » وفى الحديث النبوى : « أحب لاخيك ما تحب لنفسـك » ـ ومثـل هـذا فى الاسـلام أكـثـر من أن يحصى .

ولكن الاسـلام يحذر المؤمن من أن يصبـر عـلى ضيم ، أو يستسلم لذل أو يستكين لظلم ، بل يأمره صراحة بأن يرد العدوان بمثله ، وإن كره الله أن يبدأ المسلم بعدوان . قال تعالى : « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . »

ومضى الصوفية فى طريق الحب الى أقصى آماده ، فجعلوا حب السـالـك غـايـة طـريقهم ، ونهايـة مطافهم ، ودعوا السالك الا ينطوى لغيره الا عـلى الحب صافيا لكى تصفو نفسه ويرتفع عنهـا حجاب الحس . . . . الى آخر ما هو معروف عنهم .

وهكذا رفع الاسلام الانسان فوق بهيميته ، دون أن يقطع صلته بواقعه .

وفى أحلام الفلاسفة :

صور الفلاسفة أحلامهم فى « يوتوبيات » . . أى مجتمعـات مثاليـه تخيلوها محققـه لسعادة أفـرادها ، وكمال حياتهم ، دعوا فيها الى تـطهير النفوس من الحقد والكراهية ، والنفور من الحـروب وآفـاتهـا ، وتوكيد قيم عليا تتمثل في منع الخوف والقلق والجوع الجـهـل والمـرض . . وطـلب الأمـن والسـلـم واقرار الحريـة والكرامـة والعدالـة ، وتوفـير أسباب المعرفة ، ووسائل العيش الرخى . . . وغير ذلك من قيم عليا يلتقى على طريقها الناس أفرادا وأمما فى كل زمان ومكان .

ووراء هذا كله توكيد للحب فى نفوس الناس بكل معانيه وأسراره .

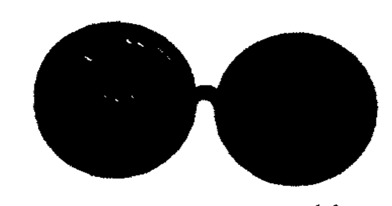
وفى المواثيق الانسانية :

وضاقت الامم بالصراع الذى قد يهبط بها الى أدنى مراتب الوحشيـة والبهيمية ، هـذا واقع تثقله عنـد الاقـويـاء آفـات الجشـع والعـدوان والاضـطهـاد والاغتصاب ، وعند الضعفاء معانـاة الظلم والبغى والـذل والاستعباد ، يخفف من هـذا الواقـع الاليم نزوع الأمم كافة الى التخلص منه والتعالى عليه فى ظل قيم عليا تطلعت اليها بعد الحرب العالمية الاولى فى « عصبة الامم ، حين قبل الحلفاء مشـروع ولسون (١٩١٩/٤/١٠) وكان يقضى باقامة التعاون بين الدول الاعضاء ، وكفالة السـلام وتفادى الحـروب وتوثيق العلاقات الشريفة بين الامم ، وكفالة العدل وابرام المعاهدات والوفاء بالتزاماتها ، وإزالة العوائق الاقتصادية مع توقى الامراض وضمان المـواصلات وتحديد التسليح ، وتسوية المشاكل سلميا . . . وهى قيم تتطلب طاقات روحية لا تخفى .

ومن أسف أن الحلفاء قد نسوا كل هذه المبادىء عنـد عقد الهـدنـة التى أعقبت الحـرب « واقتسمـوا الغنائم كما تقتسم الـوحوش الضـارية فـريستهم فى الغابة . . !

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية وقع الحلفاء عـلى ميثاق هيئة الامم المتحده (٤٥/٦/٢٥) وقوامه اقرار السـلام وتوكيد الحرية واحترام حقوق الأمم ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، وكفـالة كـرامة الفـرد وحقوقـه السيـاسية ، مـع توخي التسـامح ، وكفـالة الامن الـدولى ، والعمل عـلى ترقيـة الشئون الاقتصـاديـة والاجتمـاعيـة لكـافـة الشعـوب حتى يستتب الامن وينتفى العدوان وتنمو علاقات الود بين الامم عـلى أساس من المساواة فى الحقوق والتعاون تحقيقا للرخاء الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . . . الى آخر هـذه القيم الانسـانية التى لا تستقيم بغير طاقاتها الخلقيـة الروحية ، وتستهدف جميعها توكيد الحب بكل معانيه وأسراره .

وخـيبـة الرجـاء في تحقيق هذه المواثيق الى اليوم لا ينفى القـول بأنها تستهـدف التخلص من واقـع اليم ، وتؤكد الحب مثلا أعلى يدين به الناس ، أفرادا وجماعات وأمما فى كل زمان ومكان ، والامل كبير فى أن تقـدم البشـريـة نحـو تحقيقـه فى المستقبـل رويـدا رويدا □

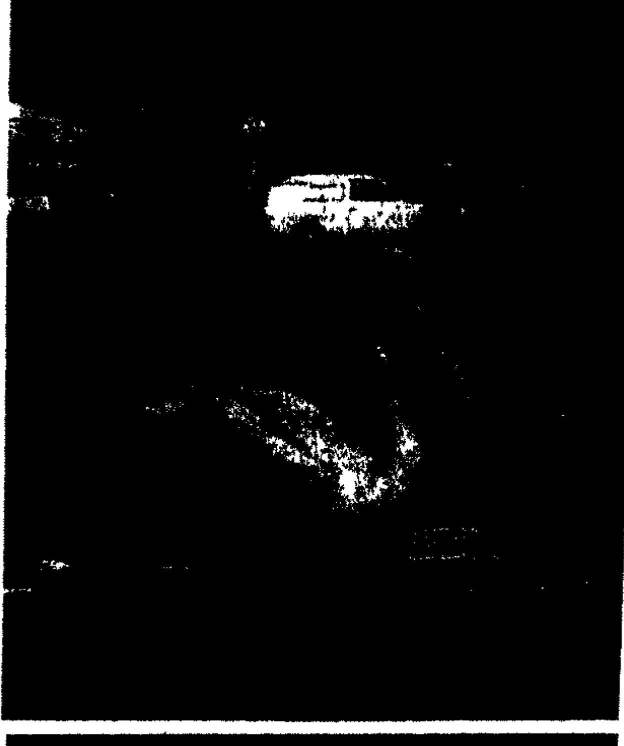


العربي
عيونك
على العالم

جزيرة الحب المنهكة



لايكي ايتونيا ، مدينة مصغرة لا تتجاوز مساحتها ألف متر مربع بنيت على الطراز القبرصي القديم في قلب العاصمة نيقوسيا





شمس قبرص الحارة ، وبحرها الأزرق الممتد حتى الأفق ، وأجساد المصطافين تتناثر بغير انتظام فوق رمال الشاطيء الناعمة الساخنة ، مستسلمين بخشوع لوهج الشمس الحارة ، كأنهم يمارسون طقس عبادة خاصا بهم للشمس باعثة الدفء في اوصال الجزيرة . وعن بعد تتسلق التلال المحيطة مجموعة صغيرة من المباني الحديثة الفخمة ، التي غطت اجزاء منها المظلات الملونة المنتصبة فوق الأجساد . وعلى مقربة من هذا المشهد اصطفت في ميناء المدينة الصغير قوارب الصيد الصغيرة ، التي اسلمت نفسها لحركة المياه الخفيفة ، بانتظار البحارة القدماء ، للذهاب في رحلة صيد بحرية نحو الأفق القريب البعيد .

انها قرية ايانابا القبرصية الساحلية ، الواقعة على نقطة في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة ، التي تشبه في شكلها مصباح الزيت القديم ، الذي تتحدث اساطيرنا عنه وعن حارسه ذي القدرة الخارقة .

مصائب قوم

لقد اخترنا ان تكون زيارتنا الأولى لأيانابا من بين كل المدن والقرى القبرصية ، لأنها احدث المتجعات البحرية في الجزيرة . وقد تنظر الى خارطة للجزيرة وضعت قبل خمس او ست سنوات فلا تجدها ، لكنها اليوم واحدة من اكثر القرى الساحلية شعبية ، وخصوصا لدى السائحين القادمين من البلدان الاسكندنافية ، الذين احبوا القرية التي اشتهرت من قبل بديرها العتيق ، ومصائد الأسماك على مدى سنين طويلة . ثم جاء التدخل التركي في الجزيرة عام **١٩٧٤** فهجر سكان فاماغوستا مدينتهم التي تقع الى الشمال منها ، وكانت حتى ذلك الوقت اشهر موانيء الجزيرة ، وتوزعوا على المدن القبرصية الأخرى ، وانبعثت الحياة في عدة قرى مجاورة ، وكان لأيانابا النصيب الأكبر من إرث المدينة المنكوبة .

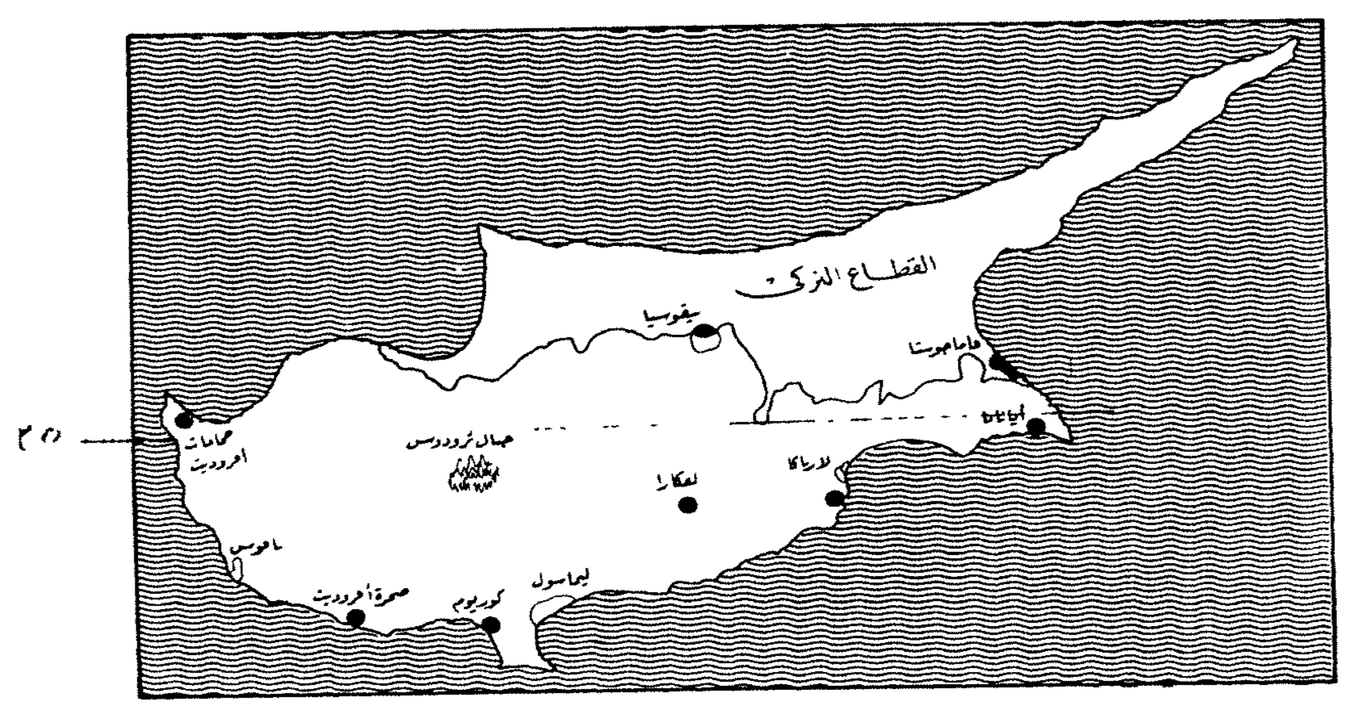
خلال الايام التالية لاقامتنا في الجزيرة زرنا المتجعات الساحلية الأخرى: لارناكا ، ليماسول ، وبافوس . كان المشهد التشكيلي واحدا في الجوهر ، مع اختلافات طفيفة في التفاصيل . ففي لارناكا يكبر المشهد البحري ليستوعب اشجار النخيل التي امتدت على طول شارع البلاجات الرئيسي في المدينة ، وامتدت رقعة الرمال ، وانتشرت الفنادق الفخمة التي استوعبتها المدينة الكبيرة بحركتها الدائبة ، وامتدادها العمراني ، في محاولة لاحتواء التوسع الذي تشهده .

والميناء وحوض السفن تراهما هنا ايضا في لارناكا ، وهناك في ليماسول التي يعرفها العرب جيدا ، لكنها اكبر حجما ومساحة واكثر ازدحاما ، فقد امتلأ الميناءان القبرصيان ـ الى جانب السياح والمصطافين الأوربيين ـ بعشرات الآلاف من العرب الذين جاءوا لأسباب متعددة ، تتراوح بين الهروب من جحيم الحرب الاهلية اللبنانية ، والسياحة والاصطياف في شهور الصيف القائظة في بلادهم ، وبين الاستثمار العقاري الذي يكاد ان يتركز في ليماسول ، ذلك الميناء التاريخي العريق الذي كاد ان يتحول الى مدينة عربية لكثرة اعداد السائحين والمستثمرين والمقيمين من العرب هناك ، لذا فليس من المستغرب ان تفاجئك في اثناء سيرك في شوارع المدينة قطع اعلانية باللغة العربية تعلن عن وجود شقق للبيع او للايجار ، او يعترضك اعلان عن وجود مطاعم تقدم اشهى المأكولات العربية او اللبنانية وغيرها . وقد تفاجأ بان صاحب المطعم او من يقدم لك الطعام مصري او سوري او لبناني مثلا .

لقد اصبحت اللغة العربية واحدة من المكونات الأساسية لفسيفساء الناس والتاريخ في قبرص عموما ، وفي ليماسول بوجه خاص .

مدينة أفروديت :

في مدينة بافوس ، الواقعة في اقصى نقطة غربي الجزيرة يختلف المشهد قليلا ، فهي مزيج من بساطة ايانابا وهدوئها ، وزحمة مشاريع الاستثمار العقاري والسياحي التي بدأت تأخذ من العاصمة القديمة لقبرص شيئا من عفويتها وبساطتها . فعلى الطريق بين بافوس القديمة وبافوس الجديدة اللتين ترتبطان بخطوط متصلة من البيوت التي امتدت مع الشوارع بدأت ترتفع الفنادق الفخمة ، وبعضها فروع لسلاسل الفنادق العالمية المعروفة ، وبعضها الآخر فيلات سكنية يمتلك جزءا منها بعض الموسرين العرب والخليجيين منهم على وجه الخصوص .



جزيرة قبرص وفي الشمال تبدو نيقوسيا اخر المدن المقسمه

لكن شيئا واحدا لم يتغير في بافوس منذ زمن الأسطورة الشهيرة التي اعطت الجزيرة اسمها . انه الشاطيء الصخري الذي يفترض انه شهد خروج افروديايت من زبد البحر ، لتكون الهة للجمال والحب والخصب كما تقول اساطير الاغريق ، وكما أنشد هوميروس منذ اكثر من الفي عام . ولقرون عديدة ظلت تلك البقعة الصخرية الموحشة مزارا للقادمين من جميع انحاء العالم ، لرؤية صخرة افروديايت الواقعة على الطريق بين ليماسول وبافوس . ينزل الزائرون من حافلاتهم وسياراتهم ويتجهون نحو الشاطيء الصخري ، ويخوضون في الماء الافروديايتي ثم يعودون تاركين الصخر والموج في عراك ابدي ، في تلك المنطقة الموحشة من الشاطيء ، الذي لم تمتد اليه يد التغيير منذ انبثاق الاسطورة .

لا يختلف مرفأ بافوس كثيرا عن مرفأي ليماسول ولارناكا ، وربما كان هناك وجه شبه آخر بينه وبين مرفأ وشاطيء ايانابا ، فالاثنان يخضعان لعملية بناء جديدة تشير الى اهمية قادمة ، وعلى المستوى التشكيلي هنالك قلعة بافوس الشهيرة التي تحرس المرفأ بأبعادها المتناسقة وتضفي على المشهد البحري شيئا من عبق التاريخ .

يقول التاريخ إن هذه القلعة بنيت في عهد احمد باشا ، حاكم قبرص التركي عام ١٥٩٢م « لتكون حصنا حصينا » كما تقول الكتابة المحفورة على الحجر الابيض فوق بوابة القلعة ، وانها بنيت فوق قلعة دمرها البندقيون قبل ان تقع في ايدي الأتراك الذين احتلوا الجزيرة عام ١٥٧١ ، وقبل ذلك كان البيزنطيون قد بنوا قلعة في المكان نفسه لكنها دمرت بفعل الهجمات العربية على الجزيرة .

وهكذا ، فخلف هذا الشموخ المتناسق لقلعة هدمت واعيد بناؤ ها اكثر من مرة تكمن ذكريات التاريخ المريرة لجزيرة انهكها تعاقب الغزاة والمحتلين عبر تاريخ يمتد عميقا حتى العصر الحجري .

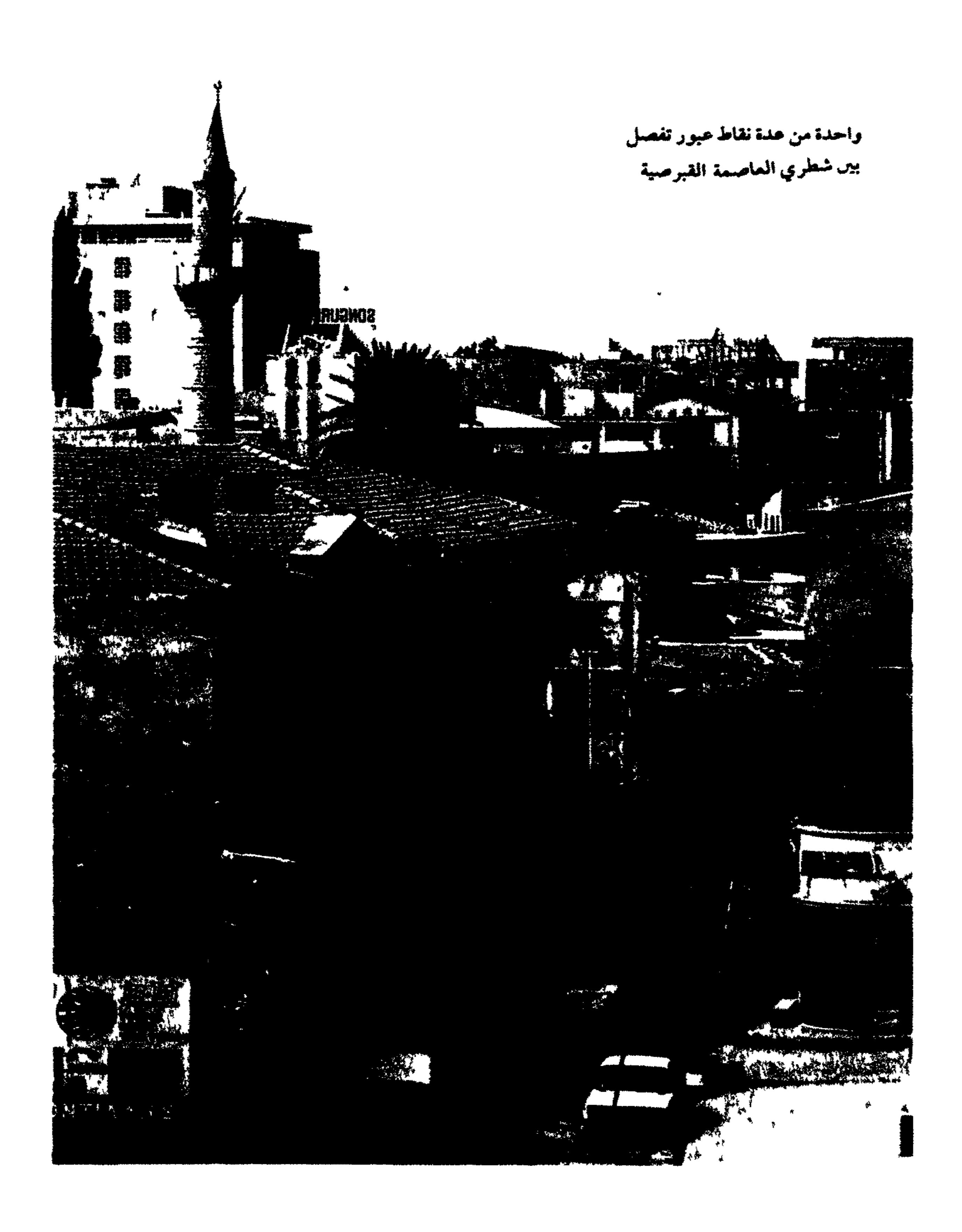
هذا العذاب وتلك الوداعة :

لقد كان للموقع الاستراتيجي الذي تحتله جزيرة قبرص في الركن الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط دور كبير في كل هذا العذاب الذي شهدته الجزيرة ، فهي حلقة الوصل بين القارات الثلاث للعالم القديم ، ومنذ فجر التاريخ ، ايام مجد الفراعنة المصريين عرفت الجزيرة الاحتلال لاول مرة عام

سائحة جاءت من أقصى الشمال لزيارة المكان الذي ولدت فيه أفروديت

على صهوة الحمار القبرصي الشهير – في الطريق من أيانابا الى لارناكا .





واحدة من عدة نقاط عبور تفصل
بين شطري العاصمة القبرصية

١٤٥٠ ق م ومنذ ذلك التاريخ ظلت محطة للغزاة العابرين والمقيمين ، فقد احتلها بعد ذلك الآشوريون والفرس والبطالسة والبيزنطيون والرومان ، والملك الانكليزي ريتشارد قلب الأسد الذي باعها مقابل ١٠٠ ألف جنيه لفرسان المعبد الصليبيين ، ثم عاد فمنحها للمغامر الفرنسي لوزيبيان احد فرسان المعبد بعد ذلك جاء البندقيون ثم الأتراك فالانكليز الذين واصلوا احتلالها حتى الاستقلال عام ١٩٦٠ ، وبعد ١٤ عاما جاء التدخل التركي ليقسم الجزيرة الى قسمين ، تركي وآخر قبرصي يوناني ، ولتصبح العاصمة نيقوسيا مدينة مقسمة في منطقة مضطربة ومجتمع دولي لا حيلة له

ومع ذلك ، فإن الوداعة والبساطة التي يتميز بها سكان الجزيرة لا تخفى على الزائر بأي حال ، يبدو ذلك من خلال حرارة الاستقبال وعفوية التعامل مع عشرات الجنسيات التي تغص الجزيرة بمواطنيها طوال العام ، كما يبدو من خلال تقبل المواطنين للزوار واستسلامهم لأجهزة التصوير التي تتدخل في خصوصياتهم وتقتحم عليهم منازلهم ، حتى في القرى النائية التي يفترض انها بعيدة عن الاحتكاك السياحي الذي تعرفه المدن الكبيرة

فوق صهوة حمار قبرصي

في الطريق من ايانابا الى لارناكا يراودك شعور بانك قد سلكت هذا الطريق من قبل ، وأنك دخلت القرى وشاهدت أهلها فالشبه بينها وبين القرى والطرق الجبلية في فلسطين ولبنان وسوريا اوضح من ان تخفيه اللغة المختلفة التي يستخدمها اهل الجزيرة

وعلى جانبي الطريق تبدو بين حين وآخر مجموعة من الأشباح تنحني فوق التربة الحمراء الممتدة على مرمى النظر ، انهم الفلاحون والفلاحات يلتقطون محصول البطاطا الذي تشتهر بزراعته هذه المنطقة من الجزيرة ، وتلوح في الأفق قطعان من الماشية منقادة امام كلب يمتثل لأوامر سيده الكهل الذي امتطى صهوة حماره القبرصي الشهير

ولأن الحمار القبرصي احد المعالم المهمة للجزيرة ، فقد وقفنا لالتقاط صورة للمشهد الجميل الطريف ، فامتثل الراعي وامتثل الكلب والحمار والأغنام التقطنا الصور بعد همهمات صامتة ، وبعض الاشارات مع الراعي الكهل ، ثم غادرناه وهو يكبح جماح الكلب المتحمس ، ملوحا بعصاه الغليظة التي امسكها من الوسط فيجري الكلب دائرا حول الاغنام التي انقادت طائعة في الاتجاه المحدد ، فوقفنا عن بعد نرقب حركة المشهد الذي يحمل اكثر من ايحاء !

وتساءلنا عن مصير الحمار القبرصي الشهير فجاء الجواب بانا غير محظوظين ، لأن هذا ليس موسم نقل الملح من بحيرة لارناكا المالحة الذي يتم اساسا على ظهور الحمير القوية التي يتجمع منها عدد كبير ، وشيء من الفخر قال لنا السائق المرافق انه منذ قرون عديدة وحتى الان لم تظهر وسيلة لنقل الملح افضل من الحمار القبرصي ، ولكن ـ يضيف محدثنا ـ لم يبق من هذه الثروة « الحيوانية » سوى القليل ، مما اوصل سعر الحمار الى ٥٠٠ باوند قبرصي ، وهو مبلغ كبير نسبيا ، ويشي باهمية لايستهان بها لحيوان لم ينصفه التاريخ الا في قبرص ، حيث لا تزال القصص تروي عن حادثة وقعت هناك ايام حرب التحرير بطلها الحمار القبرصي نفسه ، ففي احدى مراحل القتال بين الانكليز والثوار تم التوصل لوقف اطلاق النار ، فاراد الانكليز ان يغتنموا الفرصة للقضاء على الثورة فأطلقوا الطائرات ترمي على المدن منشورات تطالب الثوار بالاستسلام ، فما كان من هؤلاء الا ان اطلقوا حمارا يجوب شوارع العاصمة وحيدا متحديا منع التجول وعلى ظهره لوحة كتبت عليها عبارة « ابي استسلم »

الفلسطيني الأول في قبرص :

فيما عدا الشاطيء الذهبي الذي لم تكن الحركة فيه قد وصلت الى ذروتها هنالك ثلاثة معالم سياحية اخرى يتوجه اليها زوار لارناكا ، مسجد هالا سلطان ، والبحيرة المالحة وكنيسة العازر وترتبط احدى الاساطير الدينية بين البحيرة المالحة والعازر الذي اقامه السيد المسيح من الموت ، فهرب من فلسطين الى قبرص خوفا من اليهود ، لأنه ظل شاهدا على معجزات المسيح تقول الاسطورة ان العازر الذي كان سائرا في يوم قائظ الحر توجه نحو أحد الأكواخ ، وطلب من عجوز كانت تعيش فيه شيئا من العنب



جورج أيوانو وعائلته من قبارصة فلسطين ولد في معان بالاردن وعاش طفولته في القدس قبل أن يغادر الى قبرص .

لاطفاء ظمئه ، ولكنها كذبت عليه بقولها ان كرم العنب لديها جف دون ان ينتج عنبا ، فقال العازر غاضبا « لانك كذبت علي ، فان كرمك سيجف ويتحول الى بحيرة مالحة » وهكذا كان . ولاثبات هذه الاسطورة يجول حتى اليوم راهب بصحبة غلام على منازل الفلاحين لتلاوة القصة عليهم مستشهداً على صدقها ببعض جذور العنب الجافة التي يصادف وجودها في البحيرة الجافة احيانا ، وبالمقابل يعطي الفلاحون الراهب والغلام البيض ، فيدعوان لهم بحق القديس العازر ان يحفظهم الله ويحفظ مزروعاتهم .

واليوم تقف كنيسة القديس العازر في مدينة لارناكا فوق قبره لتخلد ذكرى قدوم اول فلسطيني الى لارناكا هربا من اليهود ، وذلك قبل نحو الفي عام من قدوم فلسطينيين الى الجزيرة هربا من صهاينة اليهود الذين انشأوا دولتهم على ارض الفلسطينيين عام ١٩٤٨ ، وقبل ان تنزل بها القوات الفلسطينية الخارجة من حصار بيروت عام ١٩٨٢ بعتادها واسلحتها وشموخها ، وقبل ان ينزل بها آلاف اللبنانيين الذين غادروا بلادهم امام الغزو الصهيوني لها في العام نفسه .

في مسجد هالا سلطان تمتزج الأسطورة بالحقيقة ، فهذا المسجد قائم فوق قبر ام حرام التي كانت ترافق جيش المسلمين ، الذين غزوا المدينة عام ٦٤٧ م ، فسقطت عن بغلتها وماتت هناك . وفي عام ١٧٦٠ قام حارس المنطقة التركي الشيخ حسن ببناء ضريح لها ، وفي ١٨١٦م قام سيد امين افندي حاكم قبرص التركي ببناء المسجد على طراز التكايا ، ذات التصميم التركي الذي يذكر المشاهد بالتكية السليمانية في دمشق ، والتكايا التركية الأخرى المنتشرة في البلدان التي وقعت تحت الاحتلال التركي .

وقد تضاربت الآراء حول ام حرام التي قيل انها عمة الرسول الكريم محمد (ﷺ) لكن الدكتور يونس مهران ، استاذ التاريخ الاسلامي في القاهرة يقول بأنها « ام حرام ، عمة انس بن مالك الصحابي الجليل التي كانت موضع احترام النبي هي وابن



▲
نساء قبرصيات من مختلف الأعمار يشتركن في تطريز قطعة قماشية كبيرة في قرية (لفكارا) الشهيرة بأعمال التطريز والأعمال اليدوية الأخرى

□□

فتاتان من (فلسطينيي قبرص) المهاجرين من المنطقة التركية يصنعان الحرف في مركز الفلكلور في نيقوسيا

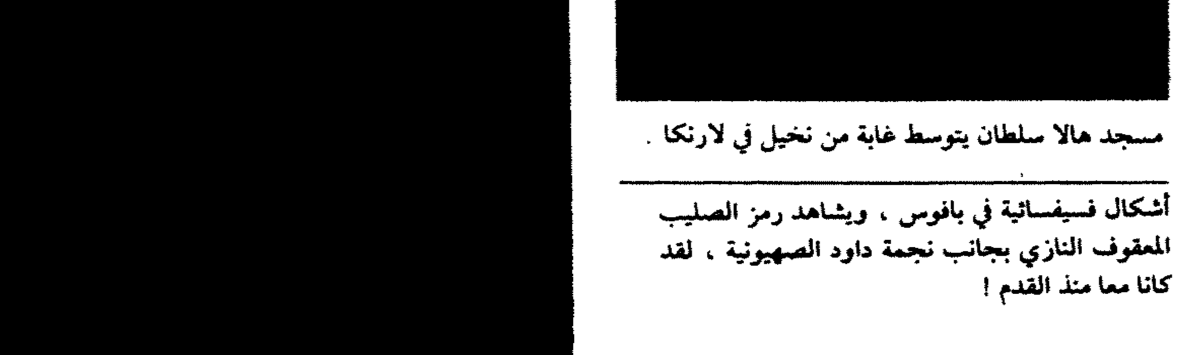
يد خبيرة في عرض الشارع .



كنيسة القديس العازر أول فلسطيني في قبرص .



مسجد هالا سلطان يتوسط غابة من نخيل في لارنكا .



أشكال فسيفسائية في بافوس ، ويشاهد رمز الصليب المعقوف النازي بجانب نجمة داود الصهيونية ، لقد كانا معا منذ القدم !

احيها ، وانه ربما من اجل ذلك جاء الخلط حول هويتها »

وتقول بعض الأساطير ان الجحريين اللذين يعطيان الصريح قد طارا من مكة ، وانتظرا معلقين في الهواء قرونا طويلة قبل استخدامهما في بناء الصريح وبالطبع فان نسج الأساطير حول احداث التاريخ في جزيرة الأساطير امر متوقع ، لكن ما هو غير متوقع بقاء من يؤمن بمثل هذه الأساطير والخرافات حتى يومنا هذا وفي جزيرة تحسب جغرافيا ضمن قارة العلم والتقدم ، اوروبا

في المجال الاغريقي :

من ليماسول الى بافوس ، من وسط الساحل الجنوبي لقبرص حتى اقصى الساحل الشرقي منها ، يدخل الزائر ما يمكن تسميته بالمجال الاغريقي

لاشيء يميز مدينة ليماسول عن غيرها سوى حجم الجالية العربية من لبنانيين هاربين من حربهم الى بعض السائحين من منطقة الخليج اساسا ، الى مستثمرين وتجار ووسطاء عقاريين نقلوا نشاطهم ومراكزهم التجارية من لبنان وغيرها الى قبرص لذا « فالصوت العربي » مسموع ومألوف في تلك المدينة ، التي كان للملك ريتشارد قلب الأسد فيها من الوقت ما جعله يتوقف ليتروح في قلعتها من خطيئته باريبعاريا ، في أثناء رحلة عودته مهزوما على يد صلاح الدين الأيوبي

في الطريق من ليماسول التي اقيمت فوق مدينة قديمة تدعى اماثوس الى بافوس وقرية بوليس تقوم عدة مناطق اثرية رومانية ويونانية وصليبية تعكس شيئا من التاريخ المتنوع للجزيرة ، فمن قلعة كولوسي التي بناها فرسان المعبد الصليبيون ، والتي تذكرنا بقلاع كثيرة تركها هؤلاء الغزاة في بلادنا ، الى مدينة كوريوم حيث المدرج الصغير المطل على السهول الخضراء المحاذية للبحر ، وأرضيات ما تبقى من منازل مزينة برسوم فسيفسائية ملونة ، نكتشف عند وصولنا الى بافوس انها مجرد عينات صغيرة لتلك القطع الفنية الكثيرة ، التي لا يزال قسم كبير منها سليما في بافوس ومن فوق المدرج القديم الذي ترد له الحياة في الصيف حين تقدم الفرق المسرحية اعمالها عليه ، نطل نحو الأفق فتتراءى لنا طائرات ليست كالطائرات ، انهم هواة الطيران الشراعي الذين ينطلقون بأشرعتهم الملونة من تلك الهضبة العالية المحاذية للبحر ، ليمارسوا هواية مثيرة وخطيرة محلقين العنـاء على الارض مراجيين الطير في السماء

هم في الفضاء ، ونحن على الأرض نتحرك في المجال الاغريقي نحو معبد ابولو ، الذي لم يبق منه سوى حلبة المصارعة التي شهدت صورا من عنف الانسان ووحشيته في عصر الرومان وفي احدى الزوايا قبعت جرة كبيرة الحجم ، كانت تستخدم لحفظ الزيت الذي كان المصارعون يستخدمونه في دهن اجسادهم عند التدريب وعلى بعد امتار قليلة من تلك الحلبة يقوم الحمام الروماني الذي لا غنى عنه بعد كل هذا العنف ومن المفارقة ان هذه الساحة الرهيبة كانت تستخدم في ايام السلم لفض الخصومات والمنازعات بين الناس وفي سبتمبر من كل عام كانت الاحتفالات تقام فيها ابتهاجاً بمولد ابولو ، اله الشمس

نغادر المنطقة متجهين الى بافوس فتلوح لنا عن بعد قلعة كولوسي مرة اخرى ، مطلة على المشهد الأخضر والى جوارها شجر الزيتون العجوز وبناء متهدم قيل أنه كان فيما مضى مصنعا للملح ، فعرفنا شيئا عن قبرص الصناعية في العصر الوسيط ، قبل ان نصل الى مكان يسمى « تل المصنع » في بافوس ، لنشاهد كهوفا ضخمة محفورة في الصخر ، قيل انها سميت بتل المصنع ، للاعتقاد بوجود مصنع للقطن في تلك المنطقة في أزمان الصناعة القبرصية الغابرة

قصور الأغنياء ومقابر الملوك :

بين صخرة افروديت في الطريق من ليماسول الى بافوس وحمامات افروديت التي تقع على بعد ٣١ ميلا الى الشمال الشرقي منها تقع العاصمة القديمة للجزيرة بافوس ، هنا ايضا ، كما في مدن قبرص الأخرى ، الشاطىء الرملي تفترشه مجموعات من الاجساد البرونزية ، التي جاءت لتصطلي بوهج الشمس التي لا تراها كثيرا في بلادها ، وكنائس ومعابد اغريقية ورومانية ، ومساجد غادرها المصلون المسلمون نحو الشمال الذي اعلن من جانب واحد

جمهورية قبرصية تركية منفصلة واشياء مشابهة شاهدنا مثلها في كل المدن القبرصية التي زرناها ، لكن لدى بافوس ما تختلف به عن مدن الجزيرة الأخرى : انها اعمال الموزاييك الملون الذي يغطي ارضيات المنازل الرومانية بالأساطير الاغريقية ، وقبور الملوك الغريبة . تلك المدن المحفورة في باطن الصخر وتحت الأرض لاستقبال جثث الموتى في توابيتها الحجرية المنضدة .

وعلى اي حال فلم تكن تلك قبورا للملوك بل قبورا لبعض الأغنياء اتخذها المسيحيون الأوائل ملاذا للهرب من الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه آنذاك ، وقد سميت بقبور الملوك لفخامة بنائها وضخامتها . ونستمع الى الشرح ونشرد بأذهاننا نحو بعض عواصمنا ، حيث يلجأ المسلمون الفقراء الحاليون نحو بعض المقابر ، هربا من قسوة الحياة خارج المقابر .

نجمة داود والصليب المعقوف :

وان كان لجثث اغنياء ذلك الزمان قبورهم الفخمة فقد كانت لهم في حياتهم بيوتهم الواسعة المترفة التي تغطي ارضيات غرفها رسوم فسيفسائية ، تمثل اساطير الاغريق ورموزهم وآلهتهم . وفي الموقع الذي اطلق عليه اسم بيت ديونيزوس تمتد فوق مساحة الأرضية تصويرات ملونة لتلك الآلهة والقصص والأساطير ، وعند الوصول الى غرفة الرموز التي تغطي ارضية احدى الغرف يدهشك الفن التشكيلي لبعض الرموز التي استكان كل منها في مساحته الخاصة به ، وتقع عيناك على احد اوائل الاعمال التشكيلية لمكعبات ذات ابعاد ثلاثة ، وعلى مقربة منها يفاجئك شكلان تعرفهما جيدا . وتتساءل عن سر وجودهما معا منذ ذلك الزمن السحيق ، انهما نجمة داود ، الرمز اليهودي والصهيوني المعروف ، وعلى مقربة منه شكل مقلوب للصليب المعقوف الذي كان شعارا للنازية ، التي اذاقت العالم ويلات الحرب والدمار منذ اكثر من اربعين عاما تحت شعار تفوق العرق الآري والعداء للسامية ورمزها نجمة داود . وبدلا من التساؤل عن كيفية وجود شعار النازية الى جانب النجمة الصهيونية قبل ظهور الفكرتين النازية والصهيونية باكثر من الفي عام ، قلت لنفسي بصوت مسموع ، لقد كانا على الدوام رمزين لمسمى واحد اسمه الدمار ، وحاولت مرافقتنا ان تستوضح ما أقول ، فأجبت بأن ذلك أمر لا يفهمه الا عربي

ونزل القرية غريب :

في صباح مبكر كنا في بلدة (لفكارا) التي تقع على بعد ٣٧ ميلا جنوبي العاصمة نيقوسيا في الطريق الى ليماسول . الأزقة القديمة الضيقة للقرية التي لم تستيقظ بعد ، تذكرك بقرية جبلية سورية او فلسطينية او لبنانية ، وكما هو الحال في معظم مدن وقرى الجزيرة ، تقف الكنيسة مقابل المسجد الذي لم يعد يرتاده احد منذ الحرب ، عام ١٩٧٤ ، حين غادرت الأقلية التركية المسلمة البلدة الى الشمال .

بعد الساعة التاسعة بقليل بدأت بوابات المنازل والحوانيت تفتح على مصراعيها امام الزوار والسياح القادمين لشراء اغطية المناضد والشراشف المطرزة التي تشتهر بها القرية الجبلية . تفتح العجائز الأبواب وتتركها مشرعة امام العابرين الذين لا يترددون في الدخول الى فناء المنزل ، الذي اختلطت فوق ارضيته الزهور بالاعمال اليدوية للفضيات من ادوات واوان



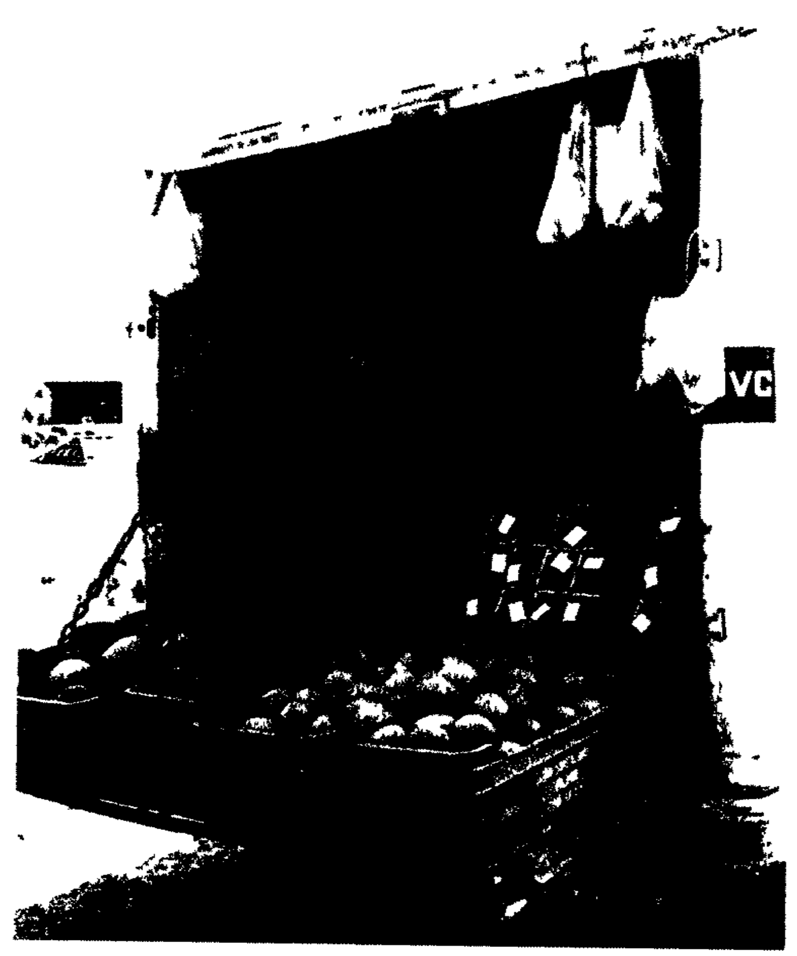
فلاحات من قبرص يجمعن محصول البطاطا .

أيانابا   بحر ومصطافون وفنادق جديدة



بائعة وقبعة

◀ بائع حصار في أيانابا يحاول أن يحمل ثلاث بطيخات بيد واحدة



ميناء ليماسول وصيادون يفرغون شباكهم . مشهد يتكرر في جميع موانىء قبرص .



قبور الملوك في بافوس ، اختبأ بها المسيحيون الاوائل ودفن فيها الأغنياء .

وتحف وقطع تربية ، بالقطع القماشية المطرزة بأسلوب لفكارا المميز والمعروف في انحاء مختلفة من العالم. وتجلس النساء من مختلف الاعمار في الازقة الضيقة امام منازلهن يطرزن القطع القماشية في جو يشي بألفة ومودة لم تمسه قرى الجزيرة المعددة.

وتمثل قرية لفكارا نموذجا فريدا من بين قرى الجزيرة ، فمنازلها ورش عمل حقيقية لسكانها الذين يقومون فيها باعمالهم اليدوية ، ثم يعرضونها للسياح الذين يمر ثلاثة آلاف منهم بالقرية كل يوم ، يطوفون بالمنازل والحوانيت للفرجة او للشراء. وفي احد الأصباح من عام ١٤٨١ نزل القرية زائر غريب واشترى قطعا من مطرزات لفكارا وعاد الى وطنه ليضع القطعة في كاتدرائية ميلانو الشهيرة في ايطاليا ، اذ لم يكن هذا الزائر الغريب سوى ليوناردو دافنشي ، فنان عصر النهضة الايطالي.

الحرب والجمال :

يمتد موسم الجزيرة السياحي فترة طويلة بكل المقاييس ، فشمس الجزيرة الحارة تصبح محتملة لدى السياح الاوروبيين القادمين من الشمال البارد منذ مارس ، حيث يبدأ الموسم ولا ينتهي قبل نوفمبر من كل عام ، وبعدها تتحول امواج السائحين نحو جبال ترودوس التي تقع اعلى قممها على ارتفاع ٥٥٠٠قدم فوق سطح البحر ، ومنذ يناير وحتى اواسط ابريل يبدأ المتزلجون على الثلج بممارسة هواياتهم في تلك المنطقة الجبلية ذات الطبيعة الساحرة ، ويختلط اللون الابيض للثلوج بثلاث قباب بيضاء تتربع فوق واحدة من اعلى قمم المنطقة ، انه المرصد البريطاني الذي يشرف على المنطقة العربية بأسرها بما في ذلك جزء من منطقة الخليج،وهو احدى ثلاث قواعد بريطانية في الجزيرة. وفي الاسفل يمارس المتزلجون او المصطافون في اشهر الصيف الأخرى هواياتهم المفضلة ببراءة لا تتناسب مع مهمة المرصد المتربع فوق قمة الجبل.

في الطريق من نيقوسيا الى ترودوس يراودك مرة اخرى ذلك الشعور الغريب بألفة المكان والفة الطبيعة المحيطة بجانبي الطريق ، وتبدأ الذاكرة باستحضار صور الطبيعة والأمكنة الشبيهة بها بشكل مدهش في لبنان وفلسطين وسوريا .

ومن خلال مذياع السيارة تأتي اصوات مذيعي محطات الارسال التي أقامتها الميليشيات والقوى اللبنانية المختلفة في الجبال الشبيهة على الجانب الشرقي من البحر. وتحاول ان تكتشف العلاقة بين جمال الطبيعة الجبلية وبين دوي المدافع وازيز الرصاص ، فقد كانت جبال ترودوس ايام حرب الاستقلال القبرصية مسرحا لمعارك شرسة بين قوات الاحتلال البريطاني ، وبين الثوار الذين اتخذوا من الجبال الوعرة والغابات الكثيفة مراكز لهم لشن حرب الاستقلال. ولكن وجه الشبه يأبى ان ينطبق هنا ايضا ، فالفرق كبير بين حروب التحرير والحروب الأهلية.

آخر المدن المقسمة :

لم يبق الا نيقوسيا ـ العاصمة ـ آخر المدن المقسمة في عالم لا يبالي. شوارع حديثة طويلة بين صفوف لا تنتهي من البوتيكات والمحلات التجارية ومقاهي الرصيف ، ليس بها وطأة المدينة الضخمة ، بل بها مسحة المدينة الشرقية ، بيروت ، وربما دمشق او بلدة فلسطينية اخرى ، لكن بيروت تبقى اكثر المدن شبها بها ، ويتعزز هذا الشعور عندما تمضي باتجاه المدينة القديمة (ليدرا) فتصطدم بأحد الحواجز التي تفصل بين شطري المدينة القبرصي والتركي فتتداعى في ذهنك على الفور اسماء كل الحواجز اللبنانية التي سمعت بها في نشرات الاخبار طوال احدى عشرة سنة هي عمر الحرب الأهلية في لبنان.

بعد أن أنهكت الغزوات المتكررة مدن قبرص الساحلية ، اختيرت نيقوسيا الواقعة في وسط الجزيرة تقريبا لتكون عاصمة للبلاد ، وقد مكنها وقوعها بين الجبال من تطوير نفسها بعيدا عن الغزوات في زمن الغزو ، فوصلتها يد الحرب عام ١٩٧٤ ، وقسمت في زمن الأمم المتحدة والدعوة لاحترام استقلال الشعوب،واصبحت لها نقاط عبور خاصة بها يأتي اليها القبارصة الاتراك ، الذين يعيشون في الجزء الشمالي الذي بقي تحت السيطرة التركية منذ عام ١٩٧٤ للقاء ابنائهم واقاربهم الذين فصلوا البقاء في مدنهم وقراهم مع القبارصة اليونانيين في الجنوب. تماما كما ظل الفلسطينيون يعبرون عند بوابة مندلبوم التي كانت تصل القدس العربية بالجزء المحتل منها بين ١٩٤٨

و١٩٦٧ حين سقطت البوابة والقدس وما تبقى من الأرض الفلسطينية في ايدي الصهاينة

لا بحر في نيقوسيا ، بل مواقع اثرية تتركز في المدينة القديمة ذات الجدران الصخمة والبوابات الثلاث القديمة الكبيرة ، وفي عدد من الكنائس والمساجد ربما كان اكثرها لفتا للنظر ذلك المسجد في الجانب التركي من المدينة الذي كان كنيسة بنيت على طراز كنيسة نوتردام الشهيرة في باريس مع تغييرات طفيفة ، وفي العهد التركي تحولت الكنيسة الى مسجد واقيمت عليها مئذنتان ، فغدت عن بعد مشهدا غريبا يعكس تعددية المدينة وأزمتها وطابعها الثنائي وتاريخها المتنوع

فلسطينيو قبرص وقبارصة فلسطين :

قبل ان تصل نيقوسيا قادما من لارناكا تلفت نظرك تلك المجمعات السكنية بأبنيتها الصغيرة المتشابهة ، وتعرف انها للاجئين القبارصة النازحين من القسم الشمالي من الجزيرة ، وتتذكر على الفور حالات اللجوء الأخرى من فلسطين الى لبنان ومنهما الى قبرص ، التي استطاعت بالرغم من كل شيء استيعاب مهاجرين آخرين اليها اضافة الى مهاجريها الأصليين ، فأصبحت الجزيرة المنهكة آخر المهاجر العربية ، وأصبح الوجود العربي هناك احدى الحقائق الكثيرة في الجزيرة فهناك التجار والمستثمرون والمواطنون والمؤسسات الصحفية والسياحية والمكاتب العقارية للشركات التي وجدت في قبرص بديلا عن بيروت الدمار

لكن العلاقة بين العرب والقبارصة ليست علاقة جديدة ، بل هي اقدم مما نتصور بكثير،تعود الى اوائل سنوات الحكم الاموي ومنذ ذلك التاريخ كانت الجزيرة هدفا لغزوات عربية عديدة او محطة لغزوات اخرين في طريقهم الى المنطقة العربية ، وفي ايام الاحتلال التركي للبلاد العربية حدثت حالات زواج كثيرة بين عرب وقبرصيات مسلمات للحصول على اعفاء من قانون الجندية التركي الذي كان يعفي المتزوجين من احسيات ، وهكذا وجد الفلسطينيون منهم انفسهم يغادرون الى قبرص عند احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ مع عدد من الفلسطينيين العرب ، وآخرين من اصول قبرصية او يونانية كانوا يعيشون في فلسطين ، واندمج اكثرهم في التركيبة الاجتماعية القبرصية قبل ان تصل الأجيال التالية من المهاجرين الذين لا يزالون يتدفقون على الجزيرة

كما اخذ الحضور العربي شكلا آخر تمثل في عدد كبير من القبارصة الذين ولدوا في مصر ، وعاشوا فيها ثم غادروها الى قبرص في اواسط الخمسينيات مع عدد من اليونانيين والايطاليين والفرنسيين الذين كانوا يحتلون مراكز اقتصادية مهمة حتى ذلك التاريخ لذا فليس غريبا ان تجد من يتحدث اليك بالعربية ايما كنت في قبرص

أما القبارصة الذين توزعوا بين شطري الجزيرة نتيجة لتطورات سياسيةفرضت عليهم فلا زالوا يأملون بحل قريب لوضعهم الشاذ ، بل ان هناك بعض المدن المختلطة التي لا يزال فيها القبارصة اليونانيون والاتراك يعيشون جنبا الى جنب تعبيرا عن رفضهم لهذا الوضع وتمردهم عليه فهناك قرية بيلا في الطريق بين ايايانا ولارناكا حيث يعيش ٧٠٠ قبرصي يوناني و٣٠٠ من القبارصة الأتراك في سلام تام والى هذه المدينة يأتي الأصدقاء القبارصة الأتراك واليونانيون للالتقاء بعيدا عن تعقيدات السياسة القبرصية

وقبل ان نغادر الجزيرة عائدين سمعنا عن قرية اخرى يتعايش فيها الطرفان تدعى بوتاميا تقع على بعد ١٣ ميلا من العاصمة نيقوسيا ، وهناك جلسنا مع الطرفين على مقهى واستمعنا الى نعيم حميد عميد الجالية التركية في تلك القرية المسالمة يتحدث بلغة انكليزية سليمة عن أُخوة القبارصة الاتراك واليونانيين ، وضرورة ضرب المثل بامكانية التعايش وقبل ان نغادر القرية قال نعيم حميد ان له رجاء خاصاً من أشقائه العرب المسلمين ، فمسجد القرية هناك بحاجة الى بعض السجاد ، وأنه يود لو تبرع بعض الأغنياء العرب به لفرشه في أرضية المسجد ، فوعدته بذكر ذلك في مادة الاستطلاع وقبل أن نركب السيارة عائدين الى نيقوسيا تقدم الينا شاب وسأل بلغة عربية تشوبها لكنة تركية مميزة

ـ انتم عرب ؟ تفضلوا فأنا اعرف العربية

لكننا اعتذرنا لضيق الوقت وغادرنا ، وفي ذهننا أسئلة عن الحرب والسلام ومصير البسطاء في جزيرة الحب المنهكة ◻



برميل البارود المتفجر في سيريلانكا

استطلاع : سليمان مظهر   تصوير : سليمان حيدر

من وراء اكياس الرمال تقف قوات الحكومة بأسلحتها في مواجهة عنيفه مع التأميل



يتلقى

الـدوسي

لتحل حوله

وشفتاه

مشكلة الأقليات في العالم . . مشكلة متفجرة . . سواء كانت في أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستنت . . أوفي اسبانيا بين أبناء الباسك والوطن الاسباني . . أو في الهند بين السيخ والأكثرية الهندوكية . . في كل مكان في العالم نجد هذه المشكلة . وفي الآونه الأخيرة ظهرت المشكلة في سيريلانكا بين التاميل والأغلبية السنهالية .

ما قصة هذا الخلاف الجديد وما هي جذوره

« العربي » تأخذك الى هناك كي تروى لك القصة من أولها .

وانفجر برميل البارود . . وتحولت الجنة الضائعة الى جحيم . . حدث هذا في نهاية شهر يوليو . . قبل عامين بالضبط . . ولم يكن أحد يتوقع ما حدث . . أو على الأقل لم تكن الصورة قد بلغت حد السوء بعد ، ولكن فجأة . . تحولت جمهورية سيريلانكا (ومعناها الجزيرة المتألقة وهي جنة الجزر في المحيط الهندي الواقعة الى الجنوب الشرقي من الهند) الى جحيم مندلع الأوار . ولم تعد هناك قيمة للحياة بعد . . القتلى والجرحى بالمئات ، والنار تشتعل في كل مكان ، والدم كأنه السيل يتدفق ليطيح أمامه بكل معاني الحياة . . وتحول كل شيء الى خراب . .

كانت الشرارة الأولى قد اندلعت في منتصف ليلة ٢٣ يوليو ١٩٨٣ ، ولم تكن سيارة الجيب ومن خلفها العربة العسكرية المصفحة تدري أن هناك من ينتظرها وراء أحد الجدران القائمة على الطريق في المعسكر القريب من مدينة « تينفلي » في اقليم « جافنا » ، المركز الرئيسي للتاميل . ولكن أفراد المجموعة المسلحة من المتطرفين الهندوس من « جماعة النمور » ـ أحد فروع جبهة تحرير التاميل ـ كانوا يدركون أنهم قد أعلنوا حرب التحرير ضد الحكومة في سيريلانكا . . وضد السنهاليين ، أصحاب الأغلبية الرئيسية بالذات . ووقع الهجوم ، وارتفع صخب الانفجارات ، وسقط أول قتيلين من ركاب الجيب العسكريين وسط الطريق . وبدأ بقية الجنود يطلقون نيران رشاشاتهم ويلقون القنابل اليدوية على المهاجمين . وتزايد عدد القتلى في بضع دقائق لتكون أول الحصيلة ١٣ قتيلا من العسكريين . . . بينما لم يعرف عدد القتلى من المهاجمين .

وحاولت السلطات احتواء الحادث ، وقررت دفن القتلى في ستة قبور بالعاصمة كولومبو في منتصف الليل . ولكن الخبر كان قد انتشر وذاع ، وبلغ أسماع السنهاليين الذين تجمعوا خارج أبواب المعبد البوذي في كاناتا . واحتوى الجنون الجميع ، وفي محاولة لتهدئة الموقف أمر قائد العسكر جنوده فحملوا الجثث الى داخل معسكر في « باناجودا » ، وزحفت الجموع خلفهم . وفي طريقها بدأت تشن الهجوم على كل من تجده من طائفة التاميل ، وتكتسح مراكزهم ، وتحطم محلاتهم ، وتحرق بيوتهم . وراحوا يقذفون كل ما يجدونه في المحلات والبيوت الى عرض الطريق ويشعلون فيه النار . . وانطلقوا يقذفون بالحجارة ويطعنون بالسكاكين كل من يقف في وجههم من التاميل .

حتى في السجن :

انتشر الهياج واستمر أياما ، وبلغت أخبار ما حدث الى المساجين السنهاليين في سجن « وليكادا »

في كولومبو ، فاندفعوا يهاجمون الحراس ورجال الأمن ، ويفتحون الزنازين على زملائهم المساجين التاميل ويقتلونهم شر قتلة . . وفي خلال وقت قصير كان عدد القتلى التاميل في السجن ٣٧ قتيلا من بين ٧٣ سجينا . وازداد الهيجان وامتد اللهيب الى كل مكان في قرى ومدن سيريلانكا التي يوجد بها التاميل . وكان هدف المهاجمين دائما هو البيوت والمحلات والمصانع . وبعد أسبوع من هذه الثورة الضارية التي قضت على الأخضر واليابس وجرت معها الدماء أنهارا ، بدأت الحكومة تتدخل لحماية التاميل ، وأقامت المخيمات لايواء المشردين والهائمين على وجوههم من الاطفال والنساء والعجزة .

كانت حصيلة المعارك في البيانات الرسمية ٣٨٥ قتيلا ، بينما كانت الأرقام غير الرسمية تؤكد أنها تجاوزت ألف قتيل . وبلغ عدد من تشردوا وفقدوا المأوى أكثر من مائة ألف . وبلغ عدد الدكاكين التي دمرت والمصانع التي أحرقت أكثر من ألف وخمسمائة .

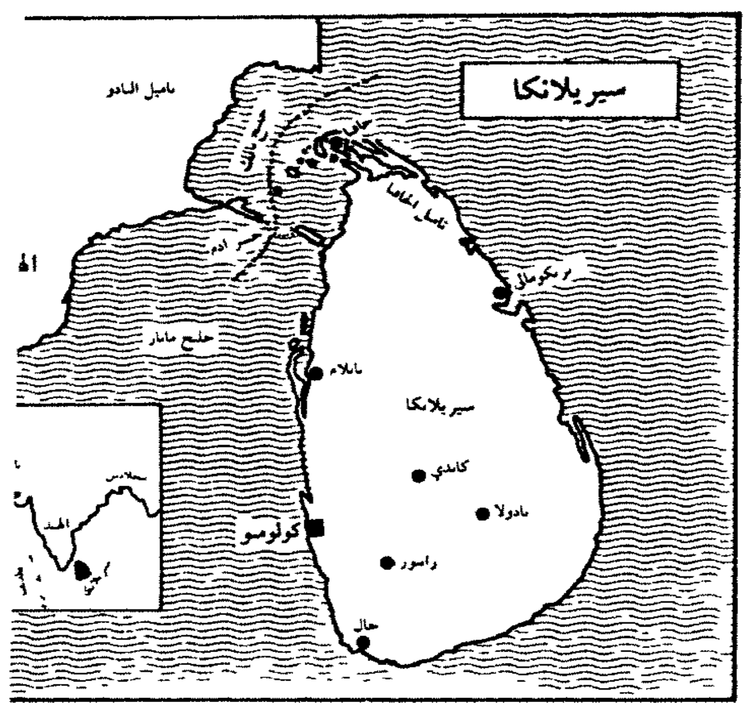
على أن الأضرار لم تلحق بالتاميل وحدهم . فان العمال من السنهاليين الذين كانوا يعملون في هذه المحلات والمصانع قد فقدوا موارد رزقهم . وأذاع وزير المالية نداء الى البنوك لطلب مد يد المساعدة والعون ، بعد أن أعلن أن الخسائر المادية قد تجاوزت أربعة بلايين من الروبيات (١٦٥ مليون دولار أمريكي) . ولم يكن الضرر مقصورا على الأفراد ، بل تعداهم الى الاقتصاد الحكومي والى خطة التنمية التي كان لابد أن تتوقف بعد ان انهار الاقتصاد الوطني . .

تلك هي تفاصيل الشرارة الأولى التي أدت الى انفجار برميل البارود بين التاميل والسنهاليين . .

ولكن . . من هم التاميل . . . ومن هم السنهاليون ؟

هؤلاء هم التاميل :

لقد عرفنا كل شيء حين كنا نلاحق الأحداث بعد انطفاء جذوة النار التي كانت لا تزال تشتعل تحت الرماد ، بعد أن هدأت الأمور قليلا لتنفجر من جديد . . وبين العاصمة كولومبو ومدينة جافنا -



حريطة سيريلانكا حيث تقع الجزيرة شرق الهند . . وتبدو مناطق التاميل في الشمال تواجهها مناطق تاميل النادو في شبه الجزيرة

المركز الرئيسي للتاميل في شمال الجزيرة - تنقلنا لنشهد بعض الحقيقة ، ونتابع سر الأزمة ، وما وراء البرميل الذي انفجر . .

يشكل التاميل حوالي ١٩ في المائة - اي حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة - من سكان سيريلانكا البالغ عددهم حوالي ١٥,٥ مليون نسمة . وحوالي الثلثين من هؤلاء التاميل - وهم من يعرفون « بالجافنا تاميل » - تمتد جذورهم الى أرض الجزيرة منذ حوالي الفي سنة . أما الباقون - وهم حوالي ٦٪ من السكان - فهم من الهنود التاميل الذين وفدوا من جنوبي الهند - الوطن الأسيوي الأم - خلال القرون الأخيرة . . وكل هؤلاء لايفصلهم عن « تاميل النادو » في الجنوب الشرقي للهند الا ممر مائي هو مضيق بالك . . يبلغ عرضه حوالي ٤٠ كيلو مترا .

على أن تاميل الجافنا يعتبرون أنفسهم أعلى منزلة من التاميل الوافدين . . ليس فقط لارتباطهم بالجذور الأصيلة لأرض سيريلانكا . . ولكن أيضا لمقدار التفاوت الاجتماعي والثقافي والحضاري

فيما لغة التاميل ، والعقيدة الهندوكية ، والتقاليد المتوارثة ، والعلامات المميزة هي السائدة بين هاتين الفئتين نجد أن تاميل الجافنا المحصورين بحدورهم داخل الأرض يستندون في التفاخر أيضا الى أنهم من نسل المقاتلين الأوائل من ملوك البانديا والشولا والبالافا الذين جاءوا غزاة من الجنوب الهندي ، واستمر حكمهم في القرنين الثاني والثالث الميلادي

وعلى العكس من ذلك ، فقد وصل التاميل الهنود الى سيريلانكا كعمال أجراء ، للعمل في مزارع البن والشاي الانجليزية ، حيث صحب وصول الاستعمار البريطاني في أواخر القرن الثامن عشر ، بداية استقدام موجة جديدة من المزارعين الهنود والأغلبية من هؤلاء مازالوا يعملون في مناطق زراعة وصناعة الشاي على سفوح التلال في سيريلانكا ولا شك أن هؤلاء قد جاءوا من المناطق الأكثر فقرا والطوائف الدنيا في جنوب الهند لهذا يعتبرون أدنى ثقافيا واجتماعيا وسياسيا بالنسبة لاخوانهم المقيمين القدامى الأعمق انتسابا للأرض

وحتى بالنسبة للأنشطة العقائدية ، فان العقيدة الهندوكية التي عايشها التاميل الهنود هي بشكل عام أكثر تأصلا في أعماقهم وعاداتهم وبينهم هؤلاء الذين يمارسون أعمال السير فوق النار ، والذين يمارسون أشد أنواع التعذيب للنفس كعقوبة تكفير عن الذنوب

وتاميل الجافنا ينظرون الى التاميل الهنود على أنهم قد فقدوا حتى نقاوتهم كجنس ، وذلك بالتزاوج بينهم وبين الطوائف الأخرى ويبدو ذلك أكثر وضوحا بالنسبة لفئة منهم ما يزال التزاوج قائما بينهم وبين المسلمين السيريلانكيين والذي يبلغ تعدادهم حوالي المليون

وبين تاميل الجافنا فئات صارمة تبالغ في التحجر والانغلاق وأشد هؤلاء صرامة هم الساتيون من البرهميين المنتسبين الى الرهبان البراهمة الذين يعتبرون أنفسهم أكثر التاميل نقاوة وسموا

ويأتي بعد هؤلاء « الفيللالا » طبقة الملاحين المترمتين ، ثم الحرفيون وخصوصا الذين يعملون في صناعة المشغولات الذهبية ، ثم الحدادون والنجارون فلكل من هؤلاء الحق في دخول المعابد الهندوسية لتقديم القرابين والتعبد للآلهة بينما الفئات الأخرى من التاميل الوافدين بما فيهم الصيادون والساحون والحلاقون وقارعو الطبول ، لا يجرءون على الجلوس بمستوى الطوائف الأعلى ، ولا على تناول الطعام على نفس المائدة مع التاميل الأكثر سموا

والسنهاليون :

ولكن ماذا عن السنهاليين ؟

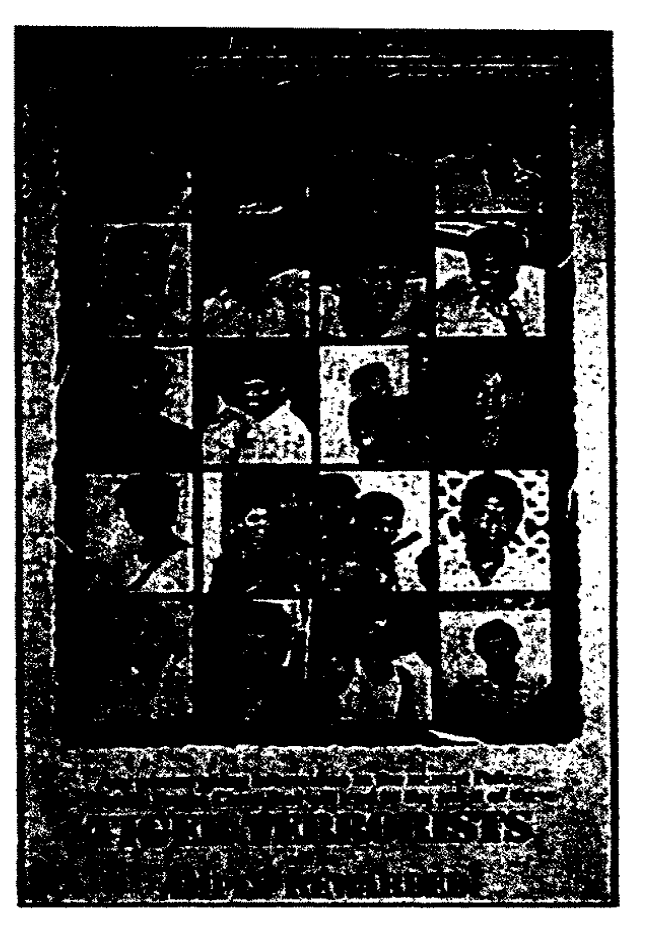
تعتبر الطائفة السنهالية نفسها الأسبق في الجزيرة ، وأنهم ينحدرون من الاصول السكانية في سيريلانكا ويحدثنا أحد الدارسين من البوذيين-كان يصحبنا في جولتنا ونحن على أبواب المعبد البوذي الرئيسي في كولومبو-فيقول

لا تظنوا أنها أسطوره ، حتى لو كانت بعيدة عن التصديق بالنسبة لكم ، فقد تناسل السنهاليون من أسد عظيم اسمه « سنها » مازال دمه (لي) يجري في عروق أبنائه وأحفاده

ويبدأ تاريخ السنهاليين وفق التسلسل الرسمي بوصول الأمير « فيجايا » قادما من شمال الهند وهو حفيد الأسد المقدس الذي تؤكد الموروثات الشعبية أن أباه الملك « سنهاباهو » قد ولدته لبؤة ونزل فيجايا في المنطقة التي تسمى الان « مانار » ، وأطلق على الأرض التي نزل فيها اسم « تامبا باني » نسبة الى تربتها النحاسية الحمراء وقد اتفق توقيت وصوله مع اللحظة التي كان بوذا المستنير يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة على الأرض قبل أن يصعد الى « النيرفانا »*

ويقول « الماها فامسا » الكتاب البوذي المقدس أن

* النيرفانا مرحلة من السمو تعتبرها الكتب البوذية اتحاد الفرد بالله ومقوماتها السبعة عند بوذا هي السيطرة على النفس ، والوصول الى الحقيقة ، والنشاط ، والهدوء ، والغبطة ، والتركيز ، وعلو النفس وهو أسمى ما يمكن أن يصل اليه الانسان



قيادات النمور . . مطلوب القبض عليهم



ثلاث فتيات بعد خروجهن من العزلة .



امرأة من التاميل . . تقدم القربان . وتتلقى البركات في المعبد الهندوسي .

ساحرة تسمى « كوفيني » من قبيلة « ياكساس » أغوت رفاق فيجايا وأوقعتهم في أسر هواها . ولكن البطل ـ تحميه مباركة قدسية ـ لم يكن ليضل حتى عندما ظهرت كوفيني أمامه في صورة أميرة رائعة الجمال ذات شعر طويل هفهاف . وأمسك فيجايا بالساحرة وهددها بأن يقطع رأسها إذا لم تخلص رفاقه من سلطان غوايتها .

ووافقت الساحرة ، بل أكثر من ذلك عرضت أن تساعد فيجايا في ذبح أبناء قبيلتها والقضاء عليهم بشرط أن يجعلها ملكته . وهكذا اتفق الاثنان وتمت الصفقة . وأصبحا معا صاحبي السيطرة على كل أرض المنطقة . ولكن ما كادت سنوات قليلة تمضي حتى ضاق فيجايا ذرعا بملكته ، فطردها الى منفاها بين ثنايا الأدغال ، حيث رجمت بالحجارة حتى الموت بأيدي الفلول الهاربة من رجال قبيلتها .

كانت هذه هي بداية وجود السنهاليين في أرض سيريلانكا كما حدثنا بها الدارس البوذي . وأضاف صاحبنا أن الأبحاث التاريخية أكدت أن أصل المستوطنين الهندوآريين هم ممن جاءوا من شمال الهند الى جزيرة سيلان ، وامتزجوا مع الأجناس البدائية في الجزيرة من قبائل الياكساس والناجاس ، وتعلموا منهم لغتهم البراكريتية التي تحولت فيما بعد على مدى القرون الى اللغة السنهالية .

بعد أن تخلص فيجايا من ملكته الساحرة تزوج ملكة ثانية من « مادورا » بادئا بذلك تقليد استقدام زوجات من الهند ممن يجري في عروقهن الدم الملكي . . تماما كما حدث بالنسبة لما نقلوه من الفنون والهندسة ونمط القصور الهندية . . وأكثر من ذلك . . ما أخذوه من العقيدة البوذية .

هذه العقيدة هي التي تمتلىء بها أعماق الغالبية العظمى من السنهاليين الآن . ويمثل السنهاليون ٧٤٪ من سكان سيريلانكا . . أي حوالي ١١ مليونا ، من بينهم عشرة ملايين يدينون بالبوذية . وفي كل جزء من الجزيرة ـ ماعدا القسم الشمالي والساحل الشمالي الشرقي ـ فان السنهاليين البوذيين يمثلون الغالبية العظمى . وبرغم أن عددا من السنهاليين قد تحولوا الى الكاثوليكية أو البروتستانتية أو الهندوسية أو الاسلام . . الا أن عقيدتهم القديمة ما تزال راسخة في أعماقهم وتقاليدهم وتصرفاتهم . .

قصص العبور :

ان توافق توقيت فيجايا مع صعود بوذا الى النيرفانا في أرض « تامباباني » جعل من سيريلانكا حارسة العقيدة البوذية وحاميتها . فخلال حياة بوذا قيل انه انتقل عابرا من الهند الى سيريلانكا ثلاث مرات على الأقل ، وقد أصبحت المناطق التي نزل بها أماكن مقدسة . ويقول البعض انه ترك أثر قدمه على قمة جبل « سري بادا » التي تسمى أيضا « قمة آدم » . . حيث يعتقد أن ذلك الأثر هو أثر قدم آدم ابو البشر حين عبر الطريق هابطا من الجنة المفقودة الى الأرض عند سيلان .

وخلال حكم الامبراطور « أشوكا » راعي البوذية في الهند ، أرسل ابنه « ماهندا » الى سيريلانكا ليهدي الملك وقومه الى عقيدة بوذا المستنير .

وتتابعت أحداث التاريخ ، وتم مع تتابعها أكثر من عبور بين الهند وسيلان .

ولعل أبرز عبور بعد عبور بوذا ، هو عبور الجد الاكبر للسنهاليين حفيد الاسد « سنها » الذي جاء من شمال الهند ليستقر في سيلان ، وليقوم من بعده شعب السنهاليين . ثم كان بعد ذلك عبور التاميل من جنوب شرقي الهند الى سواحل سيلان مهاجرين مرة وغزاة عدة مرات . . ولتكون الهجرة والغزو من بعد ، أساسا لاستقرار طائفة التاميل في سيريلانكا . .

الجسر التاريخي المقدس :

أكثر من رباط تاريخي آخر كان يربط دائما بين الهند وسيلان منذ قرون كثيرة . . ولكل منها جذوره المقدسة عند كل من الهندوس والبوذيين . وتتحدث « الرامايانا » . . أهم الاساطير المقدسة في العقيدة الهندوسية ـ عن الجسر التاريخي الذي أقامته القرود بين شبه جزيرة الهند وسواحل جزيرة سيلان . فحين قام « رافانا » ملك الشياطين بخطف « سيتا » زوجة الأمير راما ، وانطلق بها في مركبته السحرية الى مقر عرشه . . عمدت الأميرة الى إلقاء وشاحها وعقدها ليسقطا على سفح جبل القرود . ووقع الوشاح والعقد في يد القرد « هانومان » الذي حكى للأمير راما كيف

أنه رأى بنفسه مركبة رافانا وهو يطير بها ومعه الأسيرة نحو الجنوب . وشجع هانـومان الأمـير أن يستعين بملك القرود للبحث عن المكان الذي نزل فيه رافانا والأميرة المخطوفة . وعلى رأس أحد جيوش أربعة أرسلهـا ملك القرود انـطلق هـانـومـان لاداء هـذه المهمة ، وبلغ اخلاص هانومان لصديقه راما حدا جعله لا يهتم بما يقاسيه هو وجيشه حتى بلغ شاطىء المحيط . وأطل فاذا هناك على مسافة بعيدة جزيرة مسحورة يحيط بها ضباب كثيف . وأدرك هانومان أن هذه الجزيرة هي المكان الذي يسعى اليه . واستطاع من خلال مغامرة مثيرة وقوى سحرية جبارة ، أن يقفز من شاطىء المحيط الى شاطىء جزيرة سيلان ، حيث استطاع أن يتعرف على قصر رافانا وأسيرته ، ويثير الذعر في قلب كل الشياطين ويشعل النـار في قصر الملك رافانا . وحين عاد هانومان الى راما وأطلعه على ما عرفه أعد ملك القرود جيشا كبيـرا سار بـه راما وهانومان حتى وقفا في مواجهة جزيرة سيلان (وهي التي عـرفها الـرحالـة العرب بـاسم سـرنـديب) . واستخدم القرد هانومان ذكاءه في البحث عن وسيلة للعبور الى الجزيرة . ومضت ملايين القردة تجمع كل ما أمكنها جمعه من جذوع الشجر وقطع الصخـر ، وأقاموا جسرا بين ساحل الهند وساحـل الجزيـرة ، عبرت عليه جيوش القردة في الظلام . ودارت معركة رهيبة كان لابد أن تنتهي بهزيمـة ملك الشياطـين ، وعـودة راما ومعـه امرأتـه سيتا وقـائد جيشـه القرد هانومان منتصرين .

وتقول رواية أخرى ان الجسر التاريخي الذي أقيم عبر المحيط الهندي اقامته القرود بأن تماسكت بعضها في أيدي البعض الآخر حتى قام الأمير راما وعبره على ظهر القرود من الهند الى سيلان حتى تمكن من انقاذ سيتا . . ولعل هذا هو ما جعل للقرود قداستها عند الهندوس . .

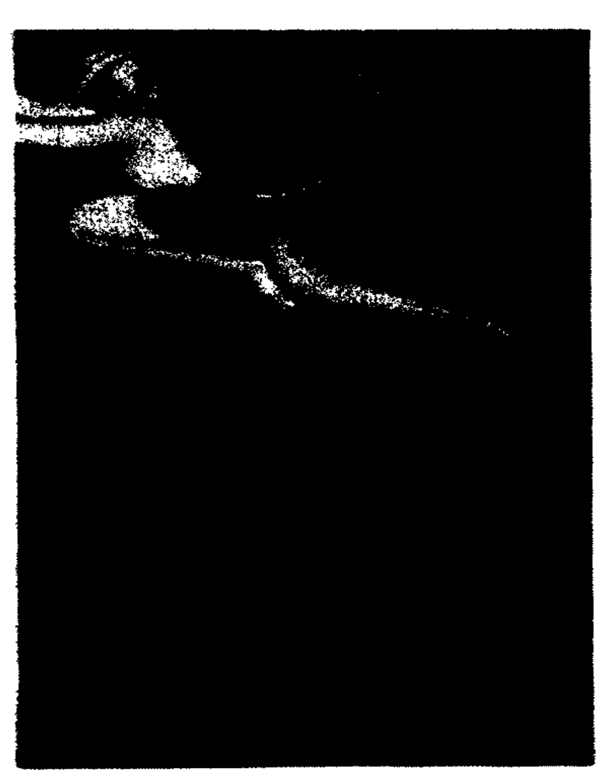
ومن المقدسـات الـرئيسيـة عنـد البـوذيـين في سيريلانكا قصة عبور مقدس آخـر هي قصة عبـور « سن بوذا المقدس » والذي قامت من أجل امتلاكه عدة حروب .

فقد حدث منـذ حوالي ٢٣ قـرنا حـين بلغ بوذا مرحلة النيرفانا وصعد الى السماء ، أن تم تقسيم بقايا جسده بين الرهبان البوذيين في جنوب آسيا وكان من بين ذلك سن بوذا الأيسر الذي أصبح في ملكية ملوك كالينجا لعدة قرون . وحين تعرضت المملكة لهجوم اعداء معـادين للبـوذيـة ، خـاف الملك أن يتعرض سن بوذا لأي ضرر ، فأعطاه لابنته مؤكدا عليها أن تعبر بالسن الى مأمن في سيريلانكا لو هـو تعرض للهزيمة . . واذ حدث مـا توقعـه الملك فقد اخفت الأميرة السن بين ثنايا شعـرها ، وعبـرت به وهي في ثيـاب الحجاج الى سيـريلانكـا . واستقبل الملك السن المبـارك في تقـديس ، وحفـظه داخـل صندوق من الذهب ، داخل معبد شيد خصيصا من أجله . ويقـول البرتغـاليـون انهم حـين استعمـروا الجزيرة بعد ذلك عثروا على السن وكسروه . . ولكن السيـريـلانكيـين يتفـون الـروايـة الاستعمـاريـة ويرفضونها ، ويؤكـدون أن السن الذي عـثر عليه البـرتغاليـون كان سنـا مزيفـا . وأن السن الأصيل مطمور في مكان ما ، وسواء كان السن مكسورا أو مطمورا فقد شيد السنهاليون البوذيون على اسمه أشهر هياكلهم المقدسة في العالم « معبد السن » في مدينـة كاندي التي أصبحت بوجوده فيها مدينة مقدسة عند البوذيين . . حيث يحتشد الآلاف في المعبد مع نهاية يوليو من كل عام في احتفال ديني كبير يسمونه عيـد « أليسالا بيراهيرا » يستمر عشرة ايام ، وتقود حفـل الختام مسيرة من مائة فيل مزينـة بالمخمـل والحريـر المطرزين بالذهب والفضة ، ومن وراء الفيـل يسير حملة المشاعل والراقصون في موكب بطيء على قرع الطبول

وثمة عبور مقدس اخر يعتبره السنهاليون مفخرة لهم . . هو عبور فرع شجرة « البو » المباركة التي كان يجلس تحتها بوذا ، حين تبين له أنه أوشك على نهاية بحثه الطويل عن حكمة الحياة ، وأدرك أن أول قانون للحياة هو أنه « من الخير يـأتي الخير ومن الشـر يأتي الشر » وأنه بذلك قد بلغ مرتبة المستنير . فقد قطع الامبراطور أشوكا-راعي البوذية في الهنـد-غصنا من الشجرة المباركة التي صاغ بـوذا تعاليمـه في ظلالهـا وأرسله الى ولده « ماهندا » في سيريلانكا لتحل البركة باتباع البوذية السنهاليين . وحملت فرع الشجرة سفينة ملكية ذهبية صحبتهـا ابنة الامبـراطور لتسلمـه الى

أول جسر بين الهند وسيريلانكا تقيمه القرود بقيادة هانومان (اللوحة العليا) ، وعلى الجسر مرت جيوش راما لانقاذ سيتا من قصر ملك الشياطين الذي أحرقه هانومان (الى أسفل) ، وهي قصة مقدسة تعرض بالتماثيل على جدران معابد التاميل (أسفل يمين) .







جاوتا ما بوذا « المستنير » قبل صعوده الى النيرفانا . . لوحة دينية على جدران المعبد البوذي .

أخيها . وخرج أهل الجزيرة كلهم لاستقبال الغصن المقدس في احتفال ديني كبير ، وحملوه في محفة من الذهب حتى بلغوا به قصر ماهندا الذي أعاد زرعه في حديقته ، حيث ما تزال الشجرة قائمة حتى اليوم . . يقدسها البوذيون ويتباركون بها باعتبارها ما تبقى من شجرة البو المقدسة . .

المهم هو أن هذه الروابط التاريخية بين الهند وسيريلانكا كان لها أثرها في تخفيف الحدود الفاصلة بين أصحاب العقيدتين الرئيسيتين في الجزيرة . . البوذيين والهندوس . . وبمعنى آخر السنهاليين والتاميل . واستمر ذلك زمنا طويلا مع قناعة الطائفتين بأنهما ينتسبان الى نفس الوطن الأم . . الهند .

فالبوذيون هنا على سبيل المثال متأثرون بممارسات العبادات الأخرى كالهندوسية والمهايانا . وهم يتباركون بآلهة هذه العقائد ، ولا يجدون ما يمنعهم من أن يلجأوا اليها في أوقات الجفاف ونقص الطعام وأيام الفيضانات . . بل انهم يلجأون اليها حتى لحل المشاكل العائلية . . وفي أوقات الامتحانات المدرسية . وفي ساحة كل بيت أو في مدخله نجد في الغالب هيكلا يقدسون فيه واحدا أو أكثر من هذه الآلهة ، ويؤدون لها صلاة تعبد عند الدخول أو الخروج من البيت . ومن أقرب هذه الآلهة الى السنهاليين البوذيين أنفسهم ، فشنو وكاترا جاما وبايتيني وناثا . وتسمع تبريرا لذلك من بعض الشباب من السنهاليين حين يقول لك ان بوذا نفسه لم يمنع أبدا تقديس الآلهة . . وأن كان يقول دائما انها لا تستطيع أن تحول دون آلام البشر ، أو تمنع الأذى عنهم . . والانسان في حاجة الى أن يبحث عن العون من الآلهة المقدسة . . ولا يمنع الأمر أيضا من تقديم القرابين الى آلهة الهندوس إتقاء للشرور . .

ويبدو ذلك واضحا فى اثناء الاحتفالات والأعياد الدينية التي تسمى « رقصات الشيطان » لتهدئة

الأرواح الشريرة ، وهم يلبسون الأقنعة التي ترد السحر الأسود الذي قد يتعرضون له . بل ان قصة الرامايانا الهندية توجد مرسومة في بعض المعابد البوذية في سيريلانكا جنبا الى جنب مع قصة حياة بوذا منذ هجر قصر أبيه ملك الساكيا في أعالي الهيمالايا ، بحثا عن الحقيقة حتى بلغ النيرفانا . وقد يعود ذلك الى اعتقادهم بأنهم ـ كما قلنا ـ من نسل الأسد الهندي « سنها » وهو ما جعلهم يرون أنهم مزيج من أصول الآريين .

شيء آخر يربط بين العقيدتين ، فلا يوجد فارق كبير في الأسماء بينهما ، ولا تستطيع من خلال أسماء السنهاليين أو التاميل أن تعرف الى أي الطائفتين ينتسب صاحب الاسم ؟ .

عودة الى الانفجار :

ومع هذا . . فقد انفجر برميل البارود . . وكان هذا الذي حدث بعدما انطلقت الشرارة الأولى في يوليو قبل عامين . على أن تطورات أخرى زادت النار اشتعالا . فهناك في الجانب الآخر . في القسم الجنوبي الشرقي من الهند . . توجد الأصول الرئيسية للتاميل . . هناك « تاميل النادو » .

وربما لم يكن تاميل النادو بعيدين عن تحريك الأحداث . . وهو ما تؤكده حكومة سيريلانكا وما تشير اليه الأمور من أن حكومة الهند هي القادرة على إيقاف القتال أو العمل على إقرار اتفاق لوقف النار والبحث عن حل سياسي للأزمة .

والرئيس السيريلانكي جايواردين كان في لقائه ومحادثاته مع راجيف غاندي رئيس وزراء الهند في أواسط يونيو الماضي كان يركز دائماً على أن الذي يقود النمور من ثوار التاميل شاب لا يتجاوز عمره ٣١ سنة هو « براباكاران » يتخذ مقراً له في مدراس المركز الرئيسي لتاميل النادو في الهند ، من حيث تتدفق المساعدات لتاميل الجافنا . . هذا الزعيم الشاب هو الذي عمل على توحيد حركات المقاومة التاميلية الأربع خلال أحداث ١٩٨٣ حين قال : « لم تعد هناك وسيلة سوى المقاومة المسلحة . ولن تستطيع هذه المقاومة أن تنتصر إلا بتوحيد قوانا » . وقد تم بالفعل في ابريل ١٩٨٤ قيام الجبهة الوطنية للتحرير تحت اسم « نمور تحرير تاميل إيلام » ويتراوح عدد القوى الفاعلة فيها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ عضو بينهم ٥٠٠ في مدينة جافنا وحدها وهم مسلحون بشكل جيد ومدربون أحسن تدريب .

ولعل قمة المواجهة التي جرت في الفترة الأخيرة هو ذلك الهجوم الذي قام به النمور على المدينة البوذية المقدسة عند السنهاليين « انورا دبورا » حيث قتل ١٥٠ من المدنيين . ويعتقد أن هذه الهجمات كانت عملية انتقامية ردا على غارة عسكرية قامت بها القوات الحكومية ضد المدنيين التاميل . واذا كان الجيش قد استعد للمواجهة بعنف ، الا انه بذل جهداً كبيراً لمنع الالتحام بين السنهاليين وتاميل الشرق والشمال ، وان صاحب ذلك حملة اعتقالات واسعة شملت حوالي ١٥٠٠ من التاميل احتجزوا بلا محاكمة في معسكرات الجيش حيث عوملوا بشدة وقسوة لعلها كانت أحد الدوافع للمزيد من العنف والضراوة المضادة التي لجأ إليها شباب النمور في صراعهم ضد السنهاليين . . .

وفي لقاء مع أحد الشباب السنهاليين في كولمبو قال لنا : اننا معشر السنهاليين قد سببنا لأنفسنا ضررا كبيرا من جراء أحداث التخريب والقتل والحرق والتدمير . فالتاميل يملكون حوالي ٦٠ في المائة من الأعمال التجارية في البلاد ، و ٨٠ في المائة من تجارة التجزئة في العاصمة . وبتدمير القاعدة الصناعية التاميلية حدث عجز كبير في الموارد الغذائية ، مع ارتفاع خطير في الأسعار . . بالاضافة الى فقد كثير من فرص العمل . . وها أنت ترى أننا نعاني من البطالة ، ونضطر الى قبول أي عمل مهما كان للحصول على لقمة العيش . . في الوقت الذي يهتم التاميل في مناطقهم الرئيسية بأن يكونوا أحسن حالا من بقية الأهالي الذين يعانون البطالة . وكان أسوأ ما في الأمر وما زاد الطين بلة ، أن عناوين الصحافة الأجنبية أبرزت الأحداث الدموية التي تجري في البلاد ، وكشف عجز السلطات الأمنية عن الوقوف في وجه المتحاربين من الجانبين . فهرب السياح الذين كانت اقتصاديات البلاد تعتمد عليهم بنسبة كبيرة ، يصل مدخولها الى حوالي ثلاثة بلايين من الروبيات . . والواضح من الصورة الآن أن استرداد نشاط الحركة السياحية لن يتم قبل عدة سنوات .

وتلك في الواقع صورة صحيحة للموقف الاقتصادي المعقد في سيريلانكا منذ بداية الأحداث الأخيرة . التي كانت لها بدايات أخرى منذ الاستقلال . . فان أحداث العنف كانت تندلع بين الحين والآخر بين التاميل والسنهاليين ، وكان أبرزها أحداث اعوام ١٩٥٨ و ١٩٦١ و ١٩٧٧ و ١٩٨١

و ١٩٨٣ وهي الأحداث التي ما تزال مستمرة بشكل دموي يبعث على الأسى .

وفي لقاء مع عدد من المثقفين من الطائفتين خرجنا بأن سوء العلاقات بين التاميل والسنهاليين له جذوره التاريخية .

فقد وصل السنهاليون الهندوآريون الى سيريلانكا خلال القرن الخامس لينضم اليهم بعد وقت قليل الغزاة التاميليون القادمون من الممالك التاميلية المسيطرة القوية في جنوب شرق الهند . وخلال القرنين ١٢ و ١٣ قام الحكام الهنود بعدة حملات غزوا فيها سيريلانكا في عدة مناسبات . وبانتهاء القرن ١٣ نجح المستوطنون التاميل في اقامة مملكة مستقلة في الجزء الشمالي من الجزيرة . وقد استمرت هذه المملكة حتى الغزو البرتغالي في القرن ١٧ .. وهي نفس المنطقة التي يعمل التاميل الانفصاليون الآن على تحقيق حلمهم باقامة دولتهم المستقلة على أراضيها ..

دولة إيـــلام :

ويبرر لنا « بالاسنجام » المتحدث باسم نمور التحرير في لقائنا معه مواقف التاميل بقوله : « نحن لسنا انفصاليين ولكننا نريد الاعتراف بحق شعبنا في تقرير مصيره في وطنه . فنحن شعب لنا جذورنا التاريخية في أرضنا ولنا لغتنا وثقافتنا . وحق تقرير المصير الذي نطالب به هو حقنا في إقامة دولتنا المستقلة على ضوء استفتاء شعبي حر . وحتى يتم ذلك فاننا نطالب الحكومة مؤقتاً بأن تقدم مجموعة من العروض التي تتناسب مع أمنيات شعبنا .. ونحن مستعدون للمفاوضة ولكن على أسس معقولة وسليمة » .

هذا هو ما يقوله التاميل .. اما الحكومة فرغم انها عرضت أكثر من حل ومنحت حقوقاً جديدة للتاميل ، من بينها الاعتراف باللغة التاميلية لغة وطنية ، وإزالة الفروق بين المواطنين الأصليين والمهاجرين ، ومنح حق الانتخاب لعمال الزراعة الهنود .. ثم ما عرضه الرئيس السيريلانكي عن استعداده لمنحهم حكماً ذاتياً في مناطقهم .. إلا أن ذلك لم يرض التاميل بفروعهم المختلفة .. وما زالوا يعملون من أجل تحقيق الأمل في قيام دولتهم المستقلة .. دولة « إيلام » .

ولكن .....

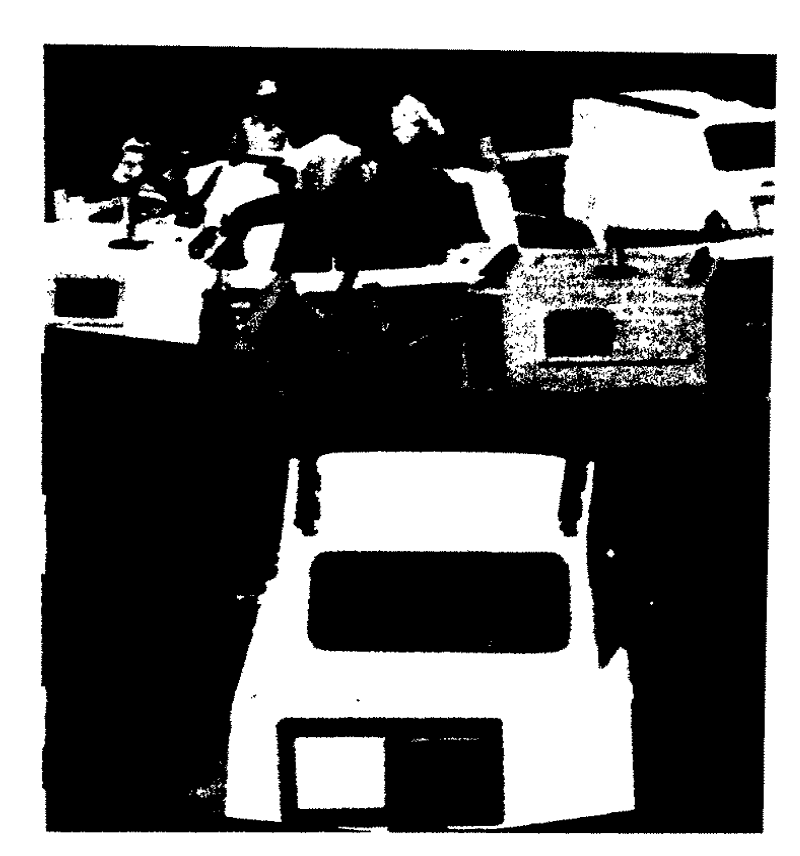
اذا كان لهذا الكيان أن يتحقق ذات يوم فانه سيشغل منطقة من أقل المناطق خصبا في الجزيرة . فالتربة البنية الحمراء تقل تدريجيا ، والمرتفعات تزداد ارتفاعا ، وشجيرات الغابات تخف لينتهي كل ذلك الى أرض صحراوية خراب ، تتناثر فيها مجموعات متناثرة من نخيل « البالميرا » ذي السعف المروحي ، فتكسر حدة الرتابة في الصحراء الواسعة التي تشكل ملامح مناطق التاميل . هذه الملامح التي سيطرت لقرون طويلة أكسبت التاميل قيما ، وأورثتهم عادات كان لابد منها للتكيف مع واقع بيئتهم .. وأصبح الجهد والمثابرة والكفاح طابع حياة الفلاح ، والفطنة والحرص طابع التاجر والعامل .. وهي كلها صورة مثالية للتاميلي . ولعل أحد الملامح البارزة هي اهتمام التاميلي بالتعليم الذي يوضع في رأس القائمة . فأطفال التاميل يتطلعون باستمرار الى العلم الذي يشكل أهمية قصوى من أجل المستقبل .. وقد أدى ذلك الاتجاه الى خلق طليعة اجتماعية وثقافية تاميلية يتزايد أعدادها يوما بعد يوم في مجالات القانون والطب والكيمياء والعلوم ، وفي الميادين الاكاديمية

واذا كانت تأثيرات التغريب والتحديث لها أثرها الكبير على تاميل سيريلانكا ، بما في ذلك التطور الذي شمل العادت والملابس وأسلوب الحياة .. إلا أن ذلك الأثر يقل كثيرا عن التاميل القرويين الذين مازالوا يتمسكون في صرامة بالعادات والتقاليد التي توارثوها

هذه العادات والتقاليد الصارمة تبدأ مع مولد الطفل ، فان أول نقطة حليب تدخل جوف الطفل يجب أن تفرك بالذهب على شفتيه ولسانه .. وذلك حتى يصبح الطفل عندما يصير رجلا فصيحا بليغا حكيما متمسكا بتقاليد قومه ... ويقضي الطفل أيامه الأولى في غرفة تعبق دائما بروائح ودخان البخور ، وذلك دفعا للأرواح الشريرة عن الاقتراب منه .

وعندما تبلغ الطفلة من التاميل سن البلوغ فانها تعزل في معزل لمدة ستة عشر يوما على الاقل في كوخ خاص مبني من أوراق شجرة جوز الهند الخضراء .. وهي في فترة العزلة لا يجوز أن يقع بصرها على أي رجل حتى لا يحل الشيطان في جسدها .

والزواج عند التاميل حدث له أهميته ويتم حسب طقوس دينية داخل المعبد الهندوسي . وبعد أن يتبادل أهل الزوجين الهدايا يمد بساط أبيض على الأرض حيث تنثر عليه أكوام من الأرز وجوز الهند وأوراق التنبول وبعض النقود المعدنية لجلب الحظ السعيد .



القوارب وسيلة التحرك السريع على سواحل الجزيرة المتألقة ... سيريلانكا .

ثم يطلق البخور ويقوم والد العروس بربط إبهامي العروسين بخيط ثم يصب الماء على أصابعهما . كما يضع العريس حول رقبة عروسه قلادة تحتوي على فصوص من الأحجار الكريمة عليها رسوم وجوه تقليدية مقدسة . وبعد الاحتفال تصبح العروس ربة نموذجية للبيت ، ويصبح العريس ربها ، والزوجة التاميلية تطيع زوجها طاعة عمياء . تستيقظ قبل زوجها في الصباح ، وحتى يحين موعد استيقاظه تكون قد انتهت من إعداد غسيل الصباح ، وأوقدت النار وصلت لأرباب العائلة وأعدت مائدة الفطور . وهي لا تأكل الا بعد أن يكون زوجها قد انتهى من طعامه وقامت تماما على خدمته . والزوجة هي آخر من يتناول الطعام ، وهي آخر من يذهب الى النوم .

وهناك طقس غريب في غاية القسوة مازال التاميليون يؤدونه حتى الآن في احتفال يسمونه « كاتنجا » . وتبدو القرية في ذلك اليوم كأنها في عيد مرح يغني فيه الجميع ويرقصون في الشوارع وهم يحرقون البخور ويدقون الطبول . . ويستمر الرقص والغناء ودق الطبول ، ويزداد شدة وعنفا مع وصول راقصين يقدمون من أحد اطراف القرية ، وهم يهتزون في عنف بينما يسيرون في صفوف طويلة . . ويظل الراقصون يدورون بعنف حوف أنفسهم قبل أن يتوسطوا الساحة ويجلسون القرفصاء . ويتقدم أهل القرية بعد ذلك من الراقصين فيفركون أجسادهم ووجوههم ورؤسهم ويعفرون صدورهم بالرماد وهو ما يزال ساخنا . وبعدها يهتز الجميع كالسكارى ، ثم يبدأون بطعن أنفسهم بالسكاكين والخناجر ، ويقوم آخرون بضربهم بالسهام . ثم يحمل الجميع الى عربة تجرها الجواميس المزينة ، ويمرون أمام الحشود التي تصفق لهم اعجابا وتبركا . ومع نهاية الاحتفال تشعل النار في حطب يصف على الأرض . وبعد أن يخمد اللهب يقوم هؤلاء بالسير فوق الرمضاء دون أن يصيبهم شيء ، بينما الناس يقتربون منهم ويمسحون أجسادهم ويتبركون بهم في اعجاب كبير . .

حكمة الحياة :

في النهاية . . ثمة شيء غريب يربط بين التاميل الهندوس والسنهاليين البوذيين . فالهندوس . . يعتقدون ان « فشنو » هو الاله الحافظ ، وهو أبرع الألهة ، ومن واجبه أن يحفظ حياة الناس وحياة العالم . وهم يقولون انه نزل من سمائه حيث زار الأرض عشر مرات كل مرة في شخصية وصورة مختلفة . والبطل الديني راما ـ بطل الرامايانا ـ هو أحد الشخوص التي تقمصها فشنو . . ولكن الأهم من ذلك . . أن احدى الشخوص العشر التي يتقمصها هو جاوتاما بوذا . . الذي يتبعه البوذيون . . وهو ما يؤمن به حتى السنهاليون في سيريلانكا . . فالبوذية فرع من فروع الهندوسية .

ان بوذا . . الذي يعترف به التاميل الهندوس كواحد من صور الاله فشنو . . هو نفسه صاحب الحكمة التي يؤمن بها السنهاليون البوذيون ، والتي تقول « على الانسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير . ان النصر يولد المقت لأن المهزوم في شقاء . وان الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها . . إنما تزول الكراهية بالحب » .

ومع هذا فإنهم يتقاتلون ، وينسى الجميع أن الكراهية . . إنما تزول بالحب . . □

وجهاً لوجه





غائب فرمان و سليمان الشيخ

****

* نعم انا اتحصن بالكتابة ضد الغربة والنسيان .

* ذخيرة الكاتب التي لاتنضب .. طفولته وصباه .

* الذين ينكرون مقولة التأثر يغالطون انفسهم .

* ليس كل مافي الماضي مذموما وسيئا وليس كل مافي الحاضر جيدا وجميلا .

* المؤجل والمرتجي هو عملي الأول عن الغربة والمغتربين .

****

يدهشك حضور تفصيلات دقيقة عن معالم الحارة البغدادية ، وأحيائها في رواياته مع أنه تركها منذ ثلاثين عاما تقريبا .

ويدهشك الرصد المتأني الدقيق لنمط العلاقات ، والتسجيل للعلامات الفارقة بين المراحل والنقلات في حياة تلك الحارة .

بغداد حاضرة أبدا في أغلب ماكتب ، سكنت فيه وتوغلت بناسها ونخيلها ودروبها وحاراتها وطراز بنائها القديم ، وعلاقات وانماط البشر فيها ونماذجها ، لم يكن نقلاً « فوتوغرافيا » ماسجله راوية بغداد كما يقال عنه ، وليس تصويرا تسجيليا هو ماضمنته قصصه ورواياته الكثيرة ، بل كان نوعا من الرصد الفني للحياة والناس وللعلاقات والمواقف .

احساسه فائق بالمكان والزمان ، واستنطاقه للشخصيات دقيق ، يجدل المكان بالزمان ويقدمهما ضمن ملامح محددة من العلاقات وانماط العيش وطموحات الناس واحلامهم ، وحتى الكوابيس التي تقض مضاجعهم .

انه الروائي العراقي غائب طعمة فرمان . وقد أدار الحوار معه الزميل سليمان الشيخ وهو كاتب ومحرر أدبي في المجلة .

قال الروائي فرمان أنا من مواليد بغداد سنة ١٩٢٧ ، وبعض الكتاب العراقيين المعروفين والمشهورين ولدوا في هذا العام ايضا ، او في العام الذي سبقه او تلاه ، السياب ولد سنة ١٩٢٦ ، والبياتي ولد ايضا في نفس العام ، والتكرلي ولد في العام الذي ولدت فيه . . وغيرهم ايضا

● ما الذي قدمته في رحلة العمر هذه . . اعني على صعيد الكتابة ؟

ـ صدر لي حتى الآن ـ اكتوبر ١٩٨٤ ـ الكتب التالية :

ـ حصيد الرحى ـ مجموعة قصص صدرت سنة ١٩٥٤م ـ مولود آخر ـ مجموعة قصص صدرت سنة ١٩٥٩م .

ـ النخله والجيران ـ رواية ـ صدرت سنة ١٩٦٦م .

ـ خمسة أصوات ـ رواية صدرت ـ سنة ١٩٦٧

ـ المخاض ـ رواية صدرت سنة ١٩٧٣م

ـ القربان ـ رواية صدرت سنة ١٩٧٥

ـ ظلال على النافذة ـ رواية صدرت سنة ١٩٧٩م

ـ آلام السيد معروف ـ رواية ـ صدرت سنة ١٩٨٠م .

وقد انجزت رواية جديدة في طريقها للنشر تحت عنوان ـ المرتجى والمؤجل ـ وترجمت حوالي ٤٠ كتابا معظمها قصص وروايات عن الروسية الى العربية منها :

ـ اعمال تورجينيف في خمسة مجلدات .
ـ ١٥ قصة في كتاب لمكسيم غوركي .
ـ القوزاق لتولستوى .
ـ مجموعة قصص لدستويفسكي .
ـ المعلم الأول ومنديل أحمر لايتماتوف .
ـ مجموعة اعمال لبوشكين . وغيرها .

وشم بغداد :

● لقد تغربت طويلا ، وانتقلت من بغداد الى القاهرة ثم الصين وبعدها الاتحاد السوفيتي منذ ثلاثين عاما تقريبا . وقد انقطعت عن معايشة بغداد الا لماما . ومع ذلك فان بغداد الأمكنة والناس والعلاقات حاضرة حضورا حادا في رواياتك . كيف تفسر ذلك ؟

ـ ان ذخيرة الكاتب التي لاتنضب حسب ما أرى هي طفولته ومرحلة تحسسه للأشياء والعالم ، وهذه المرحلة تستمر معه كوشم لايزول ، ربما مدى الحياة . ربما تتطور اشياء ورؤى الطفولة الاولى وتتعمق التجربة ، وربما يجد الانسان توكيدات لقناعاته الاولى لكن الطفولة تبقى محتلة ركنا هاما في ذاكرة الانسان واحلامه واسترجاعاته ، انها العالم البكر لتفتح الوعي ، والنهل ـ وربما الشره ـ من ينابيع الحياة وتجاربها . يقول همنجواي : نحن نعيش على ذكريات الطفولة حتى الثلاثين من عمرنا ، وأضيف : وقد يبدأ الانسان فلسفة مارأى وماعاش بعد الثلاثين ومع ذلك فان الطفولة تبقى الينبوع الأول لكل التجارب اللاحقة ، والمنجم الأول الذي يغترف الكاتب منه الكثير من تخطيطاته .

ولو سألتني عن أعمالي ، فان بعض الشخصيات التي طرحتها في قصصي الأولى وجدت صداها على سبيل المثال في رواية النخلة والجيران ، بل ان الرواية بكاملها كانت فكرة طرحتها في قصة قصيرة كتبتها سنة ١٩٥٦ ، ثم تحولت القصة الى فصل من الرواية .

كما أن بعض الشخصيات في رواية النخلة والجيران وجدت لها صدى في رواية القربان وهكذا .

العمل الواحد :

● هل تريد القول بأن الكاتب لايكتب الا عملا واحدا في حياته ، يلونه وينوعه ويضفي عليه بعد ذلك ؟

ـ قد يكون ذلك صحيحا في جزئية من الجزئيات ، أو بمعنى من المعاني ، وهذه المقولة قديمة معروفة ، وفيها بعض الصحة .

● هل يمكن اعتبار هذا الالحاح المستمر على استعادة الأحياء البغدادية بعد غربة عنها تقرب من الثلاثين عاما على انه نوع من التعويض عن عيش الواقع ، او التنفيس عن حنين طاغ ؟

ـ نعم ربما هو نوع من الحنين والجيشان العاطفي الذي مازال يلهب خيالي وملكاتي ، ربما هو تحصين ضد الذوبان في الغربة ، ومقاومة لسنابكها ، وربما نوع من مقاومة الانجراف مع تيار النسيان .

هوتفريغ لأجل التوازن العاطفي . لكنه جيشان وتفريغ وفيضان عاطفي محسوب ، تجنبا لتحول الرواية الى « مونولوج » ذاتي كامل ، لذلك فانني أحذف بعد الانتهاء من الكتابة الاولية الكثير من الصفحات التي أجد أنني انسقت فيها مع عواطفي وحواري الذاتي . ومازلت بعد هذا العمر متشككا في كل ماأكتب ، ولكي أزيل شكوكي فانني أعرض ماأكتب على الأصدقاء ، والأصدقاء كما تعرف لهم مشاربهم وتجاربهم ، فيوقعونني في الحيرة أحيانا .

رواية « المؤجل والمرتجى » كتبت ثلاث صيغ لها حتى الآن على سبيل المثال ومن المؤكد أنها سترسو على صيغة ما في النهاية .

المؤجل والمرتجى :

● هل رواية المؤجل والمرتجى تستوحي أجواء بغدادية أيضا ؟

ـ لا أريد أن أكشف أسرار الرواية قبل نشرها ، لكنني أقول بأنها أول رواية أكتبها عن الغربة والمغتربين ، عن الأصدقاء الذين قابلتهم وعايشتهم في الغربة .

● لماذا تكتب الان وليس قبل ذلك رواية عن الغربة ؟

ـ الغربة لاتتيح لك تعميق علاقاتك بالناس وبالواقع بشكل حميم وانتمائي ، انها تبقيك على الهامش ، كما أن الغربة بالنسبة لي استمرت ومازالت مستمرفنومن الصعب الكتابة بشكل روائي عن شيء

مستمر ولازلت تعيش في غمرته وميدانه .

يقول همنجواي : اذا اردت الكتابة عن ميتشغان فإنني انتقل الى باريس .

● لكنك مازلت مغتربا . . فكيف تسنى لك كتابة هذه الرواية ؟

ـ هي محاولة ليس الا ، قد تنجح وقد لا تنجح .

● الم تعد الى بغداد بعد ان غادرتها ؟

ـ بلى عدت عدة مرات بعد خروجي منها سنة ١٩٥٤ ، منزوع الجنسية من قبل « نوري السعيد » ، فمكثت في القاهرة ، ثم عملت في الترجمة بالصين منذ سنة ١٩٥٧ الى سنة١٩٥٩ وأذكر انني ترجمت بعض أعمال كاتب صيني تشبه كتاباته كتابات غوركي اسمه لوشين من الانكليزية الى العربية .

ثم عدت الى العراق سنة ١٩٥٩ بعد قيام الثورة وبقيت حوالي سنة ، ثم تم التعاقد معي كمترجم للعمل في موسكو ، وبعدها تم سحب جنسيتي سنة ١٩٦٣ ، انا والجواهري والبياتي ومحمود صبري ، ثم اعيدت الجنسية لي سنة ١٩٦٩ وعدت الى العراق لفترة قصيرة ، ثم تابعت عملي في الترجمة بموسكو .

وكنت في الكثير من السنوات ألبي الدعوة لحضور مهرجانات المربد في البصرة .

خيول السباق :

● هل تتابع النتاج الادبي العربي ، خاصة نتاج الاجيال الشابة ؟

ـ نحن كخيول السباق،علينا ان نعرف من يقف في صفنا او وراءنا أو أمامنا . لذلك فمن الطبيعي أن أتابع نتاجات شتى الأجيال ، خاصة جيلي ومـاتبع ذلك من اجيال عربا واجانب .

● وهل تتأثر بما تقرأ ؟

ـ الذين ينكرون مقولة التأثر يغالطون أنفسهم قبل أن يغالطوا غيرهم . نعم أنا أتأثر بما أقرأ وأعيش وأتعايش وأستفيد وأوظف ذلك ضمن اجتهاداتي وتوجهاتي وأسلوبي ، والقاسم المشترك الذي أثر في جيلي من الأدباء العرب هم : كالدويل ، هيمنغواي ، فوكنر ، شتاينبك ، تولستوى ، ديستويوفسكي ، تورجينيف وغيرهم . تأثرنا بأساليبهم ، وحتى في رسم الشخصيات حسب ماوردت في أعمالهم ، وشخصيا تأثرت بنجيب محفوظ بناحيتي السرد والمعالجة القصصية ، ولازلت مستمرا في قراءة نتاجات الكتاب العرب ، كيوسف ادريس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وحنا مينا وغيرهم .

واذا كان السياب ونازك والبياتي وغيرهم قد جددوا في مجال الشعر في الخمسينيات ، فان جيلنا من الروائيين والقصاصين قد دخل معترك التجريب والتجديد في البناء القصصي والروائي في الخمسينيات أيضا .

وأجد أن الأجيال قد واصلت التجريب والتجديد واستطاعت تقديم منجزات جيدة على صعيدي القصة والرواية ، مثل محاولات محمد خضير وزكريا تامر ، وبعض محاولات عبدالرحمن الربيعي ، ثم تلا ذلك أجيال شابة أضافت ونوعت ولونت ، كمحاولات الغيطاني وصنع الله ابراهيم والخراط وصبري موسى وغسان كنفاني ـ الذي أثر فيّ تأثيرا كبيرا ـ ان في أدبه حرارة ودفقا وتواصلا مع قضية مهمة ، وأعجبني يحيى يخلف في نجران تحت الصفر ، ورشاد أبوشاور في العشاق ، وأعجبني كذلك سحر خليفة التي تبشر بظاهرة مميزة صريحة فيها شمولية وأفق واسع ، ويعجبني أميل حبيبي والطاهر وطار الذي اعتبر أدبه ظاهرة جديدة تستحق الدراسة والتنويه .

ويعجبني أيضا رشيد بوجدرة ، واجد في أدبه أجواء واقعية خيالية تشبه أجواء الكاتب الكولومبي ماركيز .

كما يعجبني الدكتور عبد الرحمن منيف ، انه يكتب تجربة البحث عن بلد بأسلوب روائي مقتدر .

● انك تتابع نتاجات الأجيال اللاحقة على جيلك ، حتى نتاجات الشبان منهم ومن كل اقطار الوطن العربي ، أفضل بكثير من الادباء الذين مازالوا يقيمون في اقطارهم .

● لقد قلت لك من قبل اننا كخيول السباق ، وأضيف على ذلك بأننايجب ان نكون كأبناء القرى الصغيرة أيضا ، علينا ان نعرف كل الناس في كل


همنجواي




تولستوي


يوسف ادريس

جبرا ابراهيم جبرا

بيوت القرية وما يحصل لهم وما يدخل على البيوت من تطورات وتغيرات .

مطر المدينة ومطر الريف :

● هناك نقطتان تتعلقان بأدبك أود أن تلقي الضوء عليهما ؟

ـ الاولى تتعلق بالقدرة التجسيدية الفائقة على تصوير الشخصيات النسائية العراقية الشعبية ، مع انك ابتعدت منذ زمن عن العراق . والثانية . . نظرتك للمطر ، لقد وجدت أنها تخالف على سبيل المثال نظرة السياب له في الكثير من قصائده .

ـ بالنسبة للنقطة الأولى فانني أود أن أكون واضحا وصريحا كل الصراحة ، وبداية فانني أعترف بأنه لم يكن لي علاقات جيدة مع فتيات من الأحياء الشعبية ، ان غربتي المبكرة لم تتح لي فرصة اقامة أية علاقة حقيقية .

ولو سأل سائل : اذن من اين لك هذه الذخيرة من صور المرأة العراقية الشعبية ، فإنني أجيب ببساطة لقد سمعتها من أمي وجدتي ونساء الحي عندما كنت صغيرا .

يقول ماركيز ان جدته اثرت عليه كثيرا ومنحته الكثير من الصور والأحداث التي بنى عليها بعض قصصه .

وأنا أقول نفس الشيء . نحن كشرقيين أمهاتنا وجداتنا لعبن أدوارا مهمة في حياتنا أكثر من آبائنا . كانت علاقاتنا معهن حميمة وصريحة أكثر التصاقا من علاقتنا بآبائنا ، علاقتنا بآبائنا كان فيها نوع من الجفاء ، كانوا مستكبرين ، او على الأصح لايسمحون للصغار بالاقتراب من حياتهم ومجالسهم .

ولذلك فان الامهات قدمن البديل ، وقد التقطت الكثير من التفصيلات من أمي وجدتي ونساء الحي الذي كنا نعيش فيه .

ـ اما بالنسبة للنقطة الثانية أي المطر فانني أقول : المطر بالنسبة لمن يعيش في المدينة وخاصة لمن يعيش في حي شعبي في خمسينيات هذا القرن او ستينياته ، هو ظاهرة تتجهم فيها السماء وترعد وتبرق ، ثم ينزل المطر فيخلف مآسيا وكوارث في البيوت التي تتصدع أو تنهار ، ثم تمتلىء الطرق بالوحول وتتعطل بعض المصالح .

أما الصحو . . فهو شمس مشرقة ، وسماء صافية وحياة عادية .

أما الريفي ـ السياب كما هو معروف من ريف البصرة ومن قرية جيكور بالذات ـ فهو يعتبر المطر حياة وخصبا ونماء للزرع والضرع ، ودونه قد لاينمو الزرع ولاتخضر الحياة ، هو خلاف في النشأة والبيئة والاحتياج اذن .

الجديد والقديم :

● يجد البعض أنك منحاز للأحياء البغدادية القديمة بما فيها من أنماط وعلاقات قد تكون متخلفة .. فما هو ردك على ذلك ؟

ـ ان مايبدو انحيازا هو مجرد تصوير وربما تسجيل لنمط من علاقات الترابط والتواد التي كانت تغلف السكان في الأحياء القديمة ، صحيح أنها حياة فيها شظف العيش ، ولكنها حياة من نوع مايسمى بالفقر الموزع ، أو التساوي في المصائب الذي يعتبره البعض عدلا . لذلك فان بعض أبطالي في رواية « ظلال على


السياب



غسان كنعان

النافذة » بالرغم من انتقالهم الى محلات بغداد الجديدة ، وتغير نمط معيشتهم وبروز مسحة من الغنى النسبي عليهم قياسا على ماكانوا عليه من قبل . فان حنينهم الى أحيائهم القديمة يهيج ويرتفع هديره بين آن وآخر ، ويبقى ملازما لهم .

انه الحنين للطفولة ، ونمط الحياة البسيط ، والعلاقات المترابطة ، إنهم يستعيدون زقاقات الحي فيجدونها ضيقة غير واسعة ، قريبة من بعضها ، كأنها في أذهانهم تحتضن الناس وتحنوا عليهم . في حين أن أحياء المدينة وطرقاتها الجديدة واسعة ومتباعدة .

ان عبدالواحد في رواية « ظلال على النافذة » يبقى مشدودا روحيا الى حيه القديم بالرغم من انتقاله الى الحي الجديد ، انه يصور حالة التناقض بين الحيين فيقول : جو الحي الشعبي يشعرني بثقلي على الأرض ، في حين أنني أشعر في الحي الجديد كأني تائه . ان ذلك كما أرى ليس انحيازا الى الماضي وتفضيلا له على الجديد ، بل هو تصوير لنمط من الناس لايمكنه أن يتعايش بسهولة مع حالة البتر التي حدثت بين الجديد والقديم .

الجديد ليس جيدا أو جميلا في كلياته ، والقديم ليس سيئا ومذموما في كلياته ، وأنا كروائي على أن التقط الجزئي والتفصيلي المميز في تركيب الشخصيات .

في قصة إيفان إيلييتش لتولستوى تصوير لموظف عادي ، تدرج حتى وصل الى مركز مرموق ، وعندما تحين ساعة موته يحاول أن يتذكر أجمل مافي حياته ، فلا يجد فيها الا طفولته ، صور الطفولة تستعاد وتطغى على ماعداها بما فيها من احساسات عفوية وصفاء وتطلع وتشوق الى مستقبل افضل .

● التركيز على تسجيل بعض ملامح أيام الطفولة ، والأحياء القديمة وعلاقات وأنماط الناس فيها ، يمكن أن يرسب عند بعض القراء انحيازك وارتدادك الى الماضي ، وهو ـ كما يفسره بعض المجتهدين النفسيين . رغبة في العودة الى رحم الأم .

ـ هذا ما يمكن التقاطه عن سطح ما أكتب ، الا أن من يتعمق في كل ما كتبت يجد انحيازا لكل ما هو قيم واصيل وجميل ومتقدم في حياة الناس .

ان تسجيل أنماط الحياة والعلاقات في الأحياء القديمة ما هو الا محاولة لاعطاء المعمار الروائي نكهة الحياة الحقيقية ، وعليّ أن أكرر ، ليس كل ما في الماضي سيئاً ومذموماً ، أما تفسير النص حسب وجهة نظر بعض المجتهدين في علم النفس ، فانني أرى أن كل مدرسة تحاول تفسير النصوص حسب ما تشتهي وتجتهد ، وأرى أن البعض يملك قوالب معينة يحاول أن يحشر النصوص حشرا داخلها . انه مرض القالب الجاهز .

قد يكون في بعض الكتابة عن تجربة حياة حدثت في الماضي ، نوع من الحنين لأفضل ما حواه الماضي ، لكن هذا لا يعني أبدا وخاصة في أدبي انحيازا لسيئات الماضي على حساب أفضل ما يحويه الحاضر أو ما هو مأمول في المستقبل . □



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً) . النساء١٠٥ ، ١٠٦

سرق رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق درعاً من جار له هو قتادة بن النعمان . وكانت الدرع في جراب فيه دقيق ، فجعل الدقيق يتساقط من خرق في الجراب ، حتى انتهى الى دار رجل يهودي فخبأها عنده . وشك قتادة في طعمة ، ففتش داره فلم يجد الدرع فيها ، وحلف له طعمة أنه ما أخذها وماله بالدرع علم . فلما حلف ، تركه قتادة ، واتبع أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي ، ففتشه فوجد الدرع فيه . فلما أمسك باليهودي قال اليهودي ان طعمة أتى اليه بالدرع وطلب منه الاحتفاظ بها عنده ، ولم يخبره بأنها مسروقة . وشهد له أناس من أصحابه على ذلك ، واذ كادت التهمة تثبت ضد طعمة ، أسرع قومه ، وهم بنو ظفر بن الحارث ، الى رسول الله ﷺ وكلموه في الأمر ، وتوسلوا اليه أن يدافع ويجادل عن طعمة بن أبيرق ، وأن يلصق التهمة باليهودي ، وقالوا له : ـ يا رسول الله اعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه ، فإنه ان لم يعصمه الله بك يهلك .

فقام رسول الله ﷺ ، وكان هواه مع بني ظفر ، فبرأ طعمة وعذره على رؤوس الناس ، فانزل الله هاتين الآيتين ومعناهما : إنا أنزلنا اليك القرآن يا محمد لتقضي بين الناس بما أراك ربك من الحق ، فلا تدافع عن الخائنين ، واستغفر الله ، وسله أن يصفح عنك اذا جادلت عن هذا الخائن . وقد قيل أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن قد جادل عن الخائن ، ولكنه هم بذلك ، فأمره الله بالاستغفار مما همَّ به من ذلك

ثم نقرأ في الآيتين التاليتين : ـ

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، وهو معهم اذ يبيِّتون ما لا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطاً) . وهنا إشارة الى بني ظفر بن الحارث الذين خشوا أن يؤدي الحكم على صاحبهم الى الفضيحة والعار ، وكان خوفهم من رأي الناس فيهم أعظم من خشيتهم من الله الذي هو مطلع عليهم ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، وهو أحق أن يستحى منه من غيره .

قد أبان الله لرسوله وللمؤمنين اذن أنه لا يجوز لأحد أن يدافع عن أحد الا بعد أن يتيقن من أنه على حق ، كما لا يجوز أن يدفعه الهوى أو المصلحة الظاهرة الى الانحياز الى طرف دون طرف في أي نزاع ، كما

بيّن أن لليهود والنصارى مثل ما للمسلمين من حق في عدل الحاكم أو القاضي أو الفرد العادي ، وأنه على الناظر في أيه قضية أو خصومة أن يقمع في نفسه الميل الى محاباة أحد أطرافها نتيجة توافق المصالح ، أو الانتماء الى نفس الجماعة أو الملة ، أو أي اعتبار من الاعتبارات .

فهنا اذن مفهوم عن العدالة لم يكن مألوفاً لدى العرب في الجاهلية ، . لم يكونوا يرون في القتل أو السرقة جريمة ، ان كان القتيل أو المسروق منه من غير قبيلتهم ، ولا كان المسلمون في السنين الأولى من الدعوة يرون في إهدار حقوق أهل الملل غير ملتهم خرقاً للمفهوم الالهي عن العدالة ، حتى نزلت هذه الآيات فأوضحت أن عدل الله يسع الكافة ، بغض النظر عن دين المرء وانتماءاته ، وأن الجاني وان كان مسلماً ينبغي على الحاكم أو القاضي أن ينتصف منه ، والمجني عليه وان كان غير مسلم ينبغي على الحاكم أو القاضي أن ينتصف له .

لقد كان جل ما أتى به الاسلام من قيم مخالفاً للمألوف عند العرب ، وللتقاليد السائدة بينهم ، مناقضاً لمثلهم ونظرتهم الأساسية الى الحياة ، مما توارثوه جيلاً بعد جيل . فلا غرو ان لم تجد الدعوة صدى واستجابة سريعين لدى أهل مكة ، وهم الذين سمعوا رسول الله يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلاً ، ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد في الحياة الدنيا ، وينهاهم عن الفخر بالحسب ، وعن التنافس بين القبائل ، ويدعوهم الى أخوة ومساواة ، مؤكداً أنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لحر على عبد الا بالتقوى .

وقد كان لا بد من مرور بعض الوقت حتى يتشرب المسلمون الأوائل هذه المفاهيم الجديدة ، ومن بينها المفهوم عن العدالة الوارد في الآيات المذكورة ، وحتى يتركوا النهج الذي سار عليه آباؤهم لعدة قرون سابقة . غير أن أفراداً من المقربين الى رسول الله ﷺ سرعان ما تخلقوا بأخلاقه ، وتفهموا مقاصد الدين الجديد وغاياته ، وتبنوا قيمه وتوصياته . وكان من أبرز هؤلاء الفاروق عمر ، الذي يروى عنه أنه قال لأحد المتخاصمين عنده (وكان عمر يبغضه ولا يرتاح اليه) :

ـ والله لا يحبك قلبي أبداً .

قال الرجل : فهل يمنعني ذلك من عدلك ؟

قال : لا .

قال : فلا بأس اذن ، انما يأسف على الحب النساء . □

صُحار ومعاوية

قال معاوية لصُحار العبدي : أنتم أخطب العرب .

قال : إن ذلك ليقال ،

قال : فما الخطيب فيكم ؟

قال : من رد بقليل الجواب كثير النطق .

قال : ما هذه البلاغة فيكم ؟

قال : كلام يعتلج في قلوبنا فنقذفه كما يقذف البحر الموج .

قال : فما الإبلاغ ؟

قال : أن تسرع فلا تبطىء ، وتقول فلا تخطىء .

العربي - العدد ٣٢١ - أغسطس ١٩٨٥

يوم أمطرت السماء ذهبًا..!

قصة للكاتب الكندى المعاصر أيريك كاميرون

ترجمة : ابراهيم عبد الله العلو



لا يزال الناس في قرية لوكست يتذكرون يوم أمطرت السماء ذهبا . ذلك المطر الذى غيّر الكثير من الناس والأشياء . البعض الى الأفضل والبعض الآخر الى الأسوأ ، في تلك الأيام لم تكن النقود معروفة بالنسبة للكثير منا . كان الرجل محظوظا اذا استطاع أن يبيع من محصوله ما يكفيه لدفع قسط الرهن على الأرض . ولكن بالرغم من الأحوال الصعبة في المزارع والقرى كان الفلاحون يحسون بالعطف تجاه حشود العاطلين عن العمل في المدن . على الأقل كانت البرية تقدم لهم الهواء النقى والمكان الفسيح ، كان الرجل ينظر الى جاره ولا يحس بالاثم ، لأنه لم يكن له دور فيما حصل . ربما يخسر أحدهم مزرعته أو عمله ، ولكنه كان يحتفظ دوما بكرامته ، لم يكن الناس يُقَيِّمُ بعضهم بعضا حسب ما يملكون ، ولكن حسب الطريقة التى يتصرفون بها . لذلك كان من العجيب أن نرى بعضهم يتغير بين عشية وضحاها ، لقد كشف مطر النقود عن خصائص في النفس البشرية أثارت دهشتنا جميعا .

عندما حضرت اللجنة الأولى للتنقيب عن البترول ، تم وضع الرافعة فى زاوية من أحد حقول العم رالف . كان الناس يحضرون ليتفرجوا أو يسألوا أسئلة ثم ينصرفون وهم يهزون رؤوسهم . لقد كانوا يتعجبون من الوقت والجهد الذى يبذله أولئك الرجال في بحثهم الميئوس منه عن البترول . كان كل واحد من السكان بما فيهم القسيس بطرس والسكير واتسون يستطيع اخبارك بأنه لا توجد هناك أية نقطة من البترول في مائة الميل المحيطة بولوكست من كل الجهات . في الحقيقة لم يكن هناك الكثير بحساب الغبار ، منذ أن اتخذ الجفاف مركزا له في قريتنا ، بعد أن فرغ الرجال من محاولتهم الأولى الفاشلة . نقلوا آلة الحفر جهة الشرق الى أحد حقول والدى . جلسنا ننظر من الشرفة الخلفية ، ونحن نبتسم ابتسامات مشفقة .

بعد أيام قليلة كانت والدتى قد انهت للتو نشر الغسيل . كان حبل القنب يرفرف بحمله من الشراشف وأغطية الوسائد والملابس الأخرى . كان والدى يحاول اصلاح سيارتنا القديمة . كان ماداً ذراعيه فوق « الرفراف » ورأسه وكتفاه تحت الغطاء ، وكأن المحرك المعدوم الأمان يبتلعه . كانت قعقعة المحرك عالية لدرجة أننا لم نسمع صوت اندفاق البترول . كانت ملاحظتنا الأولى ظهور بقع سوداء على الثياب المعلقة على حبل الغسيل . عندما نظرنا الى الحقل رأينا نافورة سوداء تتدفق الى الأعلى من آلة الحفر .

لقد حمل النسيم الرائحة المؤذية الينا . نظرت والدتى الى الثياب الملطخة بحنق ، ولكن الكلمات احتبست في حلقها . لم أرها غاضبة لهذه الدرجة من ذى قبل . لو لم يكن والدى قد أستبدل بندقيته بدولاب السيارة لكان أمام رجال الحفر مواجهة تتعدى البئر البترولية .

حضر العم رالف بسرعة مبشرا أن السنوات العجاف قد ولت الى الأبد ، فقط أمضى عقد الايجار ـ كان يحاول أن يشرح لوالدى ـ وسوف يعطينا رجال البترول نسبة من كل البترول الناتج ، وعلاوة



على ذلك فسوف يدفعون لنا ايجارا شهريا أيضا ، كانت والدتى مرتابة لدرجة أنها قالت ان المجانين فقط يقبلون بأن يدفعوا تلك الكمية من النقود ، من أجل سائل فاسد ، ذلك السائل الذى لا يمكن أن يكون قد تخمر الا من قبل الشيطان نفسه .

ولكن العم رالف أصر على القول بأن ذلك هو الذهب الأسود ، وتوقع أنه خلال وقت قصير سوف يتغير كل شىء فى لوكست وهكذا حدث .

عندما انتشرت الأخبار بأنه تم العثور على البترول فى المنطقة ، ظهر قطيع من المضاربين من حيث لا نعلم . كانوا يحملون دفاتر الشيكات ونقودا تكفى لاقناع أكثر المشككين من مُلاّك الأراضى ، لقد كانت المضاربات تقطع الأنفاس .

كان بعض المستأجرين يعرض أموالا لم نكن لنحلم بها في أى وقت مضى . لقد وقع والدى على كل دونم يمتلكه . وليبين فرحته فقد اشترى سيارة جديدة له ، وغسالة جديدة لوالدتى . لقد كان العقد يوفر لنا من المال كل شهر أكثر من أية نقود حصل عليها والدى من خلال عمله الفعلى في الأرض . لقد قرر أن يتقاعد ويجعل الأيام تمر كما هى طالما أن المال موجود بكثرة .

لقد ازدهرت الأعمال حول لوكست ، ونفحت رياح السعد المفاجئة كل شخص فى القرية بطريقة أو بأخرى . حتى مشروع بناء الكنيسة جمع تبرعات فاقت كل التوقعات جراء كرم السكان .

ان الخير كثير جدا بالنسبة لنا « قالت والدتى عندما رأت عائلة الدالتون في سيارتهم الجديدة ، التى تركت وراءها شريطا من الغبار فى البرية اللاهبة .

لا شىء كثير جدا أجاب والدى معنفاً وهو يأخذ كأسا من الليمونادة الباردة من الثلاجة الجديدة التى اشتريناها بنقود البترول . ازداد عبوس والدتى عندما لوحت لنا عائلة الويلسون من سيارتهم في الجانب الآخر من الطريق ، لقد كانت سيارتهم حمراء لامعة ومرصعة بالكروم .

« انظر الى ذلك ـ قالت والدتى مستنكرة الوضع ـ عندما لا يحتاج الناس للعمل من أجل الحصول على المال فانهم يضيعون ذلك المال . الذين لم يكن لديهم الكثير لا يعرفون كيف يتصرفون عندما يغمرون بذلك » أجاب والدى ـ وهو يضحك خافتا ـ: « ان الكثير منهم يحسون بالغبطة وهم يحاولون أن يتعلموا كيفية التصرف بالمال » .

ولكن السعادة لم تكن وحدها حليف كل ملاك فى لوكست . كان على البعض أن يحاربوا ضمائرهم . مثلا جيف بورتر اتفق مع أحد المستأجرين عبر التلفون . كان ذلك المستأجر يتأكد فى شرعية سند التمليك في مبنى الحكومة . ولم يكد جيف يضع سماعة التلفون حتى طرق عليه الباب رجل وهو يعرض ثلاثة أضعاف المبلغ من أجل العقد . كان يحاول اخباره بأن الاتفاق عبر التليفون لا يعتبر ملزما . رمى جيف مضغة التبغ من فمه ، وهز رأسه رافضا ، ثم أغلق الباب في وجه ذلك « الزبون » . ثم انهال بقبضة على الحائط ، لأنه كان حانقا على نفسه ، ولكنه على الأقل وقف عن كلمته . ذلك الأمر الذى لم يكن يحدث كثيرا عندما كان بريق الذهب لا يقاوم . ولكن موجة الرخاء التى غمرت لوكست رسبت أيضا حطامها البشرى الذى تمثل في بعض المتعدين على الملكية . لقد كانوا رجالا مدققين يقضون أياما في البحث فى سجلات الأرض ، علّهم يجدون أى خطأ يمكنهم من تحدى ملكية رجل آخر . كان المتقدمون فى السن والأرامل ضحاياهم المفضلة . لأنه كان من السهل ترويعهم واجبارهم على دفع نصف العائدات ، بدلا من الذهاب الى المحاكم لمحاكمة المدعى كان المحتالون يحضرون بقبضة من لوحات مسح الأراضى والمفردات القانونية الرنانة ، التى تقنع الملاّك المساكين بأن هناك خطأ فى حدود الأراضى .

وفى يوم شديد الحر وقفت سيارة أمام باب بيتنا ، مخلفة وراءها عاصفة من الغبار ، ونزل بهدوء من خلف المقود رجل طويل نحيف . بدا وجهه الشاحب رقيقا ، وكأنه يرى قطعة من الصنوبر الأصفر ، كان يتكلم بصوت جاف ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تلقائية ثابتة . عرَّف بنفسه على أنه روكلاند هوبول ، ثم قال انه حضر ليلفت نظر والدى الى خطأ فى سند التمليك فى جزء من أرضنا . تستطيع القول يومها بأن والدى تمنى لو انه لم يستبدل بندقيته مقابل دولاب السيارة .

بسط روكلاند خريطة مسح ملطخة محدثا صوت زقزقة مزعجة . قبل سنوات عديدة كان والدى قد



اشترى بعض الأراضى من أبي السكير واتسون . في تلك الأيام كانت أغلب المعاملات تجرى بصورة عفوية ، لم تكن هناك الحاجة لاحضار مساح من المدينة لتدقيق الحدود .

وحسب مقولة السيد روكلاند فان بعض سجلات المسح الحديثة تثبت بأن الأب واتسون ارتكب خطأً بتقدير مساحة أرضه ، عندما باعها لوالدى ، وكشفت السجلات أن هناك شريطا ضيقا بحذاء قطعة الأرض لم يكن جزءا من البيع ، وعندما ورث السكير واتسون الأرض كان قد باع ما تبقى منها للعم رالف . وشرح السيد روكلاند لوالدى أنه اشترى ذلك الشريط من واتسون ، وأنه ينوى أن يحصل على عقد من أجل التنقيب عن البترول هناك .

خيم سكون مشؤوم عندما طوى روكلاند الخريطة ، وهو يقف وقفة المعتد بنفسه ، وكأنه قد وضع والدى تحت الأمر الواقع .

نظر والدى الى الرجل من الأعلى الى الأسفل وكأنه يفكر الى كم قطعة يستطيع تمزيقه . حبسنا أنفاسنا متسائلين عما يمكن حدوثه ، بعد ذلك لم نكن نتوقع شيئا أقل من العنف . ولكن قهقهة والدى فاجأت كل واحد منا .

ـ « لقد استطاع السكير واتسون أن يخدعك » هتف والدى .

ـ « ولكن هذا هو العقدُ أجاب روكلاند وهو يتكلف الابتسام .

ـ « ولكن ذلك كل ما تملك » أجاب والدى . »

ـ « أوه . سوف أؤجر تلك الأرض أيضا ، أصر والدى والدهشة تعترينا » ولكننى أعتقد أنه سوف يمضى بعض الوقت قبل أن تستطيع أن توقع عقدا مع أى من رجال البترول .

ـ « لماذا ؟ سأل روكلاند .

اهتزت شوارب والدى وهو يقول « لأننى لا أرى كيف بامكانهم أن يحضروا فريقهم وآلياتهم الى ذلك الشريط الضيق من الأرض الا اذا نبتت لهم أجنحة .

وسرعان ما تبخرت ابتسامة السيد روكلاند « ماذا تعنى ؟ » كان والدى يشير بيديه وهو يجيب ، لأنه ليس لديهم أية طريقة للوصول الى تلك الأرض ، لأننى وأخى رالف نمتلك كل شبر من الأرض المحيطة بها « ثم أضاف وحسب السجلات لا توجد هناك أية طريقة قانونية تمكنك من عبور أرضنا الى ذلك الشريط ، يبدو لى أنك دفعت الكثير من أجل أرض لا تساوى شيئا .

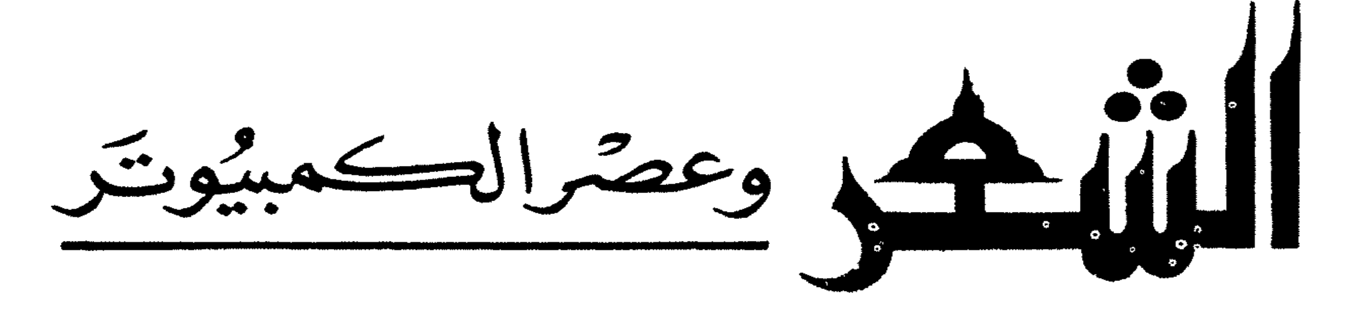
بدأت حنجرة روكلاند تهتز كعرف ديكنا الرومى ، وانقلب وجهه الشاحب الى أحمر باهت ، ولكن الكلمات لم تسعفه .

تنهد والدى وهو ينظر الى سيارة روكلاند وهى تناور ، مخلفة وراءها عاصفة من الرمل .

ـ « في المرة القادمة تأكد أن الأوراق قد ملئت كما يجب » قالت والدتى موبخة .

ولكن والدى هز كتفيه بدون مبالاة . . . حسنا . لو أننى وضعت كل شيء بدقة على الأوراق مع هارى واتسون لكان بامكان ذلك المحتال أن يضعنى في موقف حرج ، لأننى اتفقت مع هارى اتفاقا شفويا بأن لديه حق المرور خلال الأرض التى باعنى أياها ، لأن ذلك كان طريقا اقصر بالنسبة له . ذلك هو السبب في وجود بوابات في كلا السياجين . ولكن باعتباره من أبناء المدن فان السيد روكلاند لم يأخذ تلك الامكانية بعين الاعتبار .

ـ « يجب على أن أشكر واتسون لعدم تذكيره لروكلاند بذلك . □



الشعر وعصر الكمبيوتر

بقلم : عبد الله زكريا الأنصاري

مازال الشعر له مكانة . ومكانته في دنيانا عظيمة بالرغم من حدوث نقلات كثيرة وكبيرة في شتى مجالات الحياة .
لكن هل يمكن أن يموت في عصر « الكمبيوتر » ؟ هذا ما يجيب عليه هذا المقال .

الشعر كلمة ليست كالكلمات ، لها رنين ، وفيها نغم ، ولها ايقاع ، توحي لك بالموسيقا ، وتسير معك في الخيال ، وتأخذك الى عالم السحر والجمال .

خلق الشعر مع الانسان ، يعيش معه ، ويحيا بحياته ، ويسمو بسموه ، ويموت بموته ، انه الصوت الجميل ، والنغم اللذيذ ، واللحن الحلو الناعم .

انه شعور الانسان ، وأحاسيسه ، وعواطفه ، يرق اذا رق ، ويعذب اذا عذب ، ويصفو اذا صفا . يفرح اذا فرح ، ويحزن اذا حزن .

يهدر اذا هدر ، ويثور اذا ثار ، ويغضب اذا غضب ، ويعنف اذا عنف ، ويهيج اذا هاج ، ويضطرب باضطرابه .

انه قابع في الحياة ، في داخل الانسان ، وفي كل شيء في حياة الانسان . انه في السماء وفي الأرض . فوق سطح البحر وفي قاعه ، فوق التراب وفي سفوح الجبال وفوق قممها ، في أشعة الشمس وفي ضوء القمر ، وفي لألاء النجوم والكواكب الأخرى الساطعة .

انه الشعر ، في أنفاس العذارى ، وفوق رؤوس الحراب . يغني للحياة ويغني للحرب . والحرب دعوة للحياة في كثير من الأحيان . ورحم الله الشاعر العربي الذي يقول في هذا المعنى : ـ

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة مثل أن أتقدما

انه الشعر يطير في الفضاء ، ويجوب السموات العلا ، ويقطع الفيافي والقفار ، يشق عنان السماء ، وينفذ كالسهم ، ويجري كالنجم الثاقب بين النجوم .

هل يموت الشعر ؟

ويأتيك من يسأل ، هل يموت الشعر ؟ وهنا لا بد من القول الصراح : نعم يموت الشعر ، فيكون لجوابك وقع أي وقع !! وقع الذهول والقلق ، وقع الراحة الخادعة ، كيف ؟ ان الذهول والقلق قد يعلوان أوجه محبي الشعر وقد يحزّان في نفوسهم ، والراحة الخادعة قد تبدو على محيا مبغضيه ، أو الذين يقولون بموت الشعر . أما الذين يعرفون الشعر ، ويفهمونه ، ويدركون روحه ، فتنسرب بهم معرفتهم وفهمهم وادراكهم الى صدق الجواب ووضوحه وصراحته ، ويرددون بأنفسهم وفي قلوبهم ، وملء مشاعرهم : نعم ان الشعر يموت ، وكل شيء يموت ، ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ،

ويقولون:لا بد للجواب على سؤال السائل ، من سؤال أيضا ويسألون : لكن متى يموت الشعر ؟ واذا لم يجدوا من يجيبهم على سؤالهم ، أجابوا هم أنفسهم قائلين :ـ ان الشعر يموت بموت الانسان وينتهي بانتهاء الحياة ، فما دام هناك انسان حي فهناك شعر ، ومتى فنيت الحياة مات الشعر ، ويجيبون اجابة أكثر وضوحا ، وأشمل ، ويقولون ان الشعر يموت اذا ماتت الحياة ، وما دامت هناك حياة فهناك شعر ، ذلك أن الشعر روح الحياة التي تتردد في الانسان ، وأنفاسه التي يتنفسها ، وبصره الذي يرى فيه ، وبصيرته التي ينفذ بها الى لب الأشياء .

انه الشعر الذي يُنطق الشاعرَ بما لايبصر ولا يرى ، يصف ما لايبصره ، ويصور ما لا يراه ، بل ويسمع ما لا يُسمع . انه الشاعر الذي يبصر بمشاعره ، ويرى بأحاسيسه ، ويسمع بعواطفه . وهل يجب على الشاعر أن يكون مبصرا ليصف ما يبصره ، وذا عينين ليصور ما يرى بهما ؟أو ذا سمع ليغني بما سمع ؟

ان بصر الشاعر وسمعه وبصيرته انما هو شعوره واحساسه وعاطفته ، يفقد بصره فيرهف شعوره ، وتشتد أحاسيسه ، وترق عاطفته ، ويفقد سمعه فتدق الأصوات المنبعثة داخل جوارحه فينغمها بأحلى نغم وأجمله ، الم يقل الشاعر الأعمى (أبو العلاء المعري) :

ليلتي هذه عروس من الزنـ
ـج عليها قلائد من جمان

ويقول :

وكأن الهلال يهوى الثريا
فهما للوداع معتنقان

ويقول :

وسهيل كوجنة الحب في اللو
ن وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللمح في احمرار كما تسـ
ـرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي
فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو في العجـ
ـز كساع ليست له قدمان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ
ـر فغطى المشيب بالزعفران

الى آخر هذه الأبيات الوصفية الرائعة .

كيف تَأَتَّى لهذا الشاعر الأعمى ، المغرق في العمى أن يصف ليلته بالعروس الزنجية السوداء المتزينة بالقلائد من الجمان ؟ كيف يصور الجمان اللامع على صدر الحسناء السوداء ؟ وهو لم ير الجمان ، ولم يبصر حسناءه السوداء ؟

ويأتي الى الهلال وهو في كبد السماء ليصوره عاشقا ولهانا ، ويصور الثريا معشوقة له ، ويصور اعتناقها في السماء ، مثل اعتناق العاشقين اللذين يهمان بالوداع ، وكلما آن الرحيل اشتد العناق بينهما ، وكلما أزفت ساعة الفراق تضرم الشوق ، وغلى مرجل الحب ، وأخذ كل عاشق عاشقه بالاحضان يعتصره ويعتصر معه قلبه ، نعم كيف صور هذا الشاعر الأعمى هذا المنظر العجيب ، ثم يمضي به الوصف، وتستبد به الرؤى ، ويرسم لوحة متحركة حية خالدة لسهيل ، وسهيل هو النجم المتلألىء الذي يحمل الى أهل الكويت وأهل المنطقة تباشير الخريف ، حيث تبدأ أيام الصيف الحارقة بالتلاشي ، وتحل محلها الأيام التي تتخللها نسمات الخريف المنعشة الباردة التي تسبق نسيم الشتاء .

نعم يصور شاعرنا الأعمى سهيلا بقلب المحب ووجنته ، وقلب المحب أبدا في خفقان ، ووجنة الحب يعلوها الاحمرار الممزوج بالصفرة المحببة ، نعم انه سهيل المتلالىء اللامع سريع اللمح في احمراره كسرعة اللمح في مقلة الغضبان ، فكيف رأى شاعرنا الأعمى احمرار مقلة الغضبان كيف رأى الشرر يتطاير منها ، بل كيف رأى اللمحات التي يرسلها سهيل في تلألئه ، وراح يرسم هذا المنظر الجميل بريشته الشعرية البليغة ؟ ثم يصفه بالمحارب الشجاع الذي ضرجته سيوف الأعادي بالدماء فراح يجر قدميه ، وبدا ساعيا بدون قدمين ، يسحب نفسه سحبا ويجر جسمه جرا . وهكذا ظل محاربنا البطل حتى شاب الدجى ، والدجى ليل ، والمشيب بياض ، أي حتى أرسل النهار خيوطه البيضاء في شعر الدجى الأسود على رأسه ، فخاف الدجى أن يهجره الحبيب فلم يجد ما يغطي به شيبه غير الزعفران .

نعم أي لوحة للدجى أروع من هذه اللوحة .

يشيب الدجى ، أو تبدأ خيوط المشيب تجلل رأسه ، ويخشى أن يهجره الأحباب فيصبغ شيبه بالزعفران ، وأنت ترصد الليل فتراه سوادا ، وعندما تبدأ خيوط الفجر تبدأ بيضاء رويدا رويدا ترى الليل الأسود وقد بدأ يكسوه اللون الاصفر الذي يشبه الزعفران ، وهي الصفرة المنبعثة من أشعة الشمس قبيل بزوغها ثم يتحول الليل نهارا ساطع البياض .

ونضا فجره على نسره الوا
قع سيفا فهمّ بالطيران

ولما استل الصباح سيفه هب النسر بالطيران وطار .

انها صور بديعة يرسمها لنا هذا الشاعر الأعمى وهناك غيره من الشعراء كثيرون لو أردنا الاستدلال بهم لضاق بنا المجال ، وهم شعراء مصابون بالعمى أو مصابون بالصمم .

ذلك هو الشعر ، حيٌ ما بقيت الحياة ، يوحي للشاعر فينطق ويبدع بنطقه ، وفي أحيان يوحى له فيصف ما لم يره ، ويصور ما لم يصوره ، ويسمع وان كان غير سميع .

انه الشعر ، يلهم الشاعر صورا ما كان يدري بها ولم يرها ، ويلهمه معاني ما كانت تدور بخلده ، ويلهمه ابداعا ، ورؤى مجنحة ، ويكشف له لمحات تكاد تكون من الغيب ، ويطوف به في عوالم أخرى ، يجوب أنحاءها ، ويخوض غمارها ، ويجوس خلالها . كل ذلك بمشاعره وأحاسيسه وبعواطفه وخياله الواسع الذي يمده له الشعر مدا ، ويخلقه له خلقا .

الشعر والكمبيوتر

وهناك من يقول في هذا العصر الذي تتكشف فيه أسرار العلم ، ويأخذ بعضها برقاب بعض ، ويسيطر فيه « الكومبيوتر » على حركات ما يأتي به العلم ، ويكاد أن يحصي أنفاس الكون في حركاته وسكناته ، نعم هناك من يقول:إن الشعر بدأ في الانحسار ، وان الشعر لم تعد له فائدة ، ولا جدوى في عصر « الكومبيوتر » انهم ينظرون الى الحياة كما ينظر اليها « الكومبيوتر » تماما ان صح التعبير ، وربما يصح التعبير في عالم لا يتعدى فهمه عالم الأرقام ، ولا يخرج من دائرة علم الحساب ، حتى ولو كان حسابا في دقة ما يحفظه له جهاز (الكومبيوتر) وهو عالم لايدرك ، بل لا يتحمل فكره ، ولا يستطيع أن يتقبل عقلا منطلقا من عقال الارقام أو علم الحساب ، أو جهاز « الكومبيوتر » ، ولا يتصور أن الشعر شيء ، أو خلق يسمو على الارقام ، ولا تحده دائرة علم الحساب ، ولا يتقيد بجهاز « الكومبيوتر » .

لاشك أن هذا هو عصر « الكومبيوتر » و « الكمبيوتر » جهاز أتى به عقل الانسان في العصر الحديث ليساعده على رصد أموره الحياتية ، في صناعته ، وفي عمله المكتبي ، وفي زراعته ، وفي اكتشافاته ، وفي مختلف علومه وأعماله كافة ، وربما أدى الى خدمات أهم وأعظم . الا أن منزلة الشعر تبقى هي الأعلى وهي الأهم ، لأنها هي في صميم الانسان ، وفي صميم جوارحه ومشاعره ، بل انها في صميم خلقه ، وستبقى معه ما دام يتنفس الحياة ، أما جهاز « الكومبيوتر » فربما عصف به العلم وأتى بجهاز آخر غيره بصورة أدق وأروع حتى هذا الجهاز الآخر يظل عرضة يحل محله للالغاء ، وربما عرضه للسخرية والتندر والاستهزاء ، ما دام العلم يسير في تقدمه ، وما دام العقل البشري يتفكر ، والانسان يتدبر مستعينا بالعلم ، ومستعينا بالعمل على العلم ، وبالعلم على العمل . ويظل وسيظل هكذا حاملا معه جوارحه ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه ما بقيت الحياة ، وان انتهت حياته انتهى معها كل شيء .

وبانتهاء حياة الانسان تنتهي معها كل حاجاته ، من علم وعمل ، ومن شعر وخيال وابداع .

وسوف يبقى الشعر ما بقيت الحياة ، يترجم وجدان الأنسان في افراحه ، وأتراحه ، ويترجم روعة الحياة في مسراتها ، ومآسي الحياة في كوارثها ، خارج دائرة علم الحساب ، وبعيدا عن الأرقام ، وانما في دائرة الخيال على رحبها ، وفي عالم الوحي الذي لا يحده حد .

نعم ، سوف يبقى الشعر ، وينتهي الكومبيوتر » ، وسوف يبقى الشعر وينتهي ما بعد « الكمبيوتر » حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وربما بعث الشعر مع الانسان في حياته الأخرى ، والله بكل شيء عليم . □



الأم والبنت والحفيدة

وراثة غالبة مسيطرة،يبدو بها انسدال في الاجفان العلوية وتباعد في المسافة بين المآقي الانسية وتضيق في الفرجة الجفنية وقد زادت الاذية سوءا في الجيل الثالث فظهر نقص في الاهداب وتشوه وشتر في حواف الاجفان .

هل تورث ؟

بقلم الدكتورة : سرى سبع العيش

منذ عرفت الوراثة الجسمية في الطب كان لأمراض العيون نصيب بارز فيها حيث خضعت للبحث أمراض عيون عديدة تنتقل بالوراثة من الآباء الى الأبناء ، ومن الاجداد والأسلاف الى الأحفاد عن طريق أبوين سليمين ظاهراً ، فما السبيل الى معرفة المصاب من السليم ؟

الخلية الناسلة التي تحوى الصبغيات المورثة تحمل شتى الصفات التشريحية والفيزيولوجية ، الطبيعية منها والمرضية ، وهذه الصفات الموروثة قد تنتقل رأسا من احد الأبوين أو كليهما ، أو تنسل من أجيال غابرة وتبقى كامنة لتظهر فجأة في جيل ما ، تاريخا بشريا مستحدثا مكررا لا سبيل لصده بعد أن وجد الظرف الملائم للظهور .

والوراثة العينية تبدو بوضوح في بعض الأجناس والشعوب كالصينيين الذين يتماثلون في شكل فرجة الاجفان وأبعادها وانحرافها عن الخط الافقي الى الاعلى والوحشي،وتتباعد عندهم المسافة بين المآقي الانسية فيصبح جسر الانف عريضا مبسطا خلافا لما هو الامر عند العرب مثلا حيث يميل جسر الانف للحدة والضيق وبعض الارتداد .

وتظهر الاختلافات الارثية العرقية بوضوح في حجم القرنية وتحدبها ولون القزحية ، فهي باهتة الصباغ عند الغربيين ، تبدو خضراء وزرقاء ورمادية حسب الامواج الممتصة فيها والمنعكسة منها ، بينما يتراكم الصباغ ويتكاثف في القزحية عند الشرقيين وخصوصا الافريقيين وهو عند العرب بين بين لاختلاطهم وتزاوجهم بالعديد من الجنسيات والاقوام عبر التاريخ ، فهنالك العيون الزرقاء والخضراء والعسلية والبنية القاتمة . ومن الطريف أن اللون الاسود الحقيقي لايوجد في القزحية لذلك ليست هنالك عيون سوداء بالمعنى الدقيق .

اذن فشكل العين واتساع الحدقة وأقيسة الفرجة الجفنية ، كلها تورث سواء كانت ضمن نطاقها الطبيعي أو تعدته الى الاشكال المرضية .

ولعل العرب هم من أوائل الاقوام التي أدركت علم الوراثة،فالقرآن الكريم يشير الى انتقال وراثة الجنوح السلوكي (ربّ لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) والرسول العظيم يقول (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) وكان الرجل يتخير أحسن الخؤولة لابنائه . حتى لا يندس العنصر الخبيث في نسله ، سواء كان مرضا جسميا أو عينيا أو عقليا .

وقد حث الاسلام على التزاوج بين القبائل والشعوب الاسلامية طالما كان الجسم صحيحا والعقل نيرا والقلب مؤمنا والسلوك اسلاميا (لافضل لعربي على أعجمي ولا لاعجمي على عربي الا بالتقوى) ، ولكن الردة القبلية التي برزت عندما ضعفت الامة العربية المسلمة،وانحسرت شمس حضارتها وتقهقرت وتقزمت ، أدت الى التقوقع والاقتصار على العائلة الواحدة والعشيرة الواحدة ، فكثر زواج ذى القربى وأدى الى بروز العديد من الامراض الوراثية ، وخصوصا العينية منها . وتفسير ذلك أن ابناء العمومة أو الخؤولة الواحدة قد يحملون صبغيات مورثة مرضية متماثلة دون أن تظهر عليهم الامراض ، فاذا ما تزاوجوا كان نصيب اطفالهم من الوراثة المرضية مزدوجا مما يساعد المرض الوراثي المستتر على الظهور .

ومن الامراض الوراثية العينية « الساد العيني » ، والحول ، وتشوهات الاجفان وسرطان الشبكية ، وقصر البصر الخبيث ، ومد البصر العالي ، وداء الزرق وضمور العصب البصرى ، وعمى الالوان ، والعشاوة أو العمى الليلي ، واعتلال الشبكية الصباغي .

وقد تتبع وراثة أمراض العيون النمط الغالب المسيطر ، او النمط الوراثي المستتر ، أو النمط الوراثي المرتبط بالجنس .

بعضها يورث

وكمثال على الوراثة الغالبة المسيطرة في امراض العيون«العشاوة»أو العمى الليلي . وهنا يذكر تاريخ طب العيون أكبر دراسة عائلية لفلاح فرنسى اسمه جين نوغاريه كان مصابا بالعمى الليلي ، وقد جرت دراسة تتبعية لعائلته على مدى خمسة أجيال منذ عام ١٨٣٨ وحتى عام ١٩٥٦ ، من قبل عدة أجيال من أطباء العيون توارثوا دراسة أنسال تلك العائلة . وهكذا درس أكثر من الفي شخص من ذرية تلك العائلة،ولوحظ أن كلا الجنسين قد أصيب بهذا المرض المسيطر .

وانه عندما يتزوج المصاب ، يظهر المرض في نصف ذريته ، أما اذا تزوج قرينان خاليان من المرض فإن ذريتهما ستكون سليمة مائة بالمائة حتى وان كان بعض أجدادهم قد أصيب به،لأن نقل الوراثة المرضية



الاب كفيف البصر منذ الولادة والأم مصابة بداء الساد الولادى وهى ضعيفة البصر ، والذرية كلها مصابة بداء الساد الولادى في العينين ، أجريت لهم جيما عمليات جراحية في العينين .

في هذه الحالة يتم مباشرة من أحد الابوين المصابين .

هنالك أمراض عينية وراثية تترافق مع امراض جسمية وتخلف عقلي ، كما في داء العته المغولي ، فاضافة للاعاقة العقلية هنالك إعاقة بصرية يكثر فيها وجود الساد العيني وتشوهات القرنية ، وتبدو الفرجة الجفنية مائلة للاسفل والوحشى على عكس ما هو عند العرق الصيني . وقد دلت الدراسة الخلوية في هذا المرض على أن هنالك جنوحا في عدد الصبغيات المورثة (كروموزوم) . فالخلية الطبيعية تحوى أربعة وعشرين زوجا من الصبغيات المورثة ، ثلاثة وعشرون منها صبغيات تحمل الصفات الجسمية ، والزوج الاخير خاص بالجنس يختلف حجما وشكلا في الذكر عنه في الانثى ، وقد وجد ان علة الداء هو التثلث الصبغي ، فالزوج الثامن أو الثالث عشر يحوى ثلاثة جسيمات صبغية بدلا من اثنين .

بين الأقارب أكثر

وهنالك أمراض وراثية عينية تترافق بأخطاء استقلابية ، أى ان العلة الاساسية هي نقص ولادى موروث في بعض الخمائر الهامة التي يعتمد عليها استقلاب بعض الحموض الأمينية ، كما في داء انقلاع العدسة البلورية في العينين المترافق مع بيلة الهيموسستين،وعادة يكون والدا المريض أبناء عمومة أو خؤولة أولى ، وتحدث هنا سلسلة من الاختلاطات العينية تؤدى بالتالي الى العمى . ويكون الطفل مصابا بتخلف عقلي شديد وتشوهات جسمية عظيمة مفصلية . وقد ترزق (أو ترزأ) العائلة بأكثر من طفل واحد مصاب بهذا المرض ، وهنا الطامة الكبرى . ويدرج داء البرص العيني ايضا مع الامراض العينية الوراثية المستترة ، والمترافقة بأخطاء استقلابية . فالخميرة المسؤولة عن عمل الصباغ القتاميني تكون مفقودة ، إما في أنسجة العين فقط أو في الجسم كله . لذا تبدو العين بلا لون ويظهر البؤبؤ أحمر،ويعاني المصاب من ضعف البصر ورهبة الضوء . والرأرأة العينية .

اذن فوراثة امراض العيون قد تتبع انماطاً واشكالاً شتى ، فقد تكون وراثة غالبة مسيطرة ، اى انه تكفي اصابة احد الزوجين فقط بذلك المرض لينتقل لنصف ابنائه ، وليس هنالك حامل مستتر للمرض .

وقد تكون الوراثة جسمية ، أى أن الصفة المرضية المورثة عالقة على إحدى الصبغيات الجسمية ، ويشترط ظهور المرض في الأبناء وجود تلك الصفة المرضية في خلايا الأبوين كليهما ، فالزوجان كلاهما يحملان المرض بشكل مستتر دون أن يبدو عليهما أذى معين . وهنا تكمن المعضلة ، وهي عدم التوقع ، وفجأة يظهر المرض في الطفل الأول ثم تتكرر الاصابة في الأطفال الآخرين،وما يعقب ذلك من مآس وأوجاع عائلية . ومثال هذا النمط اعتلال الشبكة الصباغي وعمى الليل .

وقد يورث المرض العيني بنمط مرتبط بالجنس ، أى أن الصفة المرضية الموروثة ـ تلصق بأحد فرعي

الزوج الرابع والعشرين من الجسميات الصبغية الخاص بجنس الانسان ذكرا أو انثى . وكمثال على ذلك ـ داء الهموفيليا ، أو عدم تخثر الدم،ويرافقه عادة مرض عمى الالوان ـ وهذا الداء يصيب الذكور فقط ويمر عبر الاناث اللواتي يحملنه بشكل مستتر،ويورثنه لابنائهن الذكور . وكان هذا الداء يعرف بداء الملوك لانه ظهر في الاسرة المالكة في اوروبا،وقد اصيب به ولي عهد القيصرية الروسية .

أما اذا كان المرض المرتبط بالجنس مسيطرا فتختلف النتيجة حسب جنس القرين المصاب ، المصابة تلد أطفالا نصفهم مصاب بغض النظر عن جنسهم . اما اذا تزوج الرجل المصاب بمرض وراثي مرتبط بالجنس فأنه سيورث المرض لنصف ابنائه ـ جميع بناته ـ اذا كان يحمل المورثة على الصبغي × وان جميع ابنائه الذكور سيصابون بالمرض اذا كان يحمل الصبغة المورثة المرضية على الفرع القصير Y من الزوج الصبغي الجنسي .

استقراء العوامل الوراثية

ولقد ارتقت الدراسة الالكترونية الخلوية فاصبح بالامكان استقراء الكثير من العوامل المرضية الوراثية مبكرا .

ان امراض العين الوراثية كثيرة ومتعددة في بلادنا ، تنشط في المجتمعات المتخلفة التي يغلب فيها زواج القربي ويصادف اغلبها في الطبقات الفقيرة المسحوقة .

ففي دراسة أجريتها على أطفال معاقين عقليا وبصريا تبين أن ٦٠٪ منهم كانوا نتاج زواج ذوى القربى وخصوصا عندما يكون نمط الوراثة جسميا مستترا .

وعلاج مشكلة أمراض العيون الوراثية يكون بالعمل على تجنبها والاقلال منها وذلك بمراقبة الزواج والتشاور بموضوعه ، لان الزواج لا تنحصر نتائجه بالزوجين فقط بل هنالك المجتمع الذى يستقبل نتاج ذلك الزواج ويتعايش معه . فالمجتمع الصحيح يتخير أعضاء اصحاء قادرين على تحديات الحياة . ويعمل على الوقاية من أحداث تنخر كيانه وتضعف بنيانه ، وهو في نفس الوقت يجند فعالياته للمحافظة على افراده وتخفيف الرزء عنهم ، فيعالج المرض العينى سواء كان المصاب صحيحا أو معاقا عقليا .

ولا بد من دراسة الشجرة العائلية للشخص المصاب أو الفرد الذى لديه قريب مصاب قبل أن يقرر الطبيب نمط الوراثة المرضية الكامنة ، فاذا كان كلا الزوجين مصابين بالمرض لا بد من تجنب انجاب الاطفال اذا اريد ايقاف سلالة ذات اعاقة عينية شديدة ، لان احتمال اصابة عدد كبير من الاطفال بنفس المرض أمر وارد وخطير .

هكذا تقول قوانين الوراثة، ولكنها ليست قواعد حسابية دقيقة،ومع صعوبة ضبط الزواج بقوانين آلية وحسابية ، وخصوصا لما يرافق اختيار الاقران الزوجية من عواطف ومشاعر انسانية ، وتعقيدات اجتماعية لا تنسلك دائما في الحسابات والتخطيطات النظرية ، ولكن يبقى الابتعاد عن زواج القربى وتجنب الاقتران بين زوجين يحملان نفس المرض ادعى لتجنب امراض موروثة وان كان لن يمنع ظهور ذرية جديدة تحمل آلام اجداد واوجاع تاريخ بشرى سحيق . □



فارق السن

قالت الشابة لزميلتها : لقد قابلت خطيبي عندما كنا صغيرين في المدرسة ، كان عمري خمس سنوات ، وكان عمره كذلك خمس سنوات ، أما الآن فقد كبرنا ، فأصبح عمري الآن ٢١ سنة وصار عمره يقرب من ٣٣ سنة !

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

نشرت مجلة (ناتشر) الطبيعة ، في عددها الصادرفي مطلع شهر أيار الماضي (١٩٨٥) تقريرا لعالم ياباني معروف هو الدكتور تتسورا ماتسوزاوا ، احد الباحثين في جامعة كيوتو . . ويذكر الباحث البيولوجي المتخصص في شؤون القردة انه نجح في تعليم الشمبانزي (آي) مبادىء اللغة والحساب . .

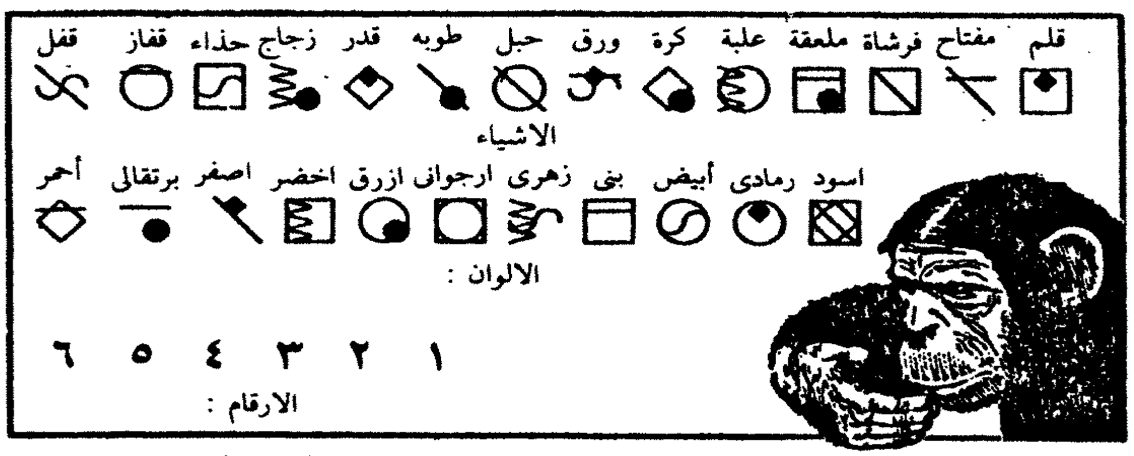
ويجدر بالقارىء أن يستبعد من تفكيره النطق والكتابة من اللغة التي تعلمها الشمبانزي آي . . . فهذه لغة اشارات ورموز فحسب . . وكل مايطلب من الشمبانزي بصددها انما هو مجرد فهم مدلول تلك الرموز والتصرف وفق مايتطلبه ذلك المدلول.وقد تعلم الشمبانزي ١٤ منها في المرحلة الاولى من الدراسة . .

وقل مثل ذلك في الحساب ، وقد تعلم آي ستا منها (من ١ ـ٦) واصبح في استطاعته ان يضغط على الزر الذي يضيء خمسة اذا كان عدد البرتقالات التي طلب منه عدها خمسة .

هذا بالاضافة الى الالوان . . وقد درب القرد على ١١ لونا هي كل ألوان الطيف أو تزيد . . ومازال يتعلم المزيد من الالوان والرموز والاعداد حتى أصبح في مقدوره تركيب مايقارب من ٣٠٠ « عينة » او عبارة لغوية . .

وغنى عن البيان ان تعليم الشمانزي اللغة وهو لايتكلم ولاينطق ليتطلب الاعتماد على جهاز الكتروني مجهز بالازرار المناسبة والاضواء المناسبة . . ويسهل على القرد استعماله والضغط على أزراره للتعبير وطرح الاسئلة والرد عليها وذلك بصورة بدائية طبعا . .

لغة القردة ورموزها



بداية التفاهم مع الشمبانزى . . هل هى بدايةعهد جديد فى التاريخ البشرى

وثمة وسيلة اخرى شدت الشمبانزي الى التعلم وهي المكافآت المادية التي يحصل عليها اذا نجح،وبقدر ما يحرز من نجاح .. وقد تراوحت نسبة نجاحه بين ٦٣٪ و ٩٠٪ وذلك تبعا لبساطة الدروس أو تعقيدها ..

ويبين الرسم المرافق لهذا الكلام ، في السطر العلوي ، لغة الشمبانزي ورموزها ال ١٤ ، وفي السطر الاوسط الالوان والاشارات الدالة عليها .. ويتبين في السطر الثالث ما أتقنه من الارقام العربية / الهندية من ١-٦ ، وهي طبعا في غير حاجة الى اشارات أو رموز .

بقي أن نشير الى ماتدل عليه هذه المنجزات من قدرة الشمبانزي الفائقة على الفهم .. فهو لايقدر على النطق ويمارس الفهم دون كلام .. شأنه في ذلك كشأن الأخرس ..

يصعب تعليمه ان لم يتعذر .. وكذلك الانسانية ككل ، ربما استحال عليها تعلم اللغة واتقانها وبقيت حضارتها عرجاء حتى الان ، لو لم تنعم بالقدرة على النطق والكلام .. فالنتائج التي أحرزها الشمبانزي اذن جديرة بالتقدير وباعثة على الأمل ، الامل في ألا يبقى الانسان وحيدا في هذا الكون وأن يمضي في تعليم الشمبانزي على نطاق واسع حتى يصبح جليسه الأنيس وخادمه المطيع ...

البيت الابيض يمنح الجائزة الأولى

اقام الرئيس ريجان في الثلاثين من شهر يناير الماضي الاحتفال الخاص باختيار الابتكارات العلمية الصناعية المتفوقة ، وفازت بالجائزة الاولى قدم سياتل كما يسمونها . ، كما فاز بها ١٢ ابتكارا آخر كان بعضها في مجال الانشاء والتعمير وبعضها في مجال الصناعة . ولم تمنح الجوائز عشوائيا بل كان هناك هيئة محلفين من الاختصاصيين لأن شروط الفوز بجائزة تضمنت الاتقان الفني .



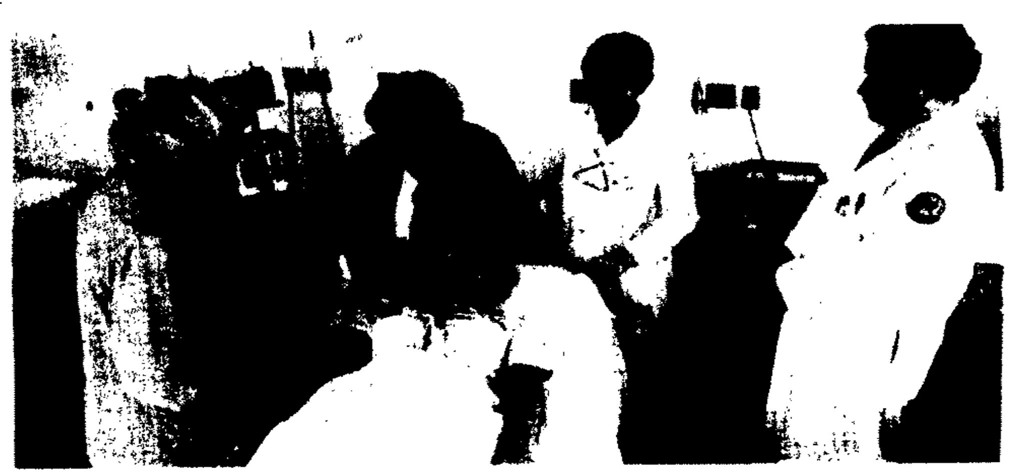
ـ الرجل يعدو بالقدم الاصطناعية التي فازت بالجائزة

معالجة الاكتئاب بالكهرباء

ان المعالجة بالصدمات الكهربائية آخذة في كسب المزيد من الانصار والمؤيدين يوما بعد يوم . ، ويبدو أن سوء الفهم هو المسؤول عن السمعة غير الطيبة التي اكتسبتها تلك الطريقة . هذا هو ماذهب اليه الطبيب النفساني ريتشار داينر (جامعة ديوك) ، وذلك في مقاله المفصل الذي نشرته له مؤخرا مجلة الطب النفساني .

ومما يذكر ان مستشفى باركلي في كاليفورنيا ، حظر المعالجة بالصدمات الكهربائية سنة ١٩٨٢ ، ولكنه مالبث أن رفع ذلك الحظر .

ولعل الحسنة الكبرى التي تنسب الى



ـ المريض قبيل معالجته بالكهرباء ضد الاكتئاب

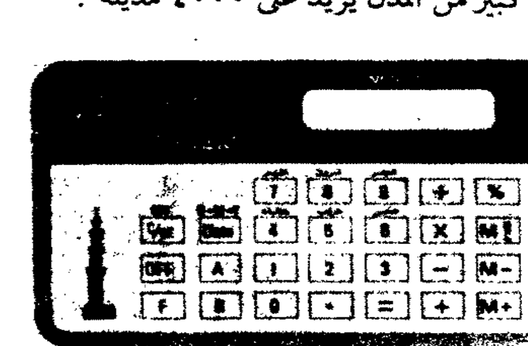
هذه المعالجة انما هي في شفاء المريض من الاكتئاب شفاء مؤقتا او نهائيا . على أنهم لايعرفون كيف تعمل اجهزة هذه المعالجة ، وكيف تضمن القضاء على الاكتئاب وذلك بالرغم من أن نحواً من اربعين سنة قد مضت على ظهورها .

فكل مايعرفه المختصون هو أن الكهرباء تسبب نوبة للمريض ، وذلك تبعا للتغيير الذي تحدثه في الاشارات الكهربائية الطبيعية التي تطلقها اعصابه . وقد يصحب تلك النوبة افرازات هرمونية ، أو ما الى ذلك من المتغيرات البيوكيماوية والمرجح هو أن لهذه المتغيرات علاقة مباشرة بالخلاص من الاكتئاب .

اما كيفية المعالجة بالصدمات فأول مايذكر بصددها التخدير الذي لابد للمريض منه . ويتناول المريض ايضا مستحضرات ترخية العضلات . ومن ثم تغرز في رأسه الاقطاب الكهربائية الصغيرة (الكترودات) ليسرى في رأسه ولمدة ثلاثة ارباع الثانية ، تيار كهربائي بقوة ١٥ شمعة . وهكذا تظهر النوبة التي لاتستغرق سوى دقيقة او اقل . وقد يولّد القائمون على المعالجة اكثر من نوبة واحدة . ومهما يكن من امر ، فان استكمال المعالجة يتطلب ٦ ـ١٢ نوبة بمعدل ٣ نوبات في الاسبوع الواحد .

راصد الصلاة

هذا جهاز جديد طور في امريكا في الربيع الماضي ، وذلك لاستعمال المصلين المسلمين ، لتمكينهم من تحديد مواعيد الصلوات الخمس ، لافي مدينة واحدة فحسب ، وانما في عدد كبير من المدن يزيد على ٤٠٠٠ مدينة .



ـ هذا هو راصد أوقات الصلوات الخمس في مشارق الارض ومغاربها

والجهاز صغير الحجم اذ لايزيد على حجم رخصة قيادة السيارة طولا وعرضا ، ولايزيد سمكه على ٤ ملم .

وغني عن البيان أن الجهاز يعمل بالكمبيوتر ، ولكنه يعتمد على ميكروبروسسور متطور جدا . . وهو يعمل باللمس ، لا بالضغط ، ويتوقف اوتوماتيكيا لدى التوقف عن لمسه . ومن مزاياه انه مزود بذاكره تحتفظ بآخر ماتم احتسابه من مواعيد الصلاة ، وذلك حتى في حالة توقف الجهاز . وجهاز راصد الصلاه يخطىء ولاريب ، فالكمال لله وحده . . ولكن خطأه لايجاوز ٣٠ ثانية في الخمسين عاما . . هذا اذا اخطأ .

مكتشفون ومخترعون



البرت اينشتين (١٨٧٩ - ١٩٥٥)

ولد ألبرت اينشتين سنة ١٨٧٩ ، في مدينة أولم في جنوب المانيا . . وما لبث أن انتقل مع أهله الى ميونخ وذلك بسبب فشل أبيه في أعماله الحرة .

ثم التحق بكلية زيوريخ المهنية (بوليتكنيك) الشهيرة ،والمعروفة آنذاك بالاسم المختصر ETH . . . وقد راق لالبرت نظام التعليم الديمقراطي السويسري الا انه لم يفد منه كثيرا فقد آثر الغوص في أمهات المراجع العلمية على حضور المحاضرات . فاضطر للاعتماد على رؤوس الاقلام التي سجلها احد زملائه ، مارسيل جروسمان ، لتلك المحاضرات . .

وتخرج البرت سنة ١٩٠٠ ليجد أبواب الرزق مقفلة في وجهه . . فقد سعى الى التدريس في الجامعات بلا طائل ، واضطر لاعطاء دروس خاصة هنا وهناك حتى تم تعيينه في دائرة البراءات وتسجيل الاختراعات سنة ١٩٠٢ وذلك بمساعدة نفس الزميل الذي كان ساعده في الدراسة . . مارسيل جروسمان . وكان البرت قد حصل على الجنسية السويسرية قبل حصوله على تلك الوظيفة بعام .

وجاءت سنة ١٩٠٥ واذا بعبقرية اينشتين تتفجر على حين غرة ، وكأنها البرق الخاطف الذي ملأ الدنيا بضيائه في لحظات معدودة .

فقد نشرت احدى المجلات العلمية الرصينة في تلك السنة عددا من الأبحاث الجادة الخطيرة التي أخذت علماء ذلك العصر على حين غرة،وقد تناول اينشتين في احدها نظرية النسبية،وركز في بحث آخر على معادلته الشهيرة ($E=mc^2$) معادلة الطاقة بالكتلة . ومعادلته هذه كانت ومازالت القاعدة الأساسية للتفجيرات الذرية والنووية ، وفتحت تلك الأبحاث لاينشتين أبواب الجامعات على مصراعيها ووثقت عرى الصداقة بينه وبين كبار علماء تلك الأيام .

وبدأ اينشتين عهده الجديد بالتدريس في جامعة زيوريخ ثم في جامعة براغ ، ثم أصبح مديرا لمعهد القيصر فيلهلم للفيزيا ، التابع للأكاديمية البروسية في برلين ، وكانت تحتل القمة بين الجامعات آنئذ . كان ذلك سنة ١٩١٤ أيام الحرب العالمية الأولى ، ولم تحل ظروف الحرب بينه وبين المضي في أبحاثه الخاصة بنظريته النسبية العامة التي ما لبثت أن استكملها في غضون سنتين . أما دراسة انحراف اشعة ضوء الشمس بتأثير الجاذبية - وهي الدراسة التي حالت الحرب بين اينشتين وبين اجرائها - فقد اجراها الانكليز سنة ١٩١٩ ، وثبتت صحة نظريات اينشتين في هذا الصدد ثبوتا أكسبه المزيد من الشهرة وذيوع الصيت .

ولكن اينشتين كان من دعاة السلام ولا يقر الحرب والقتال ، ثم انه يهودي وان لم يكن متعصبا ولا متزمتا . لا عجب اذن ان بدأ يشعر بالمضايقات التي أخذت تزداد مع الايام ، وخصوصا بعد ظهور طلائع الحركة النازية في العشرينيات . ولم يغير في ذلك حصوله على جائزة نوبل في الفيزياء (سنة ١٩٢١) ، ولا كثرة سفراته التي شملت فيما شملت الشرق الاقصى وجنوب شرق آسيا وفلسطين فضلا عن بريطانيا وبلجيكا وامريكا .

وفي سنة ١٩٣٠ هاجر اينشتين الى الولايات المتحدة واستقر فيها حتى وفاته سنة ١٩٥٥ . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

السمك مصاب بالسرطان

من المعروف أن مياه الانهار والبحيرات ملوثة في الولايات المتحدة الامريكية ، ويعزى تلوثها هذا الى آلاف الاطنان من النفايات الكيماوية والصناعية التى كانت تلقى فيها منذ ظهور المصانع وحتى سنة ١٩٧٠ ، حين سُنت القوانين واتخذت الاجراءات وتم بالفعل حظر إلقاء تلك النفايات في تلك المياه ، واطمأن الامريكيون وظنوا ان بحيراتهم وأنهارهم باتت في مأمن من تلك المواد السامة ، ولم يخطر لهم ببال أن أثرها يمكن أن يستمر في تلك المياه حتى يظهر في أواسط الثمانينيات ، ويظهر على نحو بشع مفزع . . .

فقد اكتشف العلماء مؤخرا ان الاسماك في تلك الانهار والبحيرات مصابة بأورام سرطانية مختلفة . . وتحققوا بالتجارب العلمية التى أجروها من أن أكثر الاسمـاك تضـررا كـانت أسمـاك نهر دواميش في واشنطن ونهرى هوسون وبوفالو في نيويورك ونهر بلاك في أوهـايو . . فضـلا عن بحيرة تـورتش في شمال ميشجان . وتحققوا أيضا من أن النفايات الصناعية التى كانت تلقى في الماضى في تلك الانهار والبحيرات والتى توقف القاؤها اعتبارا من عـام ١٩٧٠ ، هي السبب المباشر لاصابة السمك بالسرطان . . ومعنى هذا أن أذى التلوث قد لا يظهر على الفور . . . وقد تمضي عشرات السنين دون أن يظهر ولكنه سيظهر لا محالة ، إن عاجلا أو آجلا . . .



* السمك المصاب بالسرطان والمياه الملوثة التى اكتشف فيها . .

وامتنع الامريكيون بطبيعة الحال عن أكل تلك الاسماك المتورمة . . ولكن امتناعهم هذا لم يقهم شر الاصابة بالسرطان . . فقد دلت الفحوص الدقيقة التى اجريت على نطاق واسع ان سرطان الجلد والجهاز الهضمى منتشر بين سكان منطقتين من المناطق الموبوءة الخمس التى ذكرنا ، وان الوفيات زادت بنسبة ملحوظة بين سكان تلك المناطق كلها . . ذلك ان لمس تلك المياه ـ مجرد لمسها باليد ـ يمكن أن يسبب للمرء الاصابة بأحد الاورام الخبيثة . . اما الشرب من تلك المياه فكفيل بإحداث تلك الاصابات بنسبة تزيد على ٦٠٪ . . لا عجب إذن أن حظرت السلطات المعنية السباحة في أكثر تلك المياه . . وحظرت قبل ذلك الشرب منها حظرا تاما .

وتجدر الاشارة الى أن الاذى الذى يترتب على أكل تلك الاسماك المصابة أخطر من كل ما ذكرنا . . فهو يعادل الاذى المتراكم بسبب شرب تلك المياه الملوثة على مدى ألف عام . . □

البلدة الشمسية الاولى

بلدة « سولجرز جروف » بلدة أمريكية صغيرة تقع في ولايةوسكونسن ، قرب الحدود الكندية وضمن حزام الثلوج . . كانت تعانى من الصقيع والبرد القارص في معظم أيام السنة ، وتعانى أيضا من الامطار والسيول والفيضانات التى انقضت عليها ودمرتها بين حين وحين . .

ونذكر من تلك الفيضانات على سبيل المثال فيضانات السنوات التالية :

١٩٠٧	١٩١٢	١٩١٧
١٩٣٥	١٩٥١	١٩٧٨

ونذكر أيضا أن الأمطار هطلت فيها بمقدار ٨ بوصات خلال يومين فقط وذلك مثيل فيضان ١٩٧٨ ، لا عجب اذن أن فاضت مياه نهر كيكابو القريب من المدينة . . فاغرقتها ودمرت أسواقها وحطمت الكثير من منازلها . .

ووضعت الحكومة الاتحادية الخطط لانشاء سد كبير قدرت تكاليفه بحوالى ٣٥٠٠ مليون دولار . ولكنها ما لبثت ان تراجعت وأحجمت عن تنفيذ ذلك المشروع . . على أن المرارة وخيبة الأمل التى شعر بها أهل البلدة لم تغلبهم على أمرهم . . بل إنها أثارت



● هذه هي البلدة الشمسية الاولى في أمريكا . . لاحظ اللافتة التى علقها أهل البلدة ، ولاحظ ما كتبوه عليها . .



* القطع المعدنية التى ملأوا بها الفراغ بين السقوف والسطوح . .

همتهم وشحذت عزيمتهم ودفعتهم الى أخذ زمام المبادرة وتحمل المسؤولية . . ووضع الخطة لانقاذ بلدتهم . .

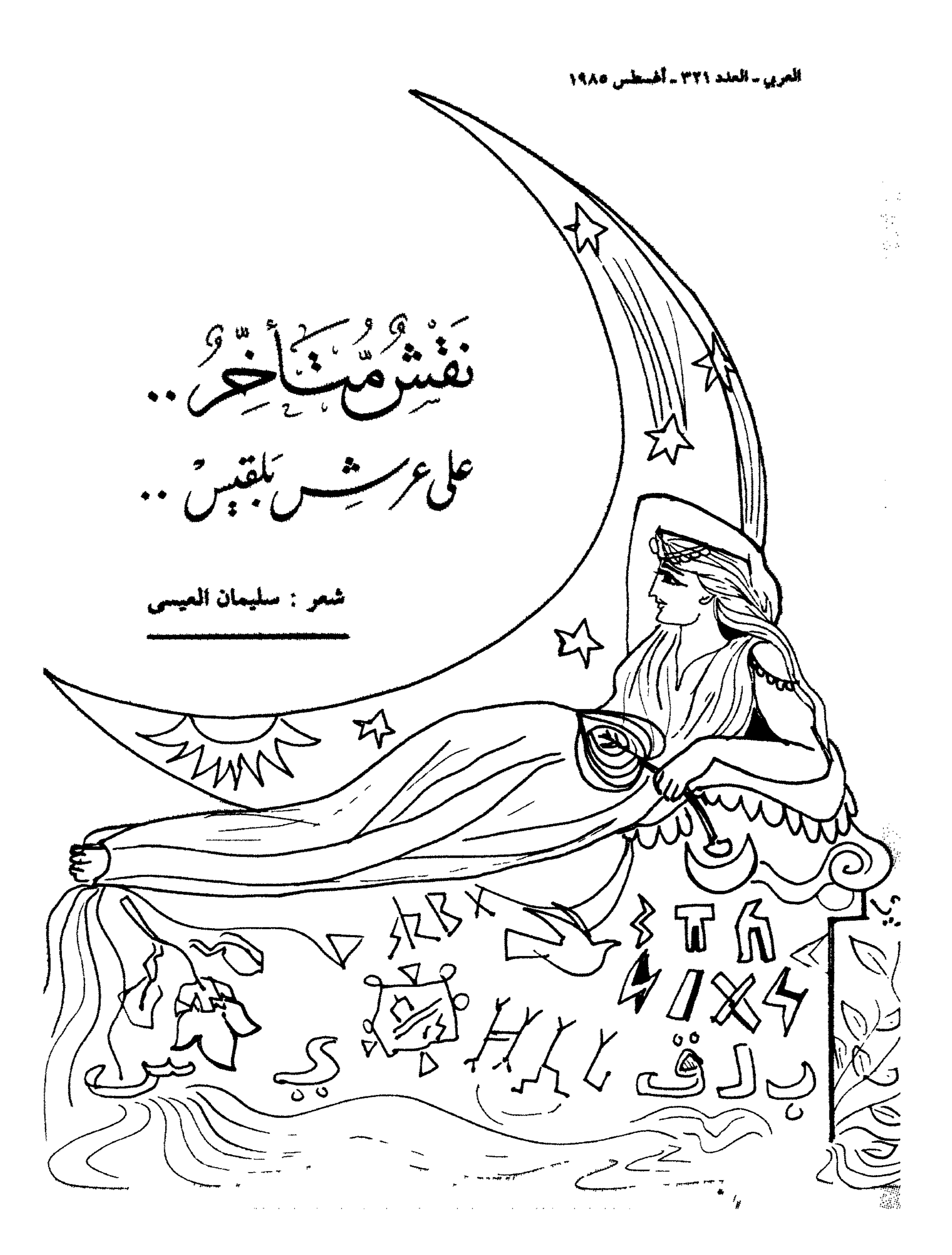
ولم تكن تلك الخطة أقل من نقل أسواق المدينة التجارية برمتها من موقعها المنخفض السابق الى موقع آخر مرتفع اعلى من أن تصله مياه الفيضان . . وقد باشروا تنفيذ ذلك المشروع سنة ١٩٧٩ وأكملوه سنة ١٩٨٣ ولم تزد تكاليفه عن ٦٫٥ مليون دولار . . . يضاف الى ذلك تكاليف إعادة بناء المنازل في مواقع جديدة آمنة وقد تحملها الاهالى ، كل بمقدار ما يخصه وهكذا نجح أهل بلدة (سولجزر جروف) في قهر الفيضانات التى طالما قهرتهم وشردتهم . . . ولكنهم حققوا نصرا آخر على عدو عنيد آخر هو البرد والصقيع . فطقس البلدة بارد جدا ، وتهبط درجة الحرارة فيها في أثناء فصل البرد الى ٣٥ ـ ٤٠ درجة فهرنهيت تحت الصفر ، في كثير من الاحيان ، وقد ترتفع احيانا الى حدها الاقصى ٨ درجات فهرنهيت . . ومعنى هذا أن تكاليف التدفئة كانت باهظة جدا وقد بلغت حوالى (١٢٠٠٠) دولار في السنة في احد المحلات العادية لبيع قطع الغيار . . وتمنى أهل البلدة [illegible] يحجب عنهم أشعة [illegible] وذلك في فصل الصيف بالذات . . فقد كثر الحديث عن الطاقة الشمسية في السنوات الاخيرة وشعروا بالمرارة لاعتقادهم بأن جو بلدتهم يحرمهم الانتفاع بتلك الطاقة وهي طاقة رخيصة في المدى البعيد . .

ولكنهم ما لبثوا أن أعادوا النظر في المشكلة فاهتدوا إلى الوسائل الكفيلة بتدفئة بيوتهم ومحلاتهم التجارية بالطاقة الشمسية بالرغم من قلة ما تسمح لهم به الغيوم من أشعة الشمس . . وهكذا قرروا ان تكون محلاتهم ومنازلهم الجديدة ذات مناعة ضد البرد . . وتنعم بالدفء الطبيعى . . دفء الشمس . .

وعمدوا الى اقامة المجمعات الشمسية على سطوح منازلهم ومحلاتهم . . وجعلوها منحنية بزاوية ٣٠ درجة ، ولا جديد في هذا كما لا يخفى ولكنهم عمدوا أيضا الى العزل المضاعف فجعلوا السطوح والجدران في منازلهم ومحلاتهم بسمك بالغ ٢٤ بوصة و ١٢ بوصة على التوالى . . وحشوا تلك السطوح والجدران بالفايبرجلاس . . ثم جعلوا فراغا بين السطوح والسقوف وملأوا ذلك الفراغ بشتى المنتجات الحديدية وهي أقدر من غيرها على الاحتفاظ بالحرارة . .

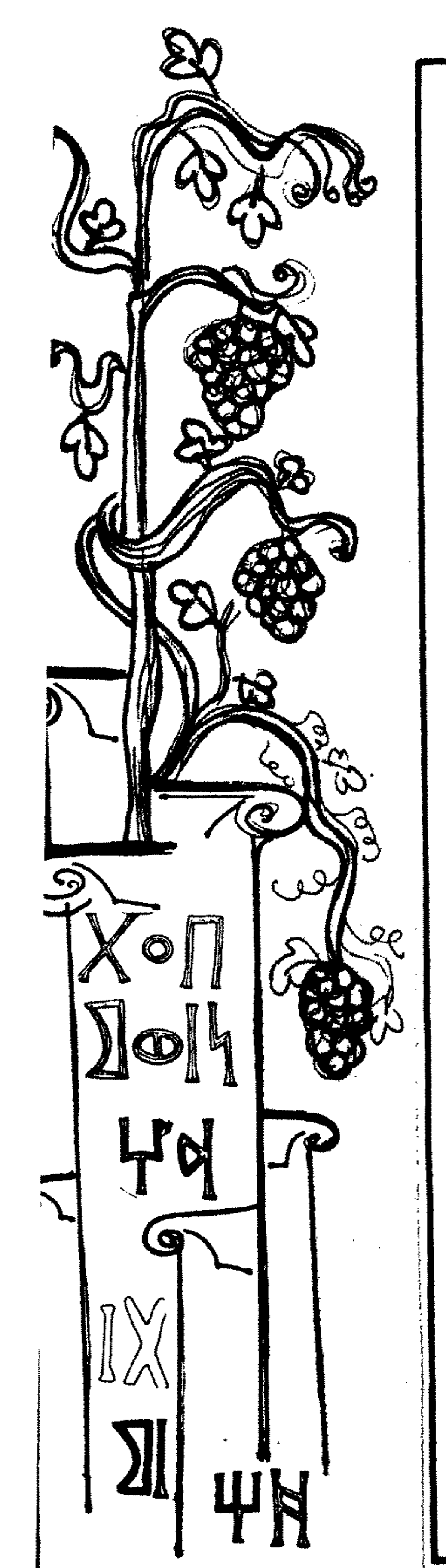
وما أسرع ما ظهرت النتائج المدهشة . . فقد ارتفعت درجة الحرارة في شتى محلات البلدة ومنازلها وأصبحت لا تقل عن ٦٥ درجة فهرنهيت في أى وقت من أوقات السنة . . وارتفعت الحرارة في الفراغ القائم بين السقوف والسطوح حتى بلغت ١٦٠ [illegible] ويعزى [illegible] القطع الحديدية التى يتركونها في ذلك الفراغ . .

وهكذا هبطت تكاليف التدفئة هبوطا كبيرا . . وأصبحت أقل من ١٠٠٠ دولار سنويا في المحل التجارى الذى بلغت تكاليف تدفئته في الماضى ١٢٠٠٠ دولار في السنة . □



نقش متأخر..
على عرش بلقيس..

شعر : سليمان العيسى



غازِلْ بعينيكَ السماءَ . .   وغُصْ بعيداً في الرمالْ
يا عَرْشَهَا المُتألِّقَ ، المَغْرُوزَ   في كَبِدِ المُحَالْ

•••

أنا عندَ جِذْعِكِ نبضةٌ   شَرَدَتْ كَسَافِيَةِ الرياحِ
أرنو . . وأشْرَبُ طَيْفَها   الأزليَّ . . أكْوابي جِراحي

•••

بلقيسُ . . يا عينانِ سَوْ   داوانِ . . تَخْتَرِقَانِ حُلْمي !
أحْلى وأنبَلُ من كُرو   مِ الشمسِ أعْصِرُها بوهمي

•••

يا بِنْتَ مَهْدِ الخالدين . .   يُؤرِّقونَ الدَّهْرَ صَمْتَا
تَنْهارُ أعْمِدَةُ الزمانِ . .   ويُنْطِقون الأرْضَ مَوْتَى

•••

يا أجْمَلَ المِلكاتِ تَخْـ   ـضَرُ الصَّحارى في يَدَيْها !
ويذوبُ قَلْبُ الليلِ شعـ   ـراً ، وَهْو يَلْثِم راحتَيْها

•••

وتُشِعُّ . . حتى يستظِلَّ بِوَهْجِـ   ـها العربيَّ تاجْ
وعلى ضفائرِ مجدِها   مُتشامِخاً يعلو « سِياجْ »

•••

أنا عند أعْمِدَةِ الجما   لِ عِنادُ أغْنِيَةٍ ـ نبوءه
جاءَتْ تُلَمْلِمُ من شظا   يا الشمسِ نافِذَةٌ مُضيئَه

•••

يا وَرْدَةَ الصحراءِ . . يَيْـ   ـبَسُ كلُّ شيءٍ في دِمانا
هاتي سنا عينَيْكِ يـ   ـا أمّاه . . واخترقي دُجَانا

•••

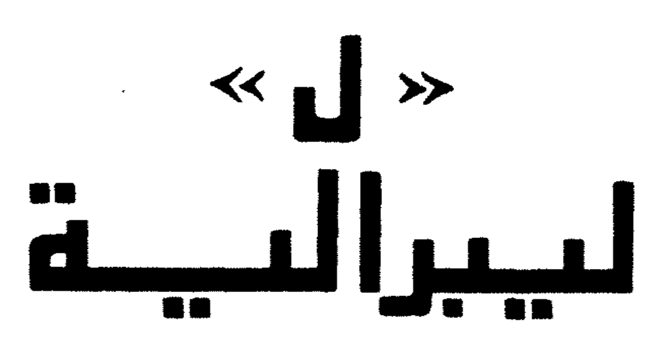
أنا عند عَرْشِكِ آهةٌ   تَعِبَتْ وما بَرِحَتْ تَقُولْ
هيهات . . يا وَطَنَ الضياءِ   البِكْرِ . . يَمْحَقُكَ الأفُولْ !

•••

غازِلْ بعينَيْكَ السماءَ   وشُكَّ رُمْحَكَ في الرمالْ
يا طَيْفَها المُتألِّقَ الآتي . .   على فَرَسِ المُحَالْ !

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي



« ل »
ليبرالية

يطلق مصطلح ليبرالية على التيار الفكري الذي يؤمن ويعتقد بالحرية الفردية . وذلك في مجالات الحياة المختلفة من اقتصاد وسياسة ، ويعود أصل المصطلح الى اشتقاق لاتيني لكلمة بنفس المنطوق ، وكانت تطلق على المهن الحرة التي لا تخضع لسلطة منظمة بين العميل أو الموكِّل والوكيل . ورغم أن التوسع في استخدام المصطلح كمرادف لمعنى التحررية قد ظهر مع بداية مرحلة الرأسمالية ، ونمو نفوذ رجال الصناعة ، الا أن المصطلح بمعنى التحررية أيضا قد وصف به أشخاص ، ووسمت به مراحل سابقة على هذا التاريخ ، فقد وصف القيصر الروسى الكسندر (١٨١٦) بها ، كما أطلقت الليبرالية بمعنى التحررية على الكاثولوكية الليبرالية في أوروبا (١٩٠١) ، واطلقت أيضا على الأمبراطورية الفرنسية الثانية (١٨٥٩ ـ ١٨٦٩) ، كما يطلق الوصف على حزب الأحرار البريطاني .

وتتخلص دعاوى التحرر هذه في مفهوم يرتكز على ثلاثة محاور هي :

١ ـ ليس للدولة أي حق في التدخل للحد من حرية الأفراد ، ويزيد الرأسماليون ، في ذلك بأنهم يعرِّفون الحكومة النموذجية بأنها هي تلك الحكومة التي لا تتدخل في الاقتصاد وادارته مطلقا ، وفقا لمضمون « دعه يعمل ، دعه يمر » .

٢ ـ حيث ان الفرد هو العنصر الأساسي في الاقتصاد ، فانه لا بد من توافر أقصى حد للحرية الفردية ، وعلى الدولة هنا أن تكون حارسة لهذه الحريات وضمانها .

٣ ـ يؤمن أصحاب الاتجاه الليبرالي بضرورة المنافسة بين الاقتصاديين ، وذلك لضمان التوصل الى مستوى التوازن الطبيعي في النظام الاقتصادي .

وقد توصلت الليبرالية الى هذا المفهوم عبر اكتشافات وانقلابات فكرية ، لم تكن منفصلة عن التغير الاقتصادي والاجتماعي الحادث في المجتمع الأوروبي في أوائل القرن التاسع عشر ، ولعل أفضل

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



هارولد لاسكي

تحليل لنشأة وظهور الليبرالية هو ما قدمه هارولد لاسكي (١٨٩٣ ـ ١٩٥٠) ، الذي يعد من أهم المفكرين الاشتراكيين البريطانيين ، في كتابه « نشأة الليبرالية الأوروبية » . فيرى لاسكي أن ظهور الطبقة المتوسطة كطبقة جديدة قد جاء ليهدم كل الحواجز التي كانت تحدد الامتياز بناء على المركز الاجتماعي ،وكانت ـ أي الحواجز السابقة ـ تربط بين فكرة التمتع بالحقوق وحيازة الأرض ، الى أن جاءت الثورة الصناعية والتغير الاجتماعي والسياسي الذي صاحبها ، فأحدث تغيرا أساسيا في العلاقات القانونية ، فسادت نظرية العقد الاجتماعي بدلا من المركز الاجتماعي ، وبالتالي تلاشت أفكار ونظريات سادت أوروبا لفترة طويلة ، مثل نظرية الحق الالهى وأن الحاكم ظل الله في الأرض . . الخ .

وبعد أن كانت هناك طبقة اجتماعية تملك وتحكم وتستمد سلطتها ومركزها من ملكية الأرض ومن عليها . . ظهرت طبقة اجتماعية جديدة تستمد سلطتها ومركزها من ملكية ثروة سائلة أو مستقرة ، فكان من أعضاء هذه الطبقة الجديدة التاجر وصاحب المصنع ورجال المال والبنوك . . الخ . كانت هذه التغيرات تتم في عصر يتميز بالانتقال النوعي للاكتشافات والعلوم ، فحل العلم مكان العقيدة الدينية كعنصر في تشكيل افكار الناس ، وتلاشى دور رجل الكنيسة الذي كان يبيع للناس الجنة مقابل صمتهم واستسلامهم في الدنيا . كان هذا المناخ كفيلا بأن يولد ظروفاً اجتماعية جديدة ، تكونت على أساسها فلسفة جديدة ، لتهيىء تبريرا عقليا للعالم الجديد الذي تبشر به هذه المتغيرات .

وعلى مستوى الوطن العربي فقد انتشرت وشاعت الأفكار الليبرالية ، وحاولت تيارات مختلفة أن تؤكد سيادة العلم والعقل ، الا أن خصوصية التركيب الاجتماعي والتاريخي للوطن العربي حالت دون ازدهار الليبرالية ، وبالاضافة الى أن الوطن العربي لم يشهد هذا الانتقال الهائل،علميا وصناعيا ، الذي كان كفيلا بأن يغير التركيبة الاجتماعية والفكرية له . □



هكذا تشكلت القارات والمحيطات

• ماذا وراء مولد المحيط الجديد .. في جيبوتي ؟

بقلم : الدكتور فضل ايوبي

□□ ماذا يجري في جيبوتي ؟ وماهو سر الصدع الصخري العملاق الذي يعتبره العلماء مقدمة لميلاد محيط جديد أعرض من المحيط الاطلسي ؟ والذي حول جيبوتي الى نقطة استقطاب عالمية ؟ وما هي حقيقة المعجزة المعدنية التي تختبىء وراء هذا « التانجو » الجيولوجي الذي يرسم صورة تشكل القارات والمحيطات ؟ حول هذا الموضوع يتحدث هذا المقال . . .

منذ عقدين من الزمان وعلماء الجغرافيا الطبيعية ومعهم باحثو علم الجيولوجيا مفتونون بجيبوتي ، هذا القطر العربي الصغير ، الذي يحتل رقعة متواضعة محصورة مابين الصومال واثيوبيا ، الفقير في كل شيء الا موقعه الاستراتيجي عند مخرج البحر الأحمر . وسر هذا الافتتان هو بداية ولادة محيط جديد سيكون له عرض المحيط الاطلسي خلال مدة قدرت بـ (٢٠٠) مليون سنة ، وذلك بسبب الصدع الممتد من خليج « تجورا » المطل على خليج عدن ، حتى أواسط الهضاب الصخرية والصحاري الحصوية داخل القارة الافريقية والمسماة « جبة الخراب » .

ان جيبوتي بما تملكه من ظواهر طبيعية هامة مثل : الحفرة الانهدامية المسماة « بمنخفض العسل » وانتشار البحيرات المالحة ، ووجود عدد كبير من ينابيع المياه الحارة وولادة العديد من البراكين التي كان آخرها بركان الاردوكوبا الذي ولد في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ وبقيت الحمم البركانية تتدفق لمدة اسبوع كامل ، اضافة الى بحيرة عسل نفسها التي تتغذى من مياه البحر بواسطة صدوع ضمنية ، قد اصبحت قبلة البعثات العلمية ، وكل أولئك الذين يريدون فهم كيفية تشكل القارات والمحيطات ، لأن هذه الظواهر ليست الا دلائل ملموسة على سبق انفصال كتلتين هما : الكتلة الآسيوية والكتلة الافريقية ، وعن تشكل قشرة محيطية مستقبلية ، لذلك اقيمت المحطات الزلزالية والمراصد الجيوفيزيائية في منطقة « عرتا » غير البعيدة عن مدينة جيبوتي .

التانجو الجيولوجي المكشوف

والمعروف ان العلوم الحديثة تنطلق من النظرية الجيولوجية القائلة بأن الكرة الارضية هي عبارة عن مجموعة فسيفسائية من الكتل الضخمة المتواصلة الحركة الواحدة منها بالنسبة لباقي الكتل وهكذا ، والواقع أن هذا « التانجو » الجيولوجي يحدث في قعر المحيطات على مستوى النتوءات الصخرية القعرية الطولية التي تخترق المحيطات من الشمال الى الجنوب .. ومن هنا تبرز الاهمية التاريخية المميزة لما يحدث حاليا عند خليج تاجورا في جيبوتي ، فلأول مرة في تاريخ الكون سيكون متاحا للانسان ان يشاهد عينيا هذا التكون المحيطي الجيولوجي في جميع مراحله لأنه لأول مرة يحدث على مستوى سطح اليابسة وليس في أعماق البحار .

انه مشهد اسطوري فعلا ، اقل ما يقال فيه انه يشبه نهاية العالم وقيام القيامة : براكين هنا وهناك ، بحيرات مالحة ، مياه جوفية ساخنة ، أوتاد صخرية عملاقة متناثرة في مدى الصحراء الجيبوتية الصخرية وكأنها شواهد قبور لكهنة الازمنة البائدة أو شواهد عيان على حضارة كانت وحضارة اخرى في طور أن تكون .

والى كل ذلك ، فان ما سينجم عن هذا الصدع الجيبوتي لن يقتصر على ولادة المحيط الجديد فحسب ، بل سيتعداه الى حدث تاريخي كوني آخر يتمثل بانه سوف يكون مؤشرا محسوسا على بداية الانفصال مابين كتلتي آسيا وافريقيا الملتحمتين منذ أقدم العصور .

بالطبع ، ان العلماء والخبراء الجيولوجيين الذين توافدوا الى منطقة الصدع الجيبوتي هذا بالآلاف مصحوبين بأحدث الأجهزة العلمية وأكثرها تعقيدا ، لن يجلسوا مكتوفي الأيدي بانتظار لحظة الولادة التي يعرفون جيدا انها لن تحدث لا في جيلهم ولا في جيل أحفاد أحفاد أحفادهم .. ذلك ان وجود هذا الصدع يتيح أمامهم فرصا علمية للقيام بدراسات وتجارب جيولوجية من جميع المستويات وعلى قدر كبير من الأهمية .

من ذلك مثلا انهم توصلوا الى اكتشاف ان « بحيرة العسل » الواقعة على مستوى ١٥٠ مترا تحت سطح البحر،والمعتبرة بالتالي النقطة الاكثر انخفاضا في القارة الافريقية ، محاطة بسوار عريض جدا وهائل من مناجم الملح الصخري والكلس الشديد البياض .. ولا تخفى الاهمية الاقتصادية القصوى الناجمة عن اكتشاف هذه المناجم الطبيعية ولا ما يمكن أن تحدثه من انعكاسات جذرية في صلب حياة جيبوتي والمنطقة المحيطة بها .

والى جانب مناجم بحيرة العسل ، فقد اكتشف الجيولوجيون الغربيون ، الذين جاءوا اصلا لمراقبة الصدع الصخري ، ان قعر « بحيرة الاب » غني جدا

باحتياطي هائل من الملح الصخري المتراكم منذ ملايين السنين ، بالاضافة الى حقل طبيعي ضخم من النتوءات الصخرية القعرية من نوع حجر الترافيرتان الايطالي المعروف عالميا بجودته وندرته وارتفاع ثمنه . . والى كل ذلك ، ففي قعر بحيرة الاب الجيبوتية ينتشر العديد من ينابيع المياه الجوفية الساخنة التي تبلغ درجة حرارتها تسعا وتسعين درجة .

ولعل كل ذلك يدعو الى أن نربط بين هذا الحدث وبين الاساس الذي ارتكز عليه الأمر كله . . وهو كيف تشكلت المحيطات والقارات .

ان موضوع تشكل القارات والمحيطات يعتبر من الموضوعات المعقدة والمثيرة التي كانت ومازالت موضع جدل ونقاش طويلين ، غير انه في الاونة الاخيرة اتخذ طابعا متزايد الاهمية ، بسبب النتائج التي توصلت اليها علوم فيزياء الارض ، والجيولوجيا ، والبحار والمحيطات ، بفضل ما توفر لها من طرائق مثيرة وجديدة في البحث العلمي من جهة ، ومن تقنيات عالية من جهة اخرى .

انسياح القارات :

ان مفهوم انسياح القارات هو عبارة عن مجموعة آراء تقدم بها العالم الالماني الفريد فيجنر عام ١٩١٢ في مؤتمر علمي لجمعية الجغرافيين الألمان في مدينة فرانكفورت ، وقد كانت هذه الأراء عبارة عن معلومات مجزأة لا يمكن مقارنتها بما نملكه اليوم من معلومات عن تحرك القارات . ومع ذلك فان أفكاره قد أوضحت الجوانب الرئيسية لشيء ما يسمح لنا بشرح بنية الكرة الأرضية ، أي ليس فقط حركة القارات وتغير مواقع القطبين ، ولكن أيضا التبدلات المناخية واختلاف توزع النباتات والحيوانات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة . واذا كانت بعض أفكار فيجنر غير دقيقة ، فان النقاط الأساسة كانت مؤكدة بشكل كلي ، وذلك لأنها تنبىء بالمفهوم الحديث لانسياح القارات ، وتشكل أسسه الحقيقية .

ولا يعرف بالضبط كيف جسمّ فيجنر فكرة انتقال القارات ، ولكن استنادا الى أحد مرافقيه في اثناء رحلة استكشافية الى جزيرة « جرينلند » فان هذه الفكرة وردت له مس خلال ملاحظته تكوّنَ الجبال الجليدية العائمة . غير أن أكثرية الذين عاصروه يعتبرون أن توصله الى فكرة انسياح القارات تم من خلال ملاحظته تكامل الشواطىء الشرقية والغربية للمحيط الأطلسي .

ولم تحل مفاهيم فيجنر محل المفاهيم الأخرى التي تصدت لموضوع تشكل القارات والمحيطات الا في الستينيات من هذا القرن ، وأحدثت تبدلا جذريا فرض نفسه بالبراهين « الجيوفيزيائية والاوقيانوغرافية » الجديدة ، أما ما قبل ذلك فقد كان انسياح القارات مفهوما غامضا ومجهولا ينظر اليه باستخفاف ، وكان المدافعون عنه يعاملون بازدراء ، ويعتبرون كمهرجينْ .

والسؤال الآن : هل قامت نتائج أبحاث فيجنر على براهين وحجج متماسكة وصلبة ، أم أنه تنبأ بها وأصبح هذا التنبؤ واقعا صحيحا بقدرة قادر ؟ واذا كان منهجه الفكري مقبولا ، فكيف تفسر المعارضة الضيقة والدائمة لافكاره ؟

للاجابة على هذه التساؤلات يتوجب علينا معرفة فيجنر وعمله ، وموقف معاصريه وأفكارهم .

ولد سنة ١٨٨٠ في برلين ، وحصل من جامعتها على دكتوراه في علم الفلك ، ولم يكن لديه أي شهادة في علم الجيولوجيا ، كان يحلم دائما بشيئين هما : اكتشاف جزيرة جرينلند ، والتعمق في علم الأرصاد الجوية الذي كان يعتبر آنذاك علما حديث النشأة نسبيا . ولكي يعد نفسه تماما للبعثات العلمية المتوجهة الى القطب الشمالي خصص قسما كبير من وقته لتعلم السير والتزلج على الجليد . وبالنسبة للأرصاد الجوية تعلم استعمال البالونات والمناطيد وذلك لمراقبة الظواهر المناخية . ولقد ساعده هذا التكوين على القيام بثلاث رحلات الى جرينلند ، كانت نتيجتها وضع آراء وملاحظات جليدية ومناخية في عدة مؤلفات .

وفي عام ١٩٠٧ عمل استاذا مساعدا للرصد الجوي في جامعة ماربورج ، وفي سنة ١٩١٠ نشر دراسة هامة عن الديناميكية الحرارية للجو . وفي سنة ١٩١٣ تزوج بابنة عالم الأرصاد الجوية الشهير كوين . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التحق بوالد زوجته في دائرة الأبحاث الجوية للمرصد البحري في

هامبورغ ، وفي سنة ١٩٢٤ قبل كرسي الاستاذية للأرصاد الجوية والجيوفيزيائية في جامعة جراز في النمسا ، حيث وجد زملاء أكثر انفتاحا وقبولا لآرائه ، وتوفي فيجنر سنة ١٩٣٠ اثر أزمة قلبية .

وعلى الرغم من أنه قد بذل جهودا للوصول الى فرضية انسياح القارات ، الا أنه لم يعلق عليها أهمية كبيرة ، علما بأنها تشكل إرثه الاساسي .

ان الأفكار التي كانت سائدة في سنة ١٩٢٤ حول بنية وتطور الكرة الأرضية ، لم تستطع قبول فكرة انسياح القارات ، وذلك لان الجيولوجيين ـ الجيوفيزيائيين كانوا يعتقدون بأن الأرض في منشئها عبارة عن كتلة مائعة تبردت وهي تفقد حرارتها باستمرار . وخلال عملية التبرد كانت العناصر الثقيلة كالحديد تسقط نحو النواة ، بينما تصعد العناصر الأكثر خفة كالكالسيوم والألومنيوم الى السطح ، لتشكل القشرة الأرضية الصلبة التي بقيت ثابتة الحجم بسبب تبردها ، أما باطن الأرض فبقي حارا يفقد حرارته بالتدريج ، مما أدى الى تقلصه ، وقد نجم عن وجود قشرة صلبة ثابتة وباطن متقلص ، نشوء فراغ ترفضه قوة الجاذبية مما تسبب في خلق قوى ضاغطة على السطح ، أدت الى ولادة طيات وفق الألية التي تشكل التجاعيد على سطح تفاحة قديمة . ولكن على مستوى الكرة الأرضية فان الضغط الناجم عن التقلص قد أحدث هبوطا في بعض المناطق مما أدى الى تشكيل أحواض البحار والمحيطات ، وبروزا في مناطق أخرى سبب تشكل القارات ، وقد قبل آنذاك بأن القشرة الأرضية تستطيع التحرك عموديا لكنها لا تستطيع الحركة أفقيا ، كما علل تشابه وتطابق العديد من الحيوانات والنباتات المستحاثه التي عثر عليها في قارات مختلفة ومنفصلة عن بعضها بوجود (قارات ـ جسور) سابقة كانت بمثابة معابر تربط بين القارات المختلفة ، الا أنها انهارت فيما بعد وغمرتها مياه المحيطات . أما تطابق الرسوبيات فقد فسر بطغيان البحر المتتابع وارتداده مرات عديدة . وقد عزى ارتداد البحر الى هبوط أحواض المحيطات ، وطغيانه الى الامتلاء الجزئي لقيعان تلك المحيطات بالرسوبيات الناجمة عن عوامل « الحت » في القارات .

وعندما تقدم فيجنر بفرضيته القائلة بانسياح القارات ، ووجهت بمقاومة عنيفة ، ذلك أنها جاءت لتبدل المفاهيم التقليدية . فحسب الاطروحة الجديدة فان الحركات العمودية للقشرة الأرضية ستكون محكومة بمبدأ « تساوي الثقالة » أي توازن القشرة الأرضية الناتج عن اختلاف كثافة أجزائها ، وأن تماسك العناصر المختلفة لهذه القشرة الأرضية يتم عن طريق توازن « هيدروديناميكي » خاص ، فالقارات الأقل كثافة من الطبقة التحتية ستطفو فوق قاع المحيط .

كما أن فكرة النواة الداخلية المتقلصة لم ترق لفيجنر ، فتصدى لها وبين أخطاءها وتناقضاتها وعجزها عن تعليل الكثير من خصائص سطح الأرض .



الفريد فيجنر عالم الأرصاد الجوية الذي اشترك في ثلاث رحلات استكشافية الى جرينلند ، والذي لم تكن لديه أي شهادة في علم الجيولوجيا أو الجيوفيزياء ، ورغم ذلك حقق في هذين المجالين أهم آثاره العلمية .
أنجزت له هذه اللوحة سنة ١٩٢٠ من قبل أحد الرسامين .

بين السطح والقاع :

وعلى الرغم من أن تكاملية الشواطىء الأطلسية لافريقيا وأمريكا الجنوبية كانت واضحة ، الا أن فيجنر لجأ من أجل توضيح هذه التكاملية الى اتباع طرف الجرف القاري الذي يشكل حدا أكثر تعبيرا من خط الساحل (وهذا ما تتبعه الطرق الحديثة اليوم) أما توزع السلاسل الجبلية المحصورة بشكل رئيسي على شكل أحزمة ضيقة ومقوسة ، فهو يشكل شذوذا آخر بالنسبة لفيجنر . فهو يعتقد أنه اذا كانت هذه الجبال قد تكونت نتيجة لتقلص الكرة الأرضية فانها يجب أن تتوزع على نمط واحد على سطح هذه الكرة ، كما هو الحال بالنسبة للتجاعيد على سطح التفاحة . وقد بين تناقضا آخر بالاستناد الى تحليل احصائي لطبغرافية الكرة ، عندما أظهرت جداول أعدت لارتفاعات مختلفة ، وأعماق محيطية متنوعة ، أن القسم الأكبر من القشرة الأرضية يوجد على مستويين : المستوى الأول يشكل سطح القارات ، والمستوى الثاني يشكل القاع السحيق للبحر . هذا النورع يؤدي بالتأكيد الى قشرة مكونة من طبقتين ، طبقة عليا مؤلفة من صخور خفيفة كالجرانيت ، وطبقة سفلى تشكلها صخور البازلت والفابرو ، أو من « البيريدولتيت » الذي يشكل قاع المحيط . هذا التقليل أيدته الاختلافات المحلية لثبات الجاذبية الأرضية .

ويعلل فيجنر وجود تشابه في الخصائص الجيولوجية في أطراف القارات على شواطىء الأطلسي الشرقية والغربية بأن القارات كانت فيما مضى ملتصقة ببعضها ، وقد تباعدت بالتدريج خلال الأزمنة الجيولوجية ، وهناك شواهد جيولوجية تدعم هذا الأساس تعتمد على تشابه الكتل الصخرية وتكاملها في كل من افريقيا وأمريكا الجنوبية على طرفي الأطلسي ، بحيث أنه لو قربنا القارتين من بعضهما فان هذه الكتل تندمج مع بعضها بشكل تام . لقد اعتمد فيجنر على مجموعة أخرى من البدهيات ، اذ أنه استنادا الى ملاحظات ابديت في بداية القرن العشرين بدا أن جزيرة جرينلند تتحرك نحو الغرب مبتعدة عن أوروبا بسرعة ممكنة القياس ، هذه الحركة تعطي الدليل الأكيد على انسياح القارات ، وقد بينت القياسات الفلكية آنذاك أن جرينلند تزحف نحو الغرب بسرعة تبلغ ٣٢م في السنة . كما تبين أن خطي طول مدينتي باريس وواشنطن لا يزالان يتباعدان ، أي أن القارة الأمريكية الشمالية لا تزال تزحف نحو الغرب بمقدار ٤م سنويا .

ومن أجل القضاء على هذه التناقضات جميعها ، التي أشار اليها فيجنر بالنسبة للفكر السابق السائد حول الكرة الأرضية ، وتشكل البحار والمحيطات ، تقدم بفرضية جديدة تماما ومتكاملة عن أصل القارات .

قارة واحدة لا قارات :

فحسب رأيه فان القارات لم تكن في البدء ، إلا قارة واحدة ضخمة أسماها « بانجيه » وهي كلمة يونانية تعني الأرض الواحدة ، وقد تصدعت هذه القارة في أواخر الدور الفحمي من الزمن الجيولوجي الأول ، واستمرت في تصدعها الى أن تشكل العالم الحالي بتوزعاته المعروفة عبر العصور والأزمنة الجيولوجية المختلفة ، وقد انساحت كتل « السيال » المتصدعة على « السيما » اللزجة ، وغاصت فيها وارتكزت عليها كالسفينة المنساحة فوق الماء . فاذا استطاعت قارة ما أن تتحرك عموديا من خلال هذا السائل ، فانها تستطيع التحرك أفقيا أيضا ، وذلك بواسطة قوة محركة كافية ، ويعتقد أنه قد برهن على وجود هذه القوة من خلال الضغوط الأفقية على الطبقات المطوية للكتل الجبلية . أما الشكل الهندسي للكرة الأرضية فهو تأكيد آخر للطبيعة المائعة لقسم من هذه الكرة .

وعلل فيجنر انسياح القارات بقوى محركة قادرة على تجعيد القشرة الارضية وتصديعها ، مما يسبب اختلافا كبيرا في مستوى سطح الأرض ، وتغيرا في محور دورانها ، وانتقالا لنقطتي القطبين وانسياحا للقارات

هل هو المد والجزر ؟

بعد ظهور الطبعات الأولى لفرضية فيجنر عارضها مشاهير الجغرافيين الألمان ، وقبل بها بعض الجيوفيزيائيين ، لكنه يمكن القول أنه بعد عام ١٩٢١



ـ خليج عدن

تعليل حركة القارات :

بعض المشاركين تساءلوا : لماذا انثنت وانطوت القارتان الأمريكيتان تحت طرفهما الغربي وشكلت سلسلة « الكورديير » ، اذا كانت القشرة الأرضية تتحرك بحرية على قاع المحيط ؟ ألا توحي قوة الضغط التي نتجت عنها هذه السلاسل بوجود مقاومة هامة من طرف القاع البحري المفترض أنه مائع لزج ؟ اضافة الى ذلك لماذا تمزقت قارة « بانجية » بشدة خلال عشرات الملايين من السنين ، وهي التي بقيت سليمة ومتكاملة خلال القسم الأكبر من تاريخ الكرة الأرضية ؟ وأخيرا لم يكتف المشاركون في هذه الندوة بشكهم في التعليلات والنتائج المطروحة من قبل فيجنر ، بل انهم هاجموا كفاءته ، ومنهجياته ، فهو بالنسبة لهم ليس أكثر من عالم متحيز لم يعرض الا الوقائع التي تؤيد فرضيته ـ وهو في آخر المطاف ليس جيولوجيا ، بل انه دخيل على هذا العلم ، ولا يمكن النظر اليه إلا كهاو . لقد تصاعد العداء بشدة لأفكار فيجنر ، وهاهو أحد المشاركين في الندوة يصرخ « اذا قبلنا فرضية فيجنر فانه يتوجب علينا أن ننسى كل ما تعلمناه منذ سبعين سنة ، ويجب أن يبدأ كل شيء من الصفر » ولقد تجرأ أحد الجيولوجيين الأمريكان على اعلان تعاطفه مع هذه الفرضية فكاد أن يفقد عمله .

لم يحاول فيجنر الدفاع عن أطروحته ضد هذه الانتقادات ، بل فضل ترك المجال لباحثين أكثر شبابا . ولعله من سخرية القدر انه في اللحظات التي ادينت فيها فرضيته بشدة ، دعمت بأعمال كل من : دو توات وهولمز من جامعة ايدمبرج ، حيث استبعد الاثنان بعض الحجج الأكثر ضعفا التي قدمها فيجنر ، وجمعا براهين جديدة على الفرضية ، وطرحا آلية محركة أكثر قبولا . فبالنسبة لهولمز كانت حركة القارات ناجمة عن تيارات حمل حرارية في الغشاء الأرضي . واذا كانت أعمال هذين الباحثين لم ترتفع بمستوى هذه الفرضية الى مستوى النظرية ، الا أنها الغت انتقادات جيفريز ، اضافة الى أنها انطوت على تعليل حديث لحركة القارات .

لم يعد يعترض على فرضيته اي من الجيوفيزيائيين الألمان . ولدى ترجمة هذه الآراء الى لغات أجنبية أخرى لفتت الأنظار في كل من بريطانيا وأمريكا . وفي عام ١٩٢٥ تصلبت المعارضة لهذه الفرضية وذلك لسببين :

أولهما : نشر دراسة لهارولد جيفريز من جامعة كامبردج تحت عنوان ـ الأرض ـ هاجم فيها النقطة الأكثر ضعفا الا وهي طبيعة القوى التي أدت الى تحرك وانتقال القارات . فحسب رأي فيجنر فان انسياح الأمريكتين نحو الغرب كان نتيجة لقوى المد والجزر في القشرة الأرضية ، غير أن جيفريز استطاع التبيان بسهولة بواسطة حسابات بسيطة بأن الأرض كانت جدية المقاومة ، لأي قوة يمكن أن تغيرها أو تشوهها ، حتى ولو بشكل خفيف أو بسيط ، وفي حال عدم وجود مقاومة ، فانه يمكن للسلاسل الجبلية أن تنهار تحت وزنها الذاتي . وسوف يكون قاع المحيطات مسطحا قطعيا ، واذا كانت هذه القوة المحركة قادرة بشكل كاف على تحريك القارات نحو الغرب ، فانها ستكون قادرة أيضا على ايقاف دوران الأرض في أقل من سنة . لم يأخذ جيفريز بعين الاعتبار البراهين التجريبية التي تشكل القاعدة الأساسية للنظرية فلم يرفض تماما هذه الفرضية ، وانما اكتفى باظهاره فقط عدم كفاية القوة المحركة .

ثانيهما : الندوة التي عقدتها جمعية جيولوجي البترول الأمريكية سنة ١٩٢٨ . لقد كانت مناقشات الندوة في مجموعها متفقة على الانتقادات ، إذ أجمع المشاركون على ان عادة تجميع قارات الأطلسي ليس صحيحا ، ولم تضع في الاعتبار الحركة العمودية للقشرة الأرضية ، وانه لا توجد علاقة الى درجة كبيرة بين التشكيلات الصخرية التي توجد على طرفي المحيطات ، وان التشابه لا يستدعي بالضرورة التلاصق في الماضي . وانه من الممكن جدا أن تكون قد هاجرت اليها حيوانات عبر (القارات - الجسور) خلال العصور الجيولوجية القديمة ، وان مستحاثات الزواحف (التيليت)لم تكن بشكل أكيد من اصل جمودي ، وان الزيت في نصف الكرة الشمالي لم يكن قطعيا من أصل مداري . وان حركة جرينلند غير مؤكدة .

تغير موقع القطبين :

على أية حال منذ الستينيات من قرننا الحالي ، وفرضية فيجنر تحتل مصاف النظريات الهامة في شرح وتعليل تشكيل القارات والمحيطات ، وقد ألغت كل ما قبلها ، تدعمها في ذلك أدلة وبراهين علمية أكيدة :

« منها ان الدراسات الجيولوجية تدل على تغير موقع القطبين خلال الماضي الجيولوجي ، مما أدى الى فتح آفاق جديدة أمام دراسة التبدلات الميكانيكية للقشرة الأرضية ، استنادا الى هذه الحقيقة التي بفضلها أيضا أمكن تعليل تغير المناخ والنبات على سطح الأرض في مختلف الأزمنة الجيولوجية . ولقد دلت دراسة الطبقات والمستحاثات على أن القطب الجنوبي كان يقع في جنوب افريقيا قرب حوض الكونغو ، ثم انتقل تدريجيا الى قرب استراليا في الدور الفحمي . أما موقع القطب الشمالي فقد تغير ايضا ، فانتقل من وسط المحيط الهادي الى الشمال الشرقي منه . واستنادا الى انتقال موقع القطبين ، فقد أمكن تعليل اختلاف توزع البر والبحر في الماضي الجيولوجي للأرض ، كما أمكن تعليل وجود نباتات وحيوانات مدارية في مناطق باردة حاليا كالنباتات النخلية ، التي وجدت في ضواحي باريس ، وكالماموث وهو جد الفيل الحالي الذي وجد في سيبيريا ، وأمكن كذلك تعليل وجود المورينات الجمودية المنتشرة في حوض الكونغو بافريقيا ، وهكذا أصبحت فرضية فيجنر نظرية تدعمها براهين عديدة منها :

تقوس ساحل غربي كندا وآلاسكا ، وتوافق تعاريج شواطىء البحر الأحمر الشرقية والغربية ، وكذلك توافق شواطىء الخليج العربي ، وشواطىء خليج غينيا وجنوب غربي افريقيا مع الشواطىء الشرقية والشمالية لأمريكا الجنوبية .

تفسير مقبول :

لقد تفحص فيجنر بعين نافذة نموذج الكرة الأرضية الذي كان مقبولا آنذاك بالاجماع ، فرفضه وبين ضعفه وتناقضه . وكان بنّاء لم يكتف بالنقض ، بل طرح النموذج البديل الذي يختلف بشكل جذري عن الشكل الأول . لقد كان فيجنر مفكرا فذا ، جاءت أفكاره سابقة لأوانها ، فأثارت عليه السخط والاستنكار والمحاربة .

أخيرا . . يقيّم الجغرافي الكبير المرحوم عمر الحكيم فرضية فيجنر فيقول :

« انها تعطي تفسيرا مقبولا خلابا وسهلا للتعقيدات الجغرافية التي تشاهد في أرخبيل اندونيسيا وفي المحيط الهندي والبحر الأحمر ، وتعطي تعليلا مقبولا للحفرة الانهدامية العظيمة التي تضم البحيرات الكبرى في شرق افريقيا . واذا ما تعارضت هذه الفرضية مع الكثير من التفاصيل الجيولوجية الثانوية الضئيلة فان الأمر يتطلب توفيقا مع الفرضية أو تعديلا طفيفا في بعض نواحيها . وعلى الرغم من بعض الأخطاء في الأمور التفصيلية الثانوية فان فرضية فيجنر تفسر بصورة منطقية كثيرا من التعقيدات الجغرافية مدعومة ببراهين قوية : كتفلطح الكرة الأرضية في القطبين ، وتغير المناخ على سطح الأرض خلال الأزمنة الجيولوجية ، وتغير موقع القطبين خلال هذه الأزمنة ، وتعليل توزع القارات والبحار .

وفي كل يوم يظهر تحقيق لهذه الفرضية الجبارة - وتأييد جديد لها ، انها أقوى فرضية طورت علم الجغرافيا في القرن العشرين . □

الساهرون والعيون نائمة

وسائل متطوّرة لكشف الجريمة في الكويت

اعداد : ريم الكيلاني

الجريمة ظاهرة اجتماعية لا بد من دراستها والبحث في أسبابها ، فهي تعكس خللا في المجتمع واضطرابا في سلوك الفرد ، نتيجة لحيثيات وظروف معينة . فكيف تحدث الجريمة ، وما هي الوسائل التي تتبع لكشفها ؟

المادة لا تكذب

في الادارة العامة للادلة الجنائية بدولة الكويت ، حيث المتخصصون في البحث الجنائي والدارسون لهذا العلم المتعدد المجالات ، التقينا بالعميد منصور الابراهيم ، الذي يقسم الادارة الى قسمين ، مركزية (أولى وتضم مسرح الجريمة والطب الشرعي والمختبرات الجنائية ، ومركزية أخرى تشمل ادارة تحقيق واثبات الشخصية ، والاحتفاظ بملفات تضم السوابق والاحكام الصادرة على الأشخاص من قبل الجهات المختصة .

يقول العميد الابراهيم « لقد أصبح العلم البوليسي قائما بذاته ، وعملية الكشف عن الجريمة لم تعد تعتمد على الصدفة والحظ ، بل تحتاج لرسم تخطيطي واضح لمكان الجريمة ، ومعاينة الآثار على أسس علمية ، والتقاط صور فوتوغرافية لمكان الحادث ، وللآثار المختلفة ، وللقتلى ان وجدوا .

فكل مادة قد تضبط في مسرح الجريمة قرينة هامة ، فالمادة لا تكذب ، لا غش فيها ولا فساد ، في حين أننا لا نستطيع الاعتماد على شهادات الشهود ، المادة هي الدليل القاطع والأكيد لدى رجل المعمل الجنائي ، ولدى رجال القضاء على المجرم » .

ونتساءل . . كيف ينجح رجال الشرطة في ايجاد الدلائل القطعية ، وكيف تستطيع المختبرات الجنائية الخروج بالنتيجة التي تعتمد عليها المحكمة في اصدار حكمها ؟

من أجل كل ذلك ، كان لا بد لنا من جولة داخل مبنى الادارة العامة للأدلة الجنائية لمتابعة طريقة سير العمل ، والنظام المتبع في سبيل كسب الوقت لتحديد الجاني والقبض عليه .

في هذا المبنى تتعدد الأقسام والمختبرات ، وان كانت جميعها تتعاون من أجل مكافحة الجريمة ، بهدف تحقيق السلام والأمن لكل مواطن .

أطباء شرعيون وطبيبات شرعيات

حرصت الكويت على مكافحة الجريمة والحد من نزعات الاجرام ، التي تهدد كيان الجماعة ، وحاولت بكل ما تملك من طاقات وامكانيات حماية المجتمع ، وتوفير الأمن والاطمئنان فيه . ومن أهم الأقسام في الادارة العامة للابحاث الجنائية قسم الطب الشرعي . .

فماذا نعني بالطب الشرعي ؟ وما أهميته ؟

يطلق تعبير الطب الشرعي في وصف العمل الذي يقوم به الطبيب المختص بابداء الرأي في النواحي الطبية أمام جهات التحقيق والقضاء ، ويسمى في اللغة الطب القانوني أو العدلي .

ينتقل الطبيب الشرعي الى مكان الجريمة ، مع ضابط مسرح الجريمة لمعاينته ، وأخذ فكرة واضحة عن القضية من حيث وضع الجثة ، وتوزيع الدم والبصمات ، وكل ما قد يوجد من آثار ومخلفات ، وفي حوادث القتل يتم نقل الجثة الى المشرحة لفحصها فحصا كاملا دقيقا ، يبدأ ظاهريا بملاحظة العلامات والكدمات التي يعتقد الطبيب الشرعي أنها قد تكون سببا في الوفاة ، ويدخل ضمن عمل الطبيب الشرعي كذلك الكشف عن جرائم الاعتداءات على الجسم البشري ، سواء تلك التي تؤدي للوفاة أو للاصابة فقط ، الى جانب الاعتداءات الخلقية . فهو يحدد نوع الاصابة الواقعة على المجني عليه ، والآلة التي أحدثتها ، وكيفية حدوث الاصابة ، ومدى مطابقة هذه الكيفية مع ما يقرره الشهود ، أو المتهمون أو المجني عليهم . ومن ثم فان الطبيب الشرعي هو الشخص الوحيد القادر على تأكيد صدق روايات الشهود الملفقة أو تكذيبها مستندا في ذلك على أسس وتقارير علمية .

ومراعاة لظروف الكويت البيئية والاجتماعية والدينية ، تولت مجموعة من الطبيبات الشرعيات عملية فحص الاناث في حالات الاصابة أو الوفاة ،

والى جانب القضايا الجنائية ، هناك القضايا المدنية كالحجر والمسؤولية الطبية . ففي قضايا الحجر تتم دراسة الحالة الجسدية والعقلية للشخص المطلوب الحجر عليه ، بالتعاون مع مستشفى الطب النفسي ، لاعطاء تقرير كامل عن الحالة . أما في المسئولية الطبية فيتم تحديد خطأ الطبيب وموقفه من الناحية الجنائية . وهناك أيضا قضايا الانفصال الزوجي التي يعتمد فيها الطلاق على الفحص الطبي قبيل النطق بالحكم .

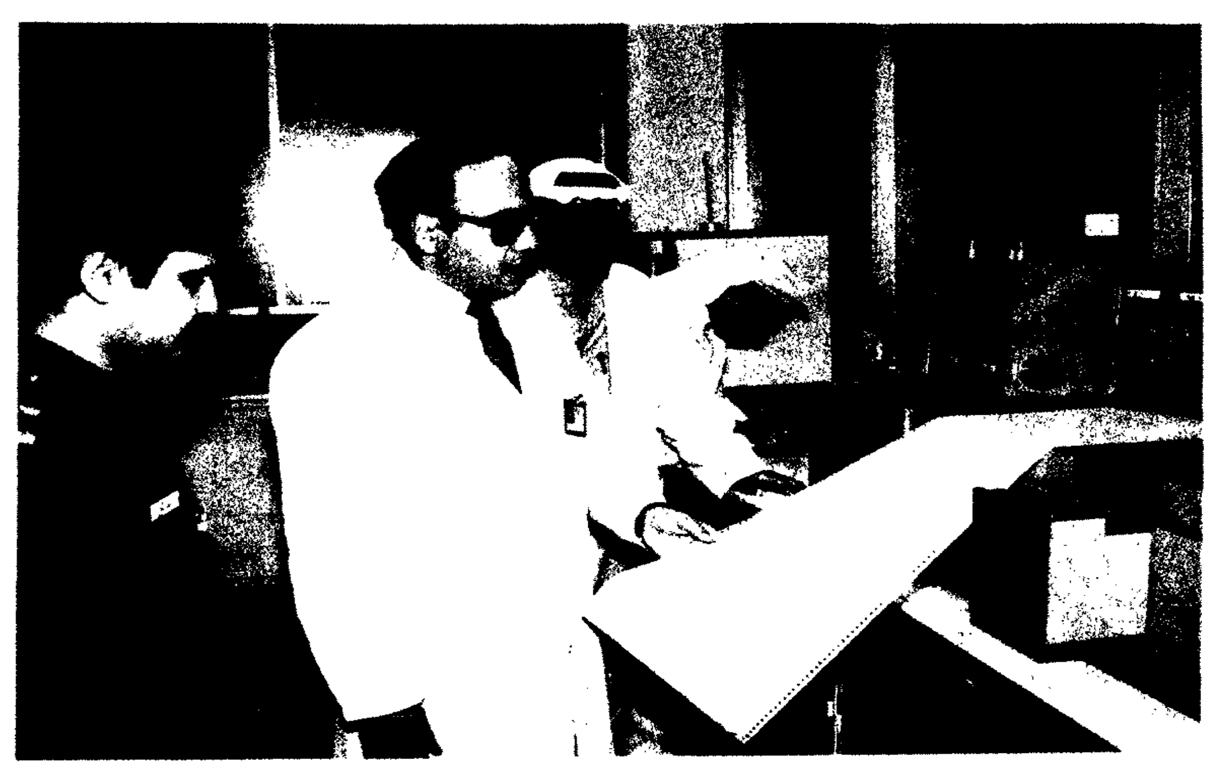
ولا بد أن نذكر هنا ، أن كل التقارير التي تخرج من الطبيب الشرعي بعيدة تماما عن المجاملة أو التضخيم ، فهي تكتب بكل حرص ، وبعد دراسة مستفيضة وبحث طويل » .



فتاة تعمل في أحد المعامل الجنائية ، تبحث في المادة المضبوطة من مكان الحادث .



يتعامل الباحثون في المعمل الجنائي مع أشكال مختلفة من المواد الصلبة والسائلة



تحرص الادارة العامة للابحاث الجنائية على توفير كافة الاجهزة والادوات الحديثة والمتطورة في كل الاقسام



احـدى قطع القمـاش وعليها بقع من الدم ، ويقوم الباحث بتحديـد نوعها وطبيعتها وفصيلتها



العمل فى المختبرات الجنائية هو السبيل الأفضل لالقاء الضوء على ملابسات الجريمه



البصمات هي الدليل القاطع والاكيد على المجرم ، والتي يسعى الضابط في مسرح الجريمة جاهداً لكشفها والتعرف على صاحبها

مسرح الجريمة :

ماذا يجري في مسرح الجريمة ؟
برغم الهلع والذعر والفوضى ، يقوم الضابط بالتقاط الآثار المادية الموجودة ، ورفع البصمات ، والبحث عن كل ما قد يكون له صلة بالجريمة أو بالجاني ، كالدم أو الشعر أو المقذوف الناري وإن ينتقل الضابط برفقة المصور الجنائي المدرب تدريبا خاصا على كيفية تجسيد مكان الحادث عن طريق الصورة ، حيث يقوم بعد مسح مكان الجريمة بنقل جميع الآثار لاجراء الفحص المخبري عليها ، فآثار الدم مثلا ترسل لتحديد فصيلتها ، والشعر يرسل للتأكد من نوعيته ، وما اذا كان يخص الجاني أم لا ، وترسل آثار الخمور الى قسم السموم ، وهكذا . .

بعد الانتهاء من الفحوص المخبرية تجمع النتائج في تقرير واحد شامل ، يقدم لجهات التحقيق والقضاء التي تصدر حكمها في القضية ، معتمدة على التقرير الوارد لها من الادارة العامة للابحاث الجنائية .

ويتبادر للذهن استفسار عن البصمات ، هذا الدليل القاطع الذي يلجأ له الضابط ، ويبحث عنه في مسرح الجريمة . ترى كيف ترفع البصمات ، وكيف تضاهى ، وكيف توصلنا للجاني ؟

النقيب أحمد القبندي رئيس قسم مسرح الجريمة يروي لنا قصة البصمات فيقول : « ان كل من ينظر الى طرف أصبعه أو راحة يده ، وباطن القدم يجدها مكسوة بخطوط عديدة ، تكون أشكالا مختلفة ومتباينة لا حصر لها ولا عد . هذه الخطوط تبدأ في التكون عند الجنين وهو في بطن أمه في الشهر السادس من الحمل ، وتظل هذه الخطوط مع الشخص حتى بعد الوفاة ، بنفس الشكل ونفس الاتجاهات .

ولما كان من المعروف أن البصمات لا تتطابق في شخصين مختلفين ، فان تطابق بصمتين في مكان واحد تعطي دليلا قاطعا لضابط مسرح الجريمة عن شخصية وهوية المجرم . يقوم الضابط في مسرح الجريمة برفع البصمات باستعمال بودرة خاصة باظهار البصمات من على الأسطح ، ونوع البودرة المستخدمة يختلف تبعا لنوع السطح ، ويتم أحيانا رفع المادة التي عليها البصمات من الأطراف بحيث لا تتلفها ، وشهادة ضابط مسرح الجريمة مطلوبة دائما أمام المحكمة ورجال القضاء ، باعتباره مصدرا أكيدا للمعلومات التي تتضح له من خلال المعامل والمختبرات » .

أطياف الجريمة :

لقد حاول خبراء علم البحث الجنائي الاستفادة من العلوم الطبيعية وتسخيرها لكشف غموض الجرائم ، وبيان أسرارها ، لأن التأخر يعني الخسارة ، والتواني في البحث يعني هروب المجرم ، ومن أهم العلوم التي ساهمت بنصيب وافر في تطور علم البحث الجنائي العلوم الفيزيائية والكيميائية . حيث أصبح الأثر المادي الجنائي الذي يتركه المجرم في مسرح الجريمة عبارة عن عينة يجري عليها العلماء التجارب ، ليعرفوا كنهها ويتبينوا علاقتها بالمتهم .

وكما أن للانسان بصماته الخاصة فان لكل مادة بصماتها الخاصة أيضا . وبصمة المادة هي طيفها الذي يشكل صفة لازمة ومميزة لها ، لا يتشابه مع طيف أي مادة أخرى .

وتجدر الاشارة هنا الى أن طيف كل مادة أو عنصر هو صفة لازمة ومميزة لها ، ولذلك يطلق عليه خبراء البحث الجنائي بصمة المادة ، ومن المعروف أن المواد لا تتشابه في بصماتها أبدا تماما كالانسان وهناك جهاز يسمى جهاز الابعاث الضوئي وهو جهاز سهل التشغيل بسيط التركيب ، قادر على تحليل أي أثر مادي جنائي عضويا كان أو غير عضوي ، كالأصباغ والبويات وعينات التربة والزجاج ، كما يمكن بواسطة هذا الجهاز اجراء تحليلات كيميائية نوعية بمقارنة الأثر المادي الجنائي بنسبة قياسية للتعرف على نوع وطبيعة الحادث .

جهاز الأشعة السينية :

أصبحت الأشعة السينية اليوم من أساسيات أي مختبر جنائي في العالم ، نتيجة لما تغطيه من نطاقات واسعة في الكشف عن الجرائم وبيان غموضها .

وتستخدم الأشعة السينية في تقدير السن عن طريق دراسة صور أشعة العظام عند مناطق التحامها حيث يحدد التحام العظام في مناطق معينة من

الجسم البشري ، بسن معينة ، كذلك تساعد في تحديد مواضع الكسور ، ونسبة العجز في بعض أعضاء الجسم البشري ، عن طريق دراسة صورة الأشعة للعضو المصاب ، وتحديد أماكن المقذوفات النارية ، أو شظايا المتفجرات ، والتعرف على الموتى من خلال ملامحهم ومقارنتها بالتقارير الطبية ، الى جانب التعرف على بصمات الأصابع في الأجسام المتحللة جزئيا ، وكل هذا يتعلق بمجال الطب الشرعي ، أما بالنسبة للأدلة الجنائية ، فتستخدم الأشعة السينية في البحث عن الأسلحة والمتفجرات في ملابس وحقائب المتهمين ، وكشف تزييف العملات الذهبية والنادرة خصوصا تلك التي تحتوي على الرصاص ، كذلك مقارنة الملابس المضبوطة بدراسة مادة النسيج وخواصها ، ووجود العناصر المعدنية بين ثناياها ، مثل الرصاص والقصدير ، وعلاقة ذلك بالجناة ، وأخيرا التفرقة بين أنواع الورق في قضايا التزوير والتزييف ، من خلال كشف الشوائب التي تملأ الفراغات في نسيج الورق ، ومن خلال دراسة الشكل التركيبي لمعرفة طريقة صنعه .

السموم :

الدكتور محمد عبد الحكم ، رئيس قسم التحاليل الكيميائية في الادارة العامة للأبحاث الجنائية يقول : « نحن في عملنا هذا نؤمن بضرورة وضع العلوم الطبيعية في خدمة رجال الأمن ، ومحاربة الخارجين على القانون من أجل أمن وسلام البلاد .

فكم من الجرائم بدت للوهلة الاولى غريبة شائكة ، ولكننا استطعنا حل غموضها بمساعدة هذه الاجهزة المتطورة . والحقيقة أنه لا توجد مادة سامة بالمعنى الحقيقي لكلمة سم ، ولكن كل مادة تصنع بواسطة الانسان تصبح سما ، اذا فاق تناولها الحد المعقول والمناسب للجسم البشري ، فالاسبرين مثلا مادة مسكنة للآم ولكن تناول كمية من الاقراص خلاف المنصوص عليها يحولها الى مادة قاتلة »

وليس معنى ذلك أن قسم السموم يقتصر في عمله على تحليل المواد السمية في مجال ضيق فحسب ، بل يقوم كذلك بتحليل الأدوية والأغذية ، وكل مادة قد تدخل جسم الانسان .

وأي قضية نبحث فيها تتكون من شقين : الأول فني تختص به سلطات التحقيق ، والثاني علمي يقرره العلماء والمختصون في علم السموم ، وهم المخولون بتقرير نوع وكمية السم ، ومدى تأثير المادة على الجسم البشري ، ودورها في الوفاة طبقا لظروف القضية » .

بصمة المسدس :

كم من الجرائم البشعة ارتكبت ، وكم من الأرواح البريئة أزهقت دون أدنى سبب ، الا الاهمال وعدم الانتباه ، فالأسلحة والآلات من أكثر الأدوات المؤذية ، خصوصا حين توضع بين أيد غير واعية ، لا تعرف مدى خطورتها ولا نتائجها المدمرة .

ولما كان أمر السلاح قضية هامة ، وجدنا ضرورة البحث فيها ، والاطلاع على طريقة البحث والتدقيق للكشف عن الجريمة .

في قسم السلاح وآثار الآلات التقينا بالنقيب شهاب الشمري رئيس قسم السلاح وآثار الآلات ، حيث لخص لنا طبيعة العمل داخل القسم : « في العادة يكون اتصالنا بالقضايا مباشرة مع النيابة ، حيث نسرع لمكان الحادث بمجرد اخطارنا بوقوع جريمة استعمل فيها أحد أنواع الأسلحة أو الآلات . ويبدأ العمل على مسرح الجريمة برفع الأداة ، والحفاظ على أمانها ، ومن ثم تحريزها ونقلها للمختبرات الجنائية ، مع الحرص على كتابة كافة البيانات الخاصة بالآلة المضبوطة » . ولكن كيف يجري العمل داخل المعمل الجنائي الخاص بقسم السلاح بعد نقله وتحريزه من مكان الحادث ؟

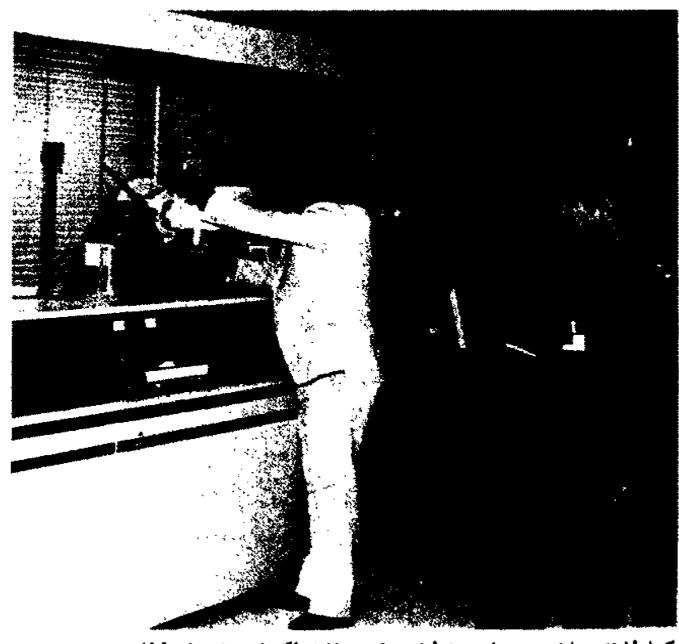
« من المعروف أن لكل سلاح عيارا معينا هو قطر ماسورة السلاح من الداخل ، يقوم الضابط الفاحص باستعمال ذخيرة مشابهة للذخيرة المستعملة في مكان الحادث في محاولة منه لخلق تشابه بين تجربة العمل والقضية نفسها ، للحصول على النتيجة المرجوة في التوصل للجاني .

تكون البداية بتجربة الاطلاق للحصول على بصمة المسدس على الذخيرة المستعملة ، وبصمة المسدس تعني العلامات الدقيقة التي يتركها السلاح نفسه دون أن يتركها غيره على الذخيرة . ومن المعروف أن ماسورة المسدس تحتوي على خطوط

بـدايـة مـا يحـرص الضـابط عليـه في قسم الســلاح وآثـار الآلات ، تحـريـز الأداة ، والحفـاظ عـلى أمـانها ، ومن ثم نقلهـا للمختبـرات الجنـائيـة ليتم فحصهـا بـدقـة .



يعتبر المعمل الجنائي في الادارة العامة للابحاث الجنائية نقطة الانـطلاق ، للتحقيق والايقـاع بالمجرم



كما للانسـان بصماته الخاصة ، فان لكـل مادة كـذلك بصماتها الخاصة ، وأطيـافها التي تميـزها عن غيـرها

حلزونية داخلية ، تنطبع على المقذوف الخارج من السلاح ، تتم التجربة باطلاق مقذوف داخل صندوق خشبي به ساند من القطن النقي الخالي من أي شوائب ، قد جرح أو تشوه المقذوف نفسه . يستخرج المقذوف بعد عملية الاطلاق من صندوق الاطلاق ، لتبدأ بعدها عملية المقارنة الميكرسكوبية بين المقذوف المستخرج من الجثة ، والآخر المستخرج من صندوق الاطلاق ، بواسطة جهاز الميكروسكوب المقارن .

وبالمقارنة يتم الحكم على الخطوط الدقيقة الموجودة على احداهما ، ان كانت تنطبق انطباقا مطلقا على المقذوف الآخر أو لا .

القتل البطيء للروح :

المخدرات ، نوع من الأدوية ، قد تؤدي في بعض الحالات خدمات طبية جليلة لو استخدمت بحذر ، وبقدر معين ، وبمعرفة طبيب مختص لعلاج أنواع الامراض ، أو في العمليات الجراحية لتخدير المرضى تخفيفا لآلامهم ، ولكن الادمان عليها يسبب انحلالا تدريجيا في الجسم ، وفي قوى الفرد العقلية قد يؤدي بالمدمن الى الجنون ويجعله فريسة للمرض ، ولما كانت النتائج المترتبة على تعاطي المواد المخدرة نتائج مدمرة ، كان لا بد من مكافحتها ، والحد من انتشارها ، خصوصا بعد التطور الواسع في مجال المواصلات ، مما قصر المسافات الشاسعة بين البلدان المنتجة للمخدرات والبلدان المستهلكة لها . وكان لا بد من تعاون الدول والحكومات للحد من انتشار هذه المادة الخطيرة التي قضت على العديد من الأفراد ، وتنذر اليوم بدمار أمم ومجتمعات .

والمخدرات نوعان :

١ ـ مخدرات طبيعية تحضر من النباتات البرية ، كنبات القنب الهندي ، ونبات الخشخاش والقات والكوكا .

٢ ـ مخدرات تصنيعية أصلها من نباتات مخدرة طبيعية عولجت بطريقة كيميائية ، لاستخلاص المواد المخدرة منها كالمورفين والهيروين .

الى جانب ذلك هناك المخدرات التخليقية التي تحدث جميع مراحل صنعها في المعامل ، ومن مواد كيميائية لا يدخل فيها أي نوع من أنواع المخدرات الطبيعية ، وهي تحدث آثارا مشابهة للمخدرات الطبيعية .

وفي المعمل الجنائي تحلل المواد المضبوطة بطرق كيميائية حديثة ، وباستعمال أجهزة التحليل بواسطة الأشعة فوق البنفسجية ، والأشعة تحت الحمراء اللتين يفصلان المواد بعضها عن بعض ، وجهازي كروماتوجرافيا « الغاز » وكروماتوجرافيا السوائل الى جانب نظام التحليل بواسطة الفصل بألواح الطبقة الرقيقة ، والفحص المجهري بالميكروسكوب ، حيث تجتمع هذه الآلات كلها لتعطي نتيجة مكونات المادة المرسلة كيفا وكما ، ويتم ذلك تمهيدا لعمل تقرير خاص عن المادة المضبوطة ، وبيان موقعها من حيث قانون المخدرات .

البيولوجيا والجريمة :

أما في قسم البيولوجي فيتم رفع الآثار المادية الموجودة بمكان الحادث ، مثل الدم والشعر والحيوانات المنوية والألياف ، وكيفية رفع الآثار من مكان الحادث قد تسهل على الباحثين الكشف عن



في المعمل الجنائي لقسم الحرائق ، يتم فحص المواد المنقولة من موقع الحريق ، بأسلوب فني دقيق .

طبيعة المادة الموجودة ، فهم يبحثون في الدم ان كان آدميا أو حيوانيا وعن فصيلته ونوعه .

وقد يستدعي الأمر في كثير من الأحيان معرفة الفصائل المختلفة من الدم ، والمخالفة للفصائل المعروفة ، كذلك يبحث عن فصيلة دم المتهم ومطابقة هذه الفصيلة بفصائل المشتبه بهم .

وحيث أن بقع الدم المتواجدة غالبا ما تكون جافة ، فان الضباط الباحثين يلجأون عادة للفحص الأنزيمي للدم ، باعتباره فحصا يؤكد نوع وفصيلة الدم .

كذلك الأمر بالنسبة للحيوانات المنوية حيث يتم التعرف على فصيلتها والشخص الذي تنتمي اليه . كذلك يمكن التعرف على نوع الشعر (أنثويا أو ذكريا) وتحديد مكانه في الجسم .

جرائم الحريق :

الحريق من الكوارث التي تصيب البشر ، ويتحملونها على أساس القضاء والقدر الذي لا مفر منه ، غير أن استعمال النار كأداة من أدوات ارتكاب الجريمة لحرق الانسان وممتلكاته يعتبر من أكبر الجرائم وأشدها خطورة ، لأن المجرم الذي يتحكم في نقطة البداية لا يستطيع أن يتحكم في نقطة النهاية ، وتعود الصعوبة في التحقيق بجرائم الحريق الى أن النار تلتهم معظم الآثار التي قد تدل على الجاني .

ينتقل خبير الحرائق والمصور الجنائي الى الجهة التي استدعتهما للاطلاع على ملف القضية الموجودة مع المحقق ، والذي يحتوي على معلومات عن موقع الحادث ومدى الخسائر ، ثم يتجه الجميع الى مكان الحادث للمعاينة الفنية ، لتسجيل البيانات الخاصة بالحادث ، مثل تحديد نوع الحادث وطبيعة المكان ، بعدها يوضع رسم تخطيطي لمكان الحادث .

بعد دراسة المكان جيدا وتحديد أبعاده ومساحته ، تحدد مناطق البداية ، ولما كان لا بد لكل منطقة من نقطة بداية ونقطة نهاية ، ومسار للهبوب يتحكم به اتجاه الريح وظروف مكان الحادث ، فان هذه النقاط والمسارات غالبا ما تبدو واضحة جلية أمام الفاحص ، الذي يبحث كذلك عن مدى علاقة أماكن البداية بعضها ببعض .

ترفع عينات من مكان الحادث ومن نقاط البداية ، لفحصها في المعمل الجنائي ، ومعرفة السبب في وقوع الحريق .

يجهد الفاحص كذلك لاستيفاء استفساراته وأسئلته المطروحة على أصحاب العلاقة بالحادث ، وذلك لاستبانة النقاط الهامة التي قد تفيد في معرفة سبب وطبيعة الحريق . والجدير بالذكر أن لون ألسنة اللهب تحدد نوع المادة المحترقة ، فالخشب يعطي عند احتراقه لونا أحمر ، بينما تمتد ألسنة لهب ذات لون أحمر مزرق مع احتراق البلاستيك ، أما احتراق المواد الكيميائية فيعطي ألوانا بيضاء وزرقاء وبرتقالية .

يتوجه المصور الجنائي بعد ذلك لأخذ صور فوتوغرافية ملونة لمكان الحادث ككل ، ولنطقة البداية ولاتجاهات ألسنة اللهب ونهايتها بالتفصيل ، وذلك لاعداد تقرير مصور واف لمكان الحادث ، يشمل مراحل المعاينة الفنية ، ومستوى الحريق وعدد العينات المرفوعة ، ونتائج التحليل ، وأخيرا يحدد فيه سبب الحريق ورأي الفاحص في طبيعة الاشتعال .

فالاشتعال الذاتي ينتج عن وجود مكان ضيق سيء التهوية ، به مواد مخزونة سريعة التأكسد كمخازن القطن والكتان ، حيث تحتوي على نسبة من الرطوبة تساعد على نمو البكتيريا ، ينتج عن نشاطها وتكاثرها اشتعال ذاتي في حالة وجود مواد غير مألوفة في مكان الحادث . أما العثور على أكثر من نقطة بداية للحريق ، فهو دليل واضح على وجود فاعل للحادث .

المزيفون :

مع كثرة جرائم التزوير والتزييف بات الجميع يهتمون بسلامة أوراقهم الرسمية والعملات التي يحملونها ، وعملية التزوير قد تتم بطريقة بدائية يسهل كشفها ، ولكنها غالبا ما تتم بطرق فنية علمية ، فلا يكون أمام المحقق من سبيل سوى الاستعانة بالمعمل الجنائي لكشف الحقيقة .

والتزييف يشمل المستندات الرسمية والعرفية ، الى جانب تزييف العملات الورقية والمعدنية ، أو الشيكات السياحية الى غير ذلك من الاوراق ذات القيمة .

يقوم الخبراء في قسم التزييف والتزوير بفحص القضايا المحالة عليهم من ادارات التحقيق أو النيابة أو مباحث الهجرة لكشف الطرق المادية التي تستخدم في تزوير المستندات الرسمية والعرفية ، كالتزوير بالتقليد عن طريق التمرن المستمر ، أو التزوير بالنقل بواسطة الورق الشفاف .

قد يقوم الجاني كذلك بالضغط على الكلمات بواسطة قلم رفيع وورقة كربون ، وبتحريره على الكلمات تنطبع على الورقة السفلى ، كذلك يلجأ الجاني الى عمل قالب للخط المراد تزويره ، واستعمال هذا القالب في التزوير . . الخ . أما بالنسبة لتزييف العملة ، فيقوم خبراء القسم بالتعاون مع المكتب المركزي لمكافحة تزييف العملة وتزويرها ، وكشف النقاب عن أوكاره واداة طباعته ، ونظرا لخطورة جرائم التزييف على اقتصاديات الدول ، فان مكافحتها لا تجري على النطاق المحلي وحسب ، بل تجري على الصعيد الدولي والعالمي .

لقد أثبت العلم أن خطوط الأشخاص لا يمكن أن تتفق ، ففي خط كل انسان علامات ومميزات تفرقه عن خط غيره من الناس ، وهذه العلامات والمميزات تتجمع من اختلاف أسلوب الأشخاص في مسك القلم ، وحركة اليد عند الكتابة ، وطريقة كتابة الحروف ، واتساع المسافات بين السطور وبين كل كلمة وأخرى .

ومن هذا المنطلق برزت اختصاصات رئيسية للعاملين في قسم التزييف والتزوير . مثل فحص خطوط التوقيعات لمعرفة ما اذا كانت صادرة عن خط أيدي أصحابها أو أنها مزورة ، وفحص خطوط المستندات لمعرفة هوية كاتبها واجراء دراسة وافية على الأختام الرسمية لمختلف الادارات الحكومية ، وأختام الأفراد والهيئات لبيان ما اذا كانت صادرة من قوالب الأختام الصحيحة ، أو من قوالب أختام مقلدة . يقوم المسئولون في القسم كذلك بتحليل مواد الكتابة من ورق وأحبار بالطرق الطبيعية والكيميائية ، لما في ذلك من أهمية كبيرة في كشف التزوير ، وأيضا تحليل السبائك المعدنية المشتبه في تزييفها ، لمعرفة تركيبها ونسب المعادن المكونة لها ، ومدى مماثلتها أو مخالفتها لسبائك العملات الصحيحة .

يجري كذلك فحص خطوط المستندات المحررة على الآلة الكاتبة ، حيث تنفرد كل آلة كاتبة بخواص فردية تميزها عن غيرها من الآلات ، الى جانب فحص المستندات المشتبه في تحريرها بالأحبار السرية غير المرئية ، واظهار الكتابة المحررة بمثل هذه الأحبار ، باستخدام الطرق الطبيعية والكيميائية .

وأخيرا ، فحص طرق طباعة أوراق النقد والوثائق الرسمية ، مثل جوازات السفر واجازات القيادة ، وبطاقات الهوية والشهادات الدراسية ، وما شابهها ، في محاولة لتحديد طريقة تزويرها .

الدكتور **مصطفى شفيق** رئيس قسم التزييف والتزوير يقول : « ان هذا القسم يتعامل مع حياة الناس اليومية ، فالمستندات والأوراق المالية تشكل اليوم عصب المعاملات في حياتنا المعاصرة .

وقد كان لا بد من حمايتها وتأمين الثقة فيها عن طريق أجهزتنا التشريعية والأمنية » .

ويضيف الدكتور شفيق : « ما أشبه حالنا وحال أجهزة الأمن في اتقاء الجرائم بحال المؤسسات الصحية في اتقاء الأمراض ، اذ مهما شيدت هذه المؤسسات من مستشفيات ومهما جهزتها بأحدث المعدات ، ومهما عينت فيها من خيرة الأطباء ، فليس في مقدورها حمايتها من الأمراض طالما أنها لا تعمل بالوسائل الوقائية العادية على حماية أنفسنا منها . كذلك الحال في جرائم تزوير المستندات والأوراق المالية ، حيث يمكن للمجني عليه تجنب الوقوع ضحية للتزييف اذا راعى في معاملاته بعض القواعد الوقائية التي تسد السبيل أمام جيل المزورين » .

هناك حقيقة واقعة في عالمنا المتحضر ، يجب أن لا ننكرها ، ألا وهي ضرورة تعريف الناس بالجريمة والوسائل التي يتبعها الخبراء في كشف غوامضها ، وتعريفهم بما يجهلونه ، وهم في مسيس الحاجة الى معرفته ، خصوصا وأن الجريمة اليوم تشغل عددا كبيرا من أفراد مجتمعنا ، فباتت مثار فزع وهلع .

من أجل ذلك ـ كان لا بد لهؤلاء الأفراد من التعرف على سبل وطرق الكشف عن الجريمة والقبض على المجرمين .

فالجريمة لم تكن يوما كاملة ، ومهما طالت المدة فلابد للمجرم أن يقع في يد العدالة، صاحبة العين الساهرة على أمن الناس وراحتهم . □

قصة قصيرة



الشيخة صابرين

بقلم : صلاح عبدالسيد

الليل يسحب مجهدا ليتوارى . . كمريضة تلد للحياة ساعة موتها . . والنهار يحاول أن ينزلق من جوفه . . ناقرا قشرته الرقيقة . . محاولا أن يخرج رأسه ليتلمس طريقه فى حذر وخوف . .

شاحب ذلك النهار وراكد . . ولونه أصفر . . وعلى وجهه غبار . . امتدت يد بدرية فى حذر تتلمس طريقها الى باب الدار لتفتحه . . فأحدث ذلك صريرا خافتا

الباب يفتح . . لينفلت منه فى تلصص الى أرض الشارع . . ثم الى البيت المقابل . . الشيخ رضوان . . شيخ الجامع الكبير . . والشيخ طويل وعريض القفا ومعمم . . وله زبيبة فى جبهته من كثرة السجود . أصبحت تشكل جزءا من معالمه . . وكأنها صك من صكوك الايمان . .

والشيخ لم يتزوج . . نذر نفسه للعبادة ولاشىء آخر . .

انفلت الشيخ خارجا من بيت بدرية فى حذر . . وعيناه قلقتان تدوران فى محجريهما . . كعيفى قاتل مأجور . . يمسح بها المكان قبل أن يخطو اليه . . فارتطمت قدمه بحجر ناتىء أمام البيت . . فترنح



وكاد يسقط من طوله . . وعندما تمالك
ارتطمت عيناه بعينى الشيخة صابرين . الجالسة ليلها
ونهارها فى شباك بيتها الصغير . . وكأنها تمثال باهت
من الحجر لايتحرك . . والشيخة رفيعة
وكأنها رفيع ينبض فى جسد
الحياة . . عينان كطريقين لايلتقيان
أبدا . . معروق . . ونظراتها الى
السماء . . الى . . تتعلق بها . .
وترجوها . .
نظرتها تبدو للناظر . . لكنها فى الحقيقة
واعية . . تلسعك حدتها . . فتتعجب كيف
استطاعت هذه النظرة المنطفئة . . أن تتوهج . . وأن
تلسع بمثل هذه الحدة . .
والمرأة صامتة . . لم تتكلم منذ اختفى زوجها ليلة
زفافها . . ولايذكر أحد اطلاقا أنه سمع صوتها . .

وهى تنتظر . . انها فى انتظار أن يحدث ذلك الشىء الاكيد . . والذى لابد له أن يحدث يوما . . !! انها فى انتظار أن يعود الغائب . . !! متى . . !! ؟
هى لاتعرف على وجه التحديد متى . . !! ؟

قد يعود فى الفجر . . أو مع أول ضوء للصباح . . متسللا عبر شباكها الضيق ، أو عندما يُسَبِّحُ طائر الكروان ربه : الملك لك . الملك لك . . وهى لاتعرف أين اختفى . .

ياليت . . !!

« كنت تسلقت قمم الجبال . . ودست الشوك والحصى . . وخضت المهالك من أجل أن أصل الى عينيه . . »

عندما همسوا لها فى ليلة زفافها أن زوجها لن يأتى . .

صرخت : « لا . . سيأتى . . لابد أن يأتى . . عيناه قالتا لى انه سيأتى . . عيناه لاتكذبان أبدا بريق عينيه لايكذب . خفق نظرته لايكذب . . لا لاشىء فيه يكذب . . كان مغسول النظرة . . وكنت أرى طريقى واضحا فى عينيه . . كيف حدث ذلك . . ؟

النظرة فى عينيه لم تتمسح بالأرض يوما . . ولم تمرغ رأسها فى وحل الطريق . . النظرة فى عينيه دافقة بالخير . . منتشية بالفرح . .

كانت نظرته توحدنى . . وتجمع بقاياى من الحوارى المظلمة ومن عمق الدروب الحزينة . . لتجعلنى انسانة واحدة . . فرحة . . متفائلة . .

بسمته كانت تحتوينى . . وتدفع عنى البرد . . والليل . . والجوع . . والخوف من الطريق . . معه لم أحس بالخوف من الطريق أبدا . . »

انفلت الشيخ من بيت بدرية . . الى بيته المقابل . . وعينا الشيخة مازالتا أمامه . . حادتين . . صارمتين . . كخنجرين مسمومين . . حادى النصل يلمعان فى الظلام . . وفمها المطبق على السر الرهيب . . وتكشيرتها . . والوجه الناحل المعروق . . حتى شباكها الضيق كأنه طوق النجاة . . كل هذه الأشياء تطارده . . وتلتصق به . .

حاول أن يهش بيده العينين الملتصقتين به . . لكن بلا فائدة . . فمسح عرقه بمنديله الكبير وغمغم .

اغتسل . . والخنجر المسموم يلمع فى الظلام . . وتوضأ . . والخنجر المسموم يقترب من جبهته . . وارتعد . . وكاد يصرخ ، قفز الى الشارع خارجا . . وهو يحس أنه سيختنق . . فاصطدمت عيناه بعينى الشيخة فى شباكها . . فأحدث ذلك صوتا . . ضغط على نواجذه . . وكأنه يأكل نفسه . . وابتلع ريقه وكأنه يبتلع الخنجر المسموم فى جوفه . .

« هذه الملعونة . . المصلوبة فى شباكها . . وكأنها القدر . . أو كأنها الملاك الذى يختص بى . . والذى يحفر أعماقى . . ويعرف الذى فى الداخل . . الذى فى الداخل . . »

وأسرع الخطا . .

فى الجامع قرفص شاردا . . وأسند ظهره الى عامود . . لدغه صوت يفح فى أذنه . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

ثم امتدت يد متلهفة الى يده . . وفرقعت قبلة طويله على ظاهر يده . . تركت أثرا من لعاب . .

جذب الشيخ يده فى سرعة وأخفاها فى جلبابه . . واستغفر . . عندما وقف ليؤم المصلين للصلاة . . اختلج وتبعثر صوته وأحس بالعرق على جبهته . . وبعينى الشيخة الملتصقة به . . تواجهه . . وبالنصل الحاد يلتمع . . تلعثم وجاهد كى يملك صوته . .

وأحس بعد الصلاة . . أنه يكابد شيئا مرهقا . . يجثم على أنفاسه . . كحجر الطاحون . . فأسرع عائدا الى داره . . والعرق على وجهه وقفاه . .

اصطدمت عيناه فى رجعته بعينى الشيخة فى جلستها . . فابتلع الخنجر الحاد . . الملتمع النصل . . وأحس به يقطع صدره . .

دخل داره . . وأغلق عليه الباب فى سرعة . . وهو يلهث فى انفعال . . « الملعونة تطاردنى . . الملعونة تجثم على قلبى وعقل وأنفاسى . . وكأنها ترتدينى . . كم أود أن أخلعها عنى . . ولكنها تسكننى . . وتعشش فى تجاويف رأسى ، كخفاش يتثبت بجدران جفونى . . ويضرب عينى بجناحيه . . ويمتص الدم من شراييني »

ارتمى على سريره . . لكنه لم ينم . . والعينان الغائرتان الى بعيد . . الضاربتان الى أعمق الأعماق . . الحادتان كخنجرين ملتمعى النصل يبرقان فى الظلام . .

تقلب على فراشه واعتدل الف مرة . . وبسمل . . واستغفر . . وقرأ الصمدية . . ولكن بلا

فائدة . . وصدره يعتمل . . كأنه وابور طحين خرب ، يلفظ أنفاسه قبل أن يتوقف . . وسمع صوتا يأتى من داخل وعائه يخاطبه .

« اقتلها . . هذه المرأة ستجلب لك الفضيحة . . وستقول للناس من هو الشيخ رضوان الذى يتبركون به . . ويستفتونه فى أمور دينهم ودنياهم . . »

ومسح بيده على الزبيبة فى جبهته . . وكأنه يتأكد من وجودها . لكن الصوت تردد ثانية وارتفع ضجيجه . .

« اقتلها قبل أن تقتلك . . اخنقها . . تسلل الى بيتها واخنقها . . ولن تحوم الشبهات حولك أبدا . . اقتلها قبل أن تتكلم . . » .

والصوت الزاعق يصفر فى أذنيه . . وفى عينيه وفى أعصابه وتحت جلده . . وفى تجاويف رأسه . .

انتفض وعيناه حمراوان . . وأحس بالخفاش ينقر حدقتيها . . عندما استدار الليل موليا ظهره . . كان قد وافق الصوت الذى يأتى من الدخل على قتلها . . دبر كل شىء . . الوقت والطريقة . .

وعندما خاف أن يتسلل الخفاش اليه . . وأن يقترب النصل الحاد من جبهته . . ويلتمع أمامه . . كانت مقاومته قد ذابت وتلاشت . . فتسلل الى منزل الشيخة . . دفع الباب بقوة فانفتح . . ليواجه بها أمامه . . منتصبة فى الظلام . . وقبل أن يسترد أنفاسه . . أطبق على رقبتها بكلتا يديه فى قوة . . وأحس بعظام رقبتها تتكسر تحت ضغط يديه . . وظل ضاغطا على رقبتها وكأنه نسى نفسه . . خاف ان هو تركها أن تصرخ . . وأخيرا دفعها عنه لتسقط . . لكنها ظلت واقفة ولم تسقط . . خيل اليه انها ظلت واقفة ولم تسقط . .

وحاول أن يصرخ . . لكن صوته لم يخرج . . وأسرع مهرولا وهويتعثر فى جلبابه . . فاصطدمت الزبيبة التى فى رأسه بالباب . .

فى الفجر ذهب الى الجامع . . وكل شىء يرتعش . . وصوته قد بلله العرق فأصبح واهنا . . وعندما وقف ليؤم المصلين للصلاة . . أحس بالخفاش ينقر حدقتى عينيه . . وبالنصل الملتمع يقترب من جبهته . . وبعينى الشيخة تحاصرانه وتقفان فى مواجهته . . تلعثم وهويقرأ . . وجاهد لكى يملك صوته . . وأحس بشفتيه جافتين . . وبصوته غريبا عنه . . وارتج عندما أحس بشىء يسقط داخل صندوقه الصدرى . .

التفت الى المصلين . . فوجدهم ينظرون اليه فى دهشة . . وعندما حدق فيهم . . رأى عيني الشيخة فى وجوههم . .

وأحس بعيونهم تقترب . . وتتقافز . . وكأنها عشرات الضفادع . . تثب عليه . . حاول أن يصرخ . . لكن صوته انحبس داخله . .

همس صوت

ـ ماذا جرى لك ياسيدنا . . ؟

التفت . . ليجد آلاف الخفافيش تنقر عينيه . . وآلاف الخناجر الملتمعة تقترب منه وتحيط به . . فتراجع مذعورا وهويصرخ . .

ـ لا . . لا . . ابعدوا عنى . . ابعدوا عنى . .

وقفز الى الشارع حافى القدمين . . يجرى وهو يصرخ . . كأنه ذئب أصيب بطلق نارى . . والناس فى ذهول غير مصدقين . .

وأمام بيت الشيخة . . رفع رأسه الى شباكها . . فاصطدمت عيناه بعينيها الغائرتين . . تنظر اليه فى صمت واشفاق . .

صرخ وكأن آلاف العقارب تحت جلده .

ـ لا . . لا . .

وارتمى على الارض . .

وعندما أفاق لم يجد صوته .

أصابه الخرس . .

وارتمى الشيخ فى بيته لا يبرحه . . يجلس فى شباك بيته الصغير . . كأنه ينظر للدنيا من خلال طوق نجاة . .

وينظر للطريق . . عيناه عليه . .

انه ينتظر الغائب . .

انه فى انتظار زوج الشيخة صابرين . .

فى انتظار أن يحدث ذلك الشيء الأكيد . . والذى لابد له أن يحدث . . وهو واثق تمام الثقة . . أنه سيتكلم عندما يعود الزوج الغائب . .

لكنه لايعرف على وجه التحديد متى يعود . . !! ؟

فقد يعود فى الفجر . . أو مع أول ضوء فى الصباح . . أوعندما يسبح طائر الكروان فى السماء ربه : « الملك لك . . الملك لك . . !! ؟ » □

الأمن الغذائي

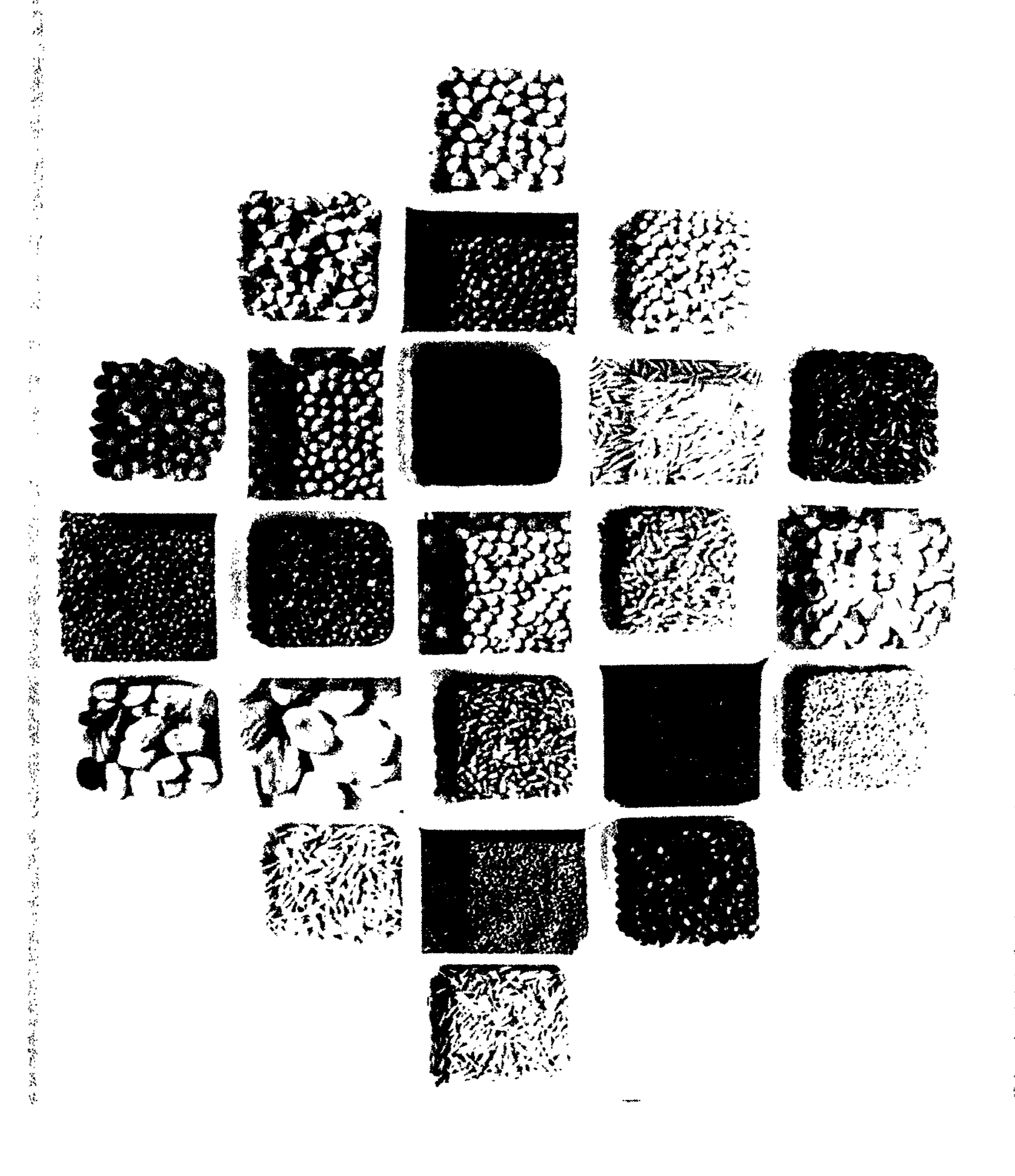
في برامج المنظمات والهيئات الدوليّة

استطلاع : صادق يلي

« على تخوم الوطن العربي وقريبا منه ، بل وحتى في بعض بلدانه ، زحف الجوع والجفاف وانخفض المطر وقلت انتاجية الأرض ، وأطل شبح الجوع حاملا معه الموت من وسط أزمة غذاء تأخذ بخناق هذه الدول ، فماذا فعلنا في الوطن العربي لتجنب زحف الجفاف وانخفاض المطر ؟ ، هذه محاولة لحمايتنا من نذر المستقبل »!



٩٤٨ هكتاراً هي المساحة الكلية لمحطة الأبحاث الزراعية في تل حديا التي تبرعت بها حكومة الجمهورية العربية السورية لاقامة مراكز البحوث الزراعية عليها .



القمح والشعير والفول والعدس والحمص هي المواد الغذائية الأساسية التي تدخل ضمن برامج المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) .



ظهر مصطلح « الامن الغذائي » كتعبير أزمة عندما عقدت منظمة الأغذية والزراعة للامم المتحدة إجتماعا في روما عام ١٩٧٤ ، لتدرس الرؤ يا الكابوسية بأن شبح المجاعة لا يزال يخيم على المجتمع البشري . واستطاع هذا المؤتمر أن يضع بعض التصورات لاستغلال الموارد الطبيعية في توفير « الأمن الغذائي » . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الهيئات والمنظمات الدولية المختلفة تنفيذ برامج محددة لزيارة انتاجية المشاريع الغذائية ، واستصلاح مزيد من الأراضي غير المستصلحة ، ومكافحة التصحر ، وغير ذلك من برامج تصب في خدمة ذلك الهدف الكبير .

ان مشكلة الغذاء تعد من أكبر المشاكل التي تواجه العالم ، وخصوصا في المناطق التي تعتمد في زراعتها على ما تجود به السماء من أمطار ، وهناك عوامل عديدة ساهمت في تفاقم مشكلة الغذاء ، من أهمها اشتداد موجة الجفاف ، وانخفاض معدلات الانتاج للمحاصيل الغذائية الأساسية ، ثم تعاظم الطلب على المواد الغذائية ، بتأثير نمو السكان بمعدلات مرتفعة للغاية ، وكانت النتيجة ان اتسعت الفجوة بين الطلب على الموارد الغذائية وبين ما ينتج منها ، ومن المتوقع أن تصل هذه الفجوة في منطقتنا العربية الى أرقام عالية ، قدرت من قبل المنظمات الدولية بحوالي ٥٢ مليون طن ، تشكل الحبوب وحدها الثلثين ، ومن أجل ذلك كان لابد من تركيز الجهود التنموية لزيادة الانتاج من المواد الغذائية الأساسية ، ومن خلال رفع مستوى مردود المحاصيل الغذائية ، والتوسع في زراعة هذه المحاصيل ، والى توفير موارد مالية خارجية لتلبية احتياجات برامج التوسع الزراعي في بلادنا العربية ، وكذلك دعم وتعزيز البحوث الزراعية الهادفة الى زيادة انتاجية المحاصيل الزراعية .

وفي حلب الشهباء ، عاصمة الشمال السوري ، نظم الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) مؤتمرا بعنوان « المؤتمر العربي للبحوث الزراعية على المحاصيل الغذائية الاساسية »

ايكاردا

ونحن اليوم نريد أن نسلط الضوء على نشاطات أحد هذه المراكز الدولية ، التي تهتم بالبحوث الزراعية ، وهو المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة ، ومقره مدينة حلب في الجمهورية العربية السورية ، واختصر اسم هذا المركز الى « ايكاردا » . وهو جزء من شبكة عالمية تشرف عليها المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية ، تمتد خدمات هذا المركز من المغرب العربي غربا ، حتى باكستان شرقا ، ومن تركيا شمالا حتى السودان جنوبا ، وتشمل ٢٢ بلدا ، يزيد عدد سكانها عن ٣٠٠ مليون نسمة . ومن المعروف أن هذه المناطق التي يخدمها المركز تعاني من نقص كبير في الغذاء ، اذ تضطر الى استيراد المحاصيل الزراعية أكثر مما تصدر ، ومما يزيد من مشاكلها تعرض المنطقة المتواصل للجفاف وانخفاض الأمطار ، بالاضافة الى انتشار الأمراض والحشرات الضارة ، مما يؤدي الى نقص الانتاج ، وزيادة الاعتماد على الاستيراد ، لذلك تتركز أبحاث « ايكاردا » بشكل أساسي على الأنظمة الزراعية البعلية في المناطق التي تنخفض فيها معدلات الأمطار الشتوية ، كما تعمل على توسيع نطاق أبحاثها ، حيث تشمل المناطق المروية أيضا .

يقول الدكتور محمد عبدالله نور المدير العام للمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة « ايكاردا » « ان أبحاث المركز تتركز بصورة عامة على محاصيل الشعير والعدس والفول ، وهناك مسؤولية اقليمية أخرى يتولاها المركز ، وهي تحسين القمح الطري والقمح الصلب والحمص ، كما تنصب بحوث المركز على المحاصيل العلفية الرعوية ثم الأنظمة الزراعية » .

ويضيف الدكتور نور قائلا : « يتألف برنامج المركز من أربعة برامج رئيسية ، وهي برنامج الأنظمة الزراعية ، وبرنامج تحسين محاصيل الحبوب ، وبرنامج تحسين البقوليات الغذائية ، وبرنامج تحسين المراعي والأعلاف والمواشي ، وهناك أقسام رئيسية اخرى تعمل لمساعدة البرامج الأولى وهي : وحدة المصادر الوراثية ، وقسم التدريب ، وقسم الاعلام والتوثيق ، ثم قسم خدمات الكمبيوتر .

شام ١ شام ٢

ان أهم انجاز قامت به (ايكاردا) خلال عملها ، هو اعتماد الحكومة السورية توزيع صنفين جديدين من القمح القاسي والقمح الطري تحت اسم شام ١ وشام ٢ ، بعد أربع سنوات من الاختبار والتقييم ، في حقول المزارعين في أنحاء مختلفة من سوريا ، وذلك من خلال برنامج التعاون العلمي المشترك بين وزارة الزراعة و (ايكاردا) .

يقول المسؤول المختص عن هذا البرنامج : « ان هذين الصنفين يمتازان بكفاءة عالية ، فحبوب شام ١ تتمتع بخصائص نباتية جيدة ، وذات نوعية ممتازة ، بالاضافة الى كفاءتها الانتاجية العالية ، وقدرتها الكبيرة على التأقلم ، ويضيف قائلا : وبالرغم من أن هذا الصنف معروف بمقاومته لمرض الصدأ المخطط ، الذي يصيب عادة سنابل القمح ، الا أنه قابل للاصابة بمرض التفحم ، وهو مرض يمكن مقاومته بمعالجة البذور بالمطهرات الفطرية .

أما صنف القمح الطري شام ٢ فهو الآخر هجين يمتاز بقدرة انتاجية عالية ، وقد مر باختبارات عديدة لمدة أربع سنوات ، في حقول المزارعين تحت ظروف الزراعة المروية ، وفي المناطق ذات معدلات الأمطار العالية ، كما أثبت مقاومته للامراض ، ويمتاز شام ٢ بجودته العالية لصناعة الخبز ، واحتوائه على نسبة عالية من البروتين .

وقد تم اكثار بذار هذين الصنفين من قبل مؤسسة اكثار البذار السورية ، تمهيدا لتوزيعها على المزارعين ، وأوصت « لجنة اعتماد الأصناف » بزراعة شام ١ في المناطق البعلية ذات معدلات الامطار العالية ، في حين أوصت بزراعة شام ٢ المناطق المروية ، أو المناطق المرتفعة الأمطار ، كما ثبت أن القمح الصلب شام ١ صنف مبسر في بلدان أخرى من دول المنطقة .

الشعير

ويأتي الشعير كأحد الأنشطة الأساسية في برنامج عمل (ايكاردا) فكانت تونس المكان الذي اختير لاجراء البحوث الزراعية على أرضها ، فمن المعروف أن للشعير دورا غذائيا هاما ، وخصوصا في المجتمعات الريفية المحدودة الدخل ، وذات الطبيعة القاسية والأمطار القليلة ، فالشعير يساهم بقسط وافر من الطاقة الغذائية في مثل هذه المجتمعات ، الا أن النسبة العظمى لاستهلاك الشعير يتمثل في صناعة الأعلاف ، نظرا للتقدم في تربية وتسمين الحيوانات والدواجن في أقطار شمال أفريقيا ، حيث يبلغ ما يستهلك لهذا الغرض حوالي ٥٠٪ من اجمالي الشعير المنتج سنويا ، كما يلعب الشعير دورا كبيرا في تغذية الحيوان خصوصا في المناطق الجافة أو شبه الجافة ، وقد أثبتت الدراسات أن قيمة التبن تمثل ٣٩٪ من القيمة الاجمالية لمحصول الشعير ، وترتفع هذه القيمة في السنوات التي يشح فيها المطر .

لهذا كان لابد من قيام تعاون وثيق بين (ايكاردا) وبين البرامج الوطنية في المغرب العربي ، فقد قام المعهد القومي للبحوث الفلاحية ، والمعهد القومي للعلوم الفلاحية في تونس باستنباط أصناف جديدة من القمح الطري والصلب والشعير ، تكون ملائمة للمناخ في تونس .

يقول أحد المختصين عن هذا البرنامج : « لقد تم الحصول على أربعة أصناف جديدة ذات انتاج عال وهي (كريم وبن بشير) من القمح الصلب (تانيت وصلامبو) من القمح الطري ، أما بالنسبة للشعير فقد استنبط المزارع التونسي صنفين هما (مارتان وسيريس) ، ويضيف المختص قائلا : « لقد حققت هذه الأصناف انتاجا متطورا ، وذلك بفضل التحسين المستمر للتقنيات الزراعية من مستلزمات الانتاج ، كالبذور والأسمدة الكيمائية ومبيدات الحشرات وادخال الميكنة الزراعية ، فقد ارتفع الانتاج من ٤٠٠ كغ للهكتار سنة ١٩٧٠ ، الى ١٠٣٠ كغ عام ١٩٨٣ للقمح الصلب ، ومن ٣٧٠ كغ للهكتار ، الى ٨٦٠ كغ للهكتار بالنسبة للشعير خلال نفس الفترة .

ان برنامج تحسين الشعير في تونس الذي تتولاه (ايكاردا) قد توصل الى انتخاب ثلاثة اصناف جديدة من الشعير أطلق عليها (تاج وفائز وريحان) ، وتمتاز بأنها متفوقة على انتاج البذور المحلية المزروعة في تونس ، وقد أظهرت التجارب المشتركة في السنوات القليلة الماضية وجود سلالات شعير مبشرة ، أعطت تفوقا ملحوظا على كافة الأصناف المحلية والمحسنة ومنها صنف (ريحان) .

عزل أصناف الفول باحاطتها بزراعة أصناف من النباتات مبكرة الازهار لجذب الحشرات اليها



وحدة الاصول الوراثية من الاقسام الهامة في (ايكاردا)



قياس رطوبة التربة ، باستخدام جهاز النترون روب



احدى التجارب العلمية الزراعية ضمن برامج ايكاردا المتعددة



مندربة تقوم بتسجيل التطورات التي تحدث للنبات



أجهزة الكمبيوتر لها دور كبير في التجارب الزراعية في ايكاردا

البقوليات : الفول والعدس والحمص

تعتمد الملايين من سكان مصر والسودان وخصوصا الفقراء وذوي الدخول المحدودة على الفول كوجبة رئيسية ، وقد تزايد الطلب على الفول خلال السنوات الأخيرة ، بحيث لم يعد الانتاج المحلي يكفي للايفاء بالطلب ، ومع تزايد عدد السكان أصبحت الحاجة ملحة لتبني سياسة رشيدة ، لتوفير هذه المادة الضرورية ، فقد انخفض انتاج الفول في مصر في السنوات الأخيرة ، وتناقصت المساحات المزروعة بالفول من ١٤٧,٨٦٠ هكتارا خلال السنوات من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ، الى ١١٠,٩٥٣ هكتار خلال السنوات ١٩٧١ ـ ١٩٨٠ ، نتيجة عوامل عديدة ، لعل من أهمها منافسة المحاصيل الشتوية الأخرى ، كالقمح والبرسيم ، كما رافقت هذه زيادة في الطلب ، نتيجة للنمو السكاني السريع ، مما اضطر الى استيراد ١٣٧ ألف طن من الفول عام ١٩٨٠ .

لذلك جاء مشروع وادي النيل الذي تبنته (ايكاردا) والصندوق الدولي للتنمية الزراعية (ايفاد) ومنظمات اخرى دولية ووطنية من مصر والسودان ، ممثلة في وزارات الزراعة في كلا البلدين ، تتويجا لهذا المشروع الحيوي ، فقد أثبتت نتائج الدراسات في محطات البحوث الزراعية امكانية زيادة الكفاءة الانتاجية لمحصول الفول بنسبة كبيرة ، اذ بلغ متوسط الانتاج في محطات البحوث ٥٢,٨ طنا مقابل ١,٦ طنا للهكتار في حقول المزارعين . ومن المعروف أن محصول الفول له أهمية زراعية ، حيث يعمل على تحسين خصوبة التربة ، بما يثبته من أزوت جوي عن طريق العقد البكتيرية ، يقول أحد المختصين في برنامج البقوليات ودور (ايكاردا) في هذا المجال : « ان (ايكاردا) تساهم بدور فعال في انجاح مشروع وادي النيل ، حيث تقوم بتقديم المساعدات العلمية والفنية والادارية ، اذ يشترك علماؤها في الاجتماعات السنوية ، ووضع البرامج البحثية ، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات والزيارات الميدانية لمواقع التجارب ، كما أنها تقدم أيضا مساعدات جليلة للبرنامج الوطني في السودان ، عن طريق تزويدها بالتجارب الدولية لمحصول الفول بمختلف أنواعها ، والطرز الوراثية المختلفة لتقييمها واختبارها تحت الظروف البيئية للبلاد ، وعمل التهجينات بين السلالات المبشرة ، وذلك في المزرعة الرئيسية (لايكاردا) في حلب ، وتقديمها للبرامج الوطنية في مصر والسودان ، وهذه التجارب تهدف الى الجمع بين العوامل الوراثية المرغوبة ، التي تؤدي في النهاية الى امكانية استنباط أصناف جديدة عالية المحصول ، ومقاومة للأمراض والحشرات والأعشاب الطفيلية ، وذات جودة ممتازة .

ولما كان العدس والحمص من البقوليات الأساسية ، فقد أولت (ايكاردا) هاتين الغلتين اهتماما جيدا ، وذلك باستنباط الطرز الوراثية ، أو الأصناف التي تتمتع بالصفات الفينولوجية المناسبة ، ذات القدرة على تحقيق غلة عالية وثابتة في كل من المناطق البيئية الثلاث لانتاج العدس ، وهي المنطقة المرتفعة ، ومنطقة البحر المتوسط ، ذات الارتفاع المتوسط والمنخفض ، ثم المنطقة الجنوبية التي تضم بنجلادش ومصر وأثيوبيا والهند وباكستان والسودان ، فقد شملت أبحاث (ايكاردا) على الصفات الخاصة في التراكيب الوراثية لهذا النبات في المناطق المرتفعة ، بحيث يتحمل البرودة ويقاوم الذبول ، وبالنسبة لبرنامج تحسين الحمص ، فقد ساهمت (ايكاردا) مع المركز الدولي لبحوث المناطق الاستوائية شبه القاحلة (اكريسات) في زيادة انتاج الحمص الكابولي ، وذلك عن طريق استنباط طرز وراثية متفوقة ، مع تحسين طرق الانتاج ، وجعلها في متناول البرامج الوطنية ، يقول أحد علماء ايكاردا المختصين في هذا البرنامج : « لقد استمر اهتمامنا في موسم ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ على تطوير الأصول الوراثية للحمص الكابولي ، واستطعنا استنباط سلالات عالية الغلة ومقاومة للتبقيع الاسكوكيتي ، وهذه الاصناف اقل حساسية لطول الفترة الضوئية ، مع المحافظة على جودتها من الناحية الغذائية والخواص المتعلقة بالطهي ، ولتوضيح مدى الاهتمام الذي نوليه لغلة الحمص فقد بلغت الأصول الوراثية التي يقتنيها بنك الأصول الوراثية (بايكاردا) في الوقت الحاضر ٥٣٤٠ طرازا ، منها ٩٢٠ طرازا أضيفت في موسم ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ، وقد استطعنا استنباط ٨٤٠ طرازا من الطرز الموجودة في بنك الأصول الوراثية ، عن طريق التهجين ، وهي تمثل ٣٤ بلدا ، وأكبر عدد



الدكتور محمد عبدالله نور/ المدير العام

من هذه الطرز الوراثية جاء من ايران ، ثم من افغانستان ، وتركيا ، وشيلي ، واسبانيا ، وتونس ، والهند » ويضيف المسؤول عن هذا البرنامج قائلا : « ويدل تقييم الاصول الوراثية على أنه من المفيد الحصول على مجموعات اضافية من الاتحاد السوفيتي ، لاستخدامها في انتخاب الأصول المقاومة للتبقع الاسكوكيتي والصقيع ، وتمتاز بأن نباتاتها تكون طويلة ، لانتخاب السلالات ، الكبيرة البذور وذات المحصول المرتفع » .

الأعلاف والمراعي

ومن البرامج الأساسية التي تتولاها (ايكاردا) برنامج تحسين محاصيل الأعلاف والمراعي ، الذي يتمثل في زيادة المراعي والأعلاف المتاحة للحيوانات الزراعية ، فضلا عن تحسين خصوبة التربة كخطوة أولى في سبيل زيادة غلة محاصيل الحبوب ، يقول المسؤول عن هذا البرنامج : « المعروف عن محاصيل الأعلاف الحولية بأنها تلك المحاصيل التي تعاد زراعتها سنويا بقصد الحصول على الدريس أو الرعي ، أما المراعي فهي المساحات الخضراء التي تتجدد من تلقاء نفسها ، وتستخدم أساسا لغرض الرعي ، اننا نركز بحوثنا على استغلال الأراضي التي تترك بورا ، لان توالي زراعة محاصيل الحبوب سنة بعد أخرى يؤدي الى انخفاض المحصول ، لذلك فان زراعة المحاصيل الرعوية أو المحاصيل العلفية قد تساعد في مرحلة لاحقة على تحسين غلة الحبوب ، لأن محاصيل الحبوب تستفيد من زيادة خصوبة التربة ، نتيجة لتثبيت الازوت الجوي بفعل محاصيل الأعلاف البقولية أو المراعي » .

ويضيف المسؤول قائلا : « وقد تمكنا من التعرف على الفصة الحولية أو (النفل) كمحصول بقولي حولي ملائم لظروف التربة والمناخ السائدين في شمال سوريا ، وترجع أهمية هذا النوع الى قدرته على البقاء في مواسم الشتاء الباردة ، وقدرته على تكوين البكتيريا العقدية ، وانتاج محصول عال من المادة الخضراء ، وقد استطاع برنامج الأعلاف أن يطور على نطاق واسع نظما لانتاج الدريس ، مستخدما في ذلك أصنافا من البازلاء العلفية والبيقية ، وكذلك التعرف على العديد من الأمراض التي تصيب المحاصيل الرعوية والعلفية ، وتحديد شدة الاصابة بهذه الأمراض .

في كلمة ألقاها الدكتور محمد العمادي المدير العام للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي سابقا ، في المؤتمر العربي للبحوث الزراعية على المحاصيل الغذائية الاساسية ، الذي عقد في حلب في ابريل من هذا العام قال : « ان ما يقوم به المركز الدولي للبحوث الزراعية من جهد في مجال البحث الزراعي على المحاصيل الاساسية للغذاء ، انما يجسد خطوة على الطريق الصحيح لدفع عملية الانتاج الزراعي ، والاسهام في تحقيق الأمن الغذائي في عدد من محاصيل الغذاء الأساسية . وتشكل برامج التعاون العلمي بين (ايكاردا) وعدد من الاقطار العربية ، في محاصيل القمح والشعير والفول ، والتطبيقات العملية للأصناف المحسنة من هذه المحاصيل تشكل الادلة الملموسة لهذا الجهد في المناطق البعلية الجافة من وطننا العربي . □


البيت العربي
قسم خاص
مجلة الأسرة والمجتمع



في تونس يحمون الفتيات من الضياع

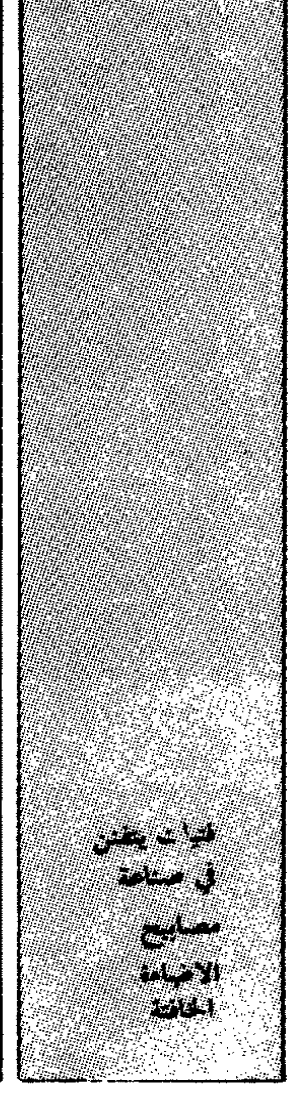
« الظاهرة ليست وقفا على الوطن العربي ، بل هي ظاهرة في العالم الثالث كله ، ونعني بها ظاهرة الانقطاع عن التعليم في فترة ما ، وتصبح الظاهرة أكثر ايلاما عندما يكون الانقطاع من الفتيات اللواتي يواجهن الحياة بأدوات قليلة !! » .

نخطىء كثيرا لو فصلنا الدوائر المتصلة ، حتى لو كان هذا الفصل من قبيل التبسيط لأجل الفهم ، وعندما نعترف أن الوطن العربي يعاني من مشكلة اجتماعية ، فليس منطقيا ولا ممكنا فهمها في اطار جزئية واحدة من جزئيات المشكلة .

فعندما نقول ونعترف مع تقارير المنظمات الدولية أن هناك حالات تسرب من التعليم ، فان هذا التسرب والانقطاع ليس سببه اتجاه هؤلاء التلاميذ الى سوق العمل ، ومساعدتهم في زيادة الدخل ، كما يحدث في معظم الأسر الريفية والبدوية في وطننا العربي ، ليس هذا هو السبب فقط ، فهناك أيضا الثقافة الاجتماعية ، وهناك الظروف الاقتصادية ، وهناك الأسباب القهرية التي تضيع معها محاولة الحصر . والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي في أحد تقاريرها تقول ان ٨٠٪ من جرائم الأحداث ارتكبها أحداث انقطعوا عن التعليم ، لأسباب اجتماعية واقتصادية مختلفة .

هل فكر أحدنا . . ماذا تفعل فتاة عربية انقطعت





فتيات يعملن في صناعة مصابيح الإضاءة الخافتة

عن التعليم وفقدت ـ كما يحدث كثيرا ـ مورد رزق مستمر وكريم ؟

وماذا تفعل هذه الفتاة اذا تزوجت ثم بعد فترة لسبب أو لآخر راح الزوج ـ اما بالموت أو الانفصال ـ كيف تعيش وكيف تحيا ؟

في تونس كانت هذه الأسئلة تؤرق مجموعة من النساء في الاتحاد النسائي . . . وبهدوء وصبر ودأب بدأن يضعن حلا بسيطا وعميقا وجديدا .

بداية القصة :

السيدة عزيزة داود عضو المكتب التنفيذى للاتحاد القومي النسائى ، ومديرة معهد بورقيبة للتكوين المتواصل تحكى عن المعهد وتقول :

كانت البداية تساؤلات في ذهننا نحن أعضاء الاتحاد النسائى عن مصير الفتاة التى تنقطع عن التعليم لسبب أو لآخر ، وبخبرتنا في الحياة كنا نخاف على بناتنا من أن يجرفهن الضياع ، اذا لم نفكر في شىء



● الفتيات وقت الراحه . . يجلسن فى الحديقه التى تتوسط المعهد .



ـ فتاة تتعلم إصلاح الأحذية



ـ تجليد الكتب مهن جديدة على بنات حواء .

يحميهن ، وأنا أعني بالضياع كل معـانيه النفسيـة ، والانسانية ، والاسرية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والاخلاقية .

ولمعت في ذهننا فكرة لماذا لا نعلم الفتيات مهنة أو حرفة يتكسبن منها ، وتساءل كثير من الناس أين وكم وكيف و . . . ؟ وعديد س الأسئلة التي لـو فكرنـا في بالاجابة عنها لاكتفينا من الفكرة بالنقاش .

وبالفعل تجاهلنا كل هذه التساؤلات ، وبدأنا في مبنى مدرسة ابتدائية في صيف أخريات عام ١٩٦٨ ، بستين فتاة تقدمن الينا للالتحاق بثلاثة تخصصات ، وكتبت الصحافة التونسية عن التجربة ، ومـع نهاية العام الأول كان لدينا ٣٥٠ فتاة . وفي اكتوبر ١٩٧٠ افتتح الوزير الأول مبنى المعهد الحالي ، الذى بني وفق تقسيم يـناسب طبيعة المعهـد وفكـرتـه ، من حيث فصول دراسة وورش تدريب ومساكن مناسبة .

صورة من قريب

مبنى أبيض من طـابق واحد . . وسـطه حديقـة كبيـرة ، على بـابه الحـديدى لافتـة **معهد بـورقيبـة للتكوين المتواصل « الزهور »** ، يحتوى المبنى على ٢٠ ورشة عمل وتعليم ، و٤ قاعات تدريس ، بالاضافة الى عـدد من الورش الصغيـرة ، وأجنحة البيت ، وقاعة الطعام والمبنى الادارى .

فى هـذا العام بلغ عـدد الفتيات ١٢٠٠ طـالبة ، موزعات على ٤٣ تخصصا . . منهم ٣٥٠ فتاة يبتن في المعهد في اقامة كاملة .

ونـظام القبول في المعهـد يتسم بـالمرونـة ، كي يستوعب كل الحالات المحتملة ، فمدة الدراسة إما عام واحد أو ثلاثة أعوام أو خمسة أعوام ، وعند فتح باب التقديم للقبـول في أوائل العـام الدراسي يتم تصنيف المتقـدمات الى متعلمـات وحاصـلات على شهادة مدرسية ، وأميّات ، وبناء على المستـوى يتم توجيه الطالبة الى التخصص والمهنة المناسبة ، والمرونة ليست فى المستوى الثقافى فقط ، بـل فى سن القبول ، والذى لا يحدد بسن معينة .



السيدة داود مدير المركز

ويمنح حق المبيت للفتاة اذا كانت اقامة أسرتها تبعد أكثر من ١٢ كيلومترا عن المعهد .

كيف تمضي الفتيات أيام الدراسة ؟

يبدأ اليوم الدراسي في الساعة الثامنة صباحـا ، فتتوزع الفتيات على التخصصات المختلفة ، وحسب بـرنامـج اليوم ، أمـا ورش عملية ، أو محـاضرات نظرية ، فنظام الدراسة يحدد ساعات التعليم أسبوعيا بـ ٣٠ ساعة تـطبيقية و٦ سـاعات ثقـافية ، وتنتهى الفتـرة الأولى في الثـانيـة عشـرة والنصف ، وتمنـح الـطالبات ساعتين للراحـة ، يتنـاولن فيهـا طعـام الغـداء ، ثم يعـدن من الثـانيـة وحتى الخـامسـة والنصف ، حيث ينتهى اليوم الدراسي ، فتستقـل الطالبات السيارات الخاصـة بالمعهـد لتعود بهن الى بيوتهن ، وتذهـب الطالبات الـداخليات الى أجنحـة السكن . . للقراءة أو الاستذكار أو انجاز أعمـالهن الخاصة .

وداخل الورش يفاجأ الانسان بمهن لم يكن يتصور أن تعمل فيها فتاة ، مثل صناعة الأحذية ، تصليح



دروس في الكي والتنظيف

الساعات ، النجارة ، والتجليد والتصوير والحلاقة وتصليح الادوات الكهربائية والدباغة وصناعة أطقم الأسنان الصناعية ، هذا بالاضافة الى المهن والحرف التقليدية مثل الحياكة والتطريز وصناعة الخبز والحلوى والطهو والنسيج . . . الخ وتجميل الأظافر والتنظيف على البخار وأعمال الصيدلة . . . الخ .

الــى أيـن ؟

في نهاية الجولة سألت مديرة المعهد الى أين تذهب الفتيات بعد التخرج . . ؟ فأجابت بجملة واحدة يتخاطفهن سوق العمل ، وكل عام قبل موعد التخرج تنهال على المعهد اتصالات من جهات حكومية وأهلية تسجل رغبتها في توظيف عدد معين من الخريجات حسب التخصصات المختلفة .

نسأل مرة أخرى عن تمويل المعهد ؟ فتقول السيدة عزيزة داود هناك مصاريف رمزية من الطالبات لا تزيد في أقصى حد عن عشرة دنانير تونسية ، وتختلف قيمة المصاريف حسب التخصص ، أما الفتيات المعوزات فان مشروع التنمية الريفية يتحمل مصاريف تعليمهن ، ويتلقى المعهد معونات مادية ومعنوية من أكثر من جهة حكومية ، لتكفل له الاستمرار في تأدية رسالته .

ويظل هناك سؤال لا يقدم أحد اجابة له ، لماذا لا تحاول كل الجمعيات والهيئات والمؤسسات على امتداد خريطة وطننا العربي أن تقتدى بهذا النموذج ؟ أليست قيمة العمل الاجتماعي والسياسي في أروع معانيها هي في خدمة الجماهير ومساعدتها على مواجهة الحياة وتجميلها ؟

أيختلف معنا احد في أنه ليس هناك ما هو أجمل من أن نحمي زهراتنا من الضياع ؟ فلماذا لا نكف عن الحديث الطويل ، ونبدأ جميعا في العمل ؟! □

محمود عبد الوهاب





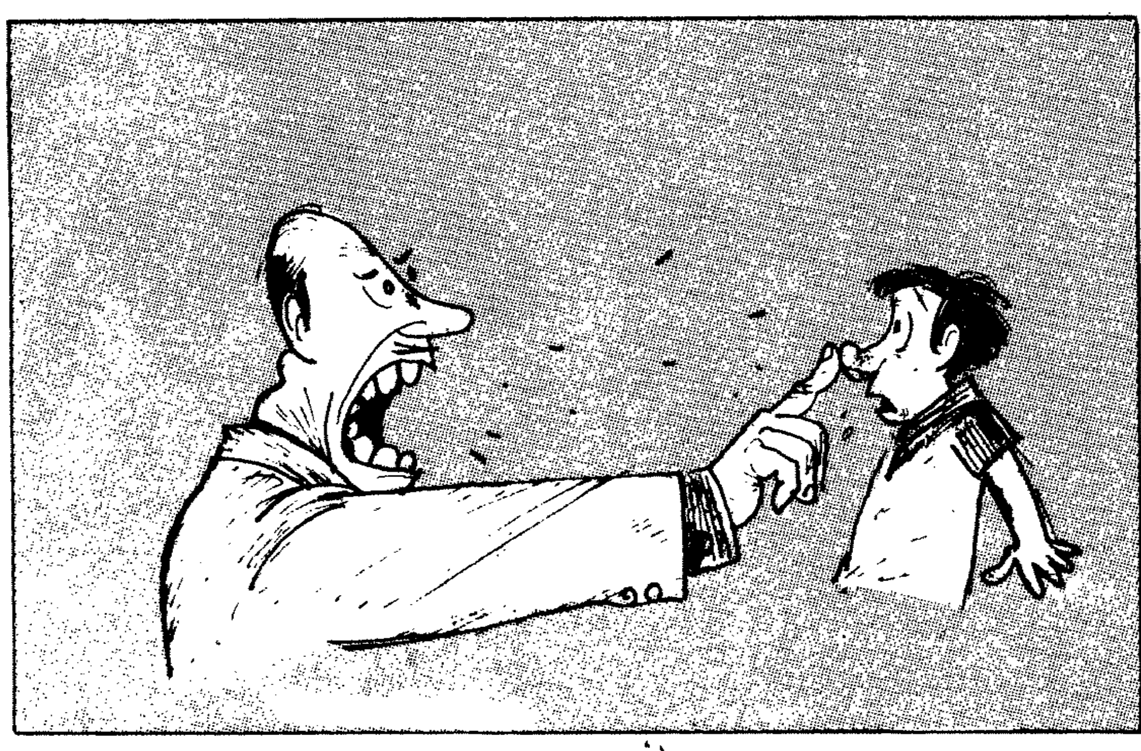
بالرغم من التغيرات الكثيرة التي دخلت على حياة الأسرة العربية ، واقتراب أو ابتعاد الوالدين من نفسيات الأبناء ، فان صورة الأب المتسلط ما زالت باقية في حياة بعض الأسر ، مما يؤثر على الحياة المستقبلية للأبناء . فما رأي المختصين والآباء والأبناء في هذا الأمر ؟

قال لنا الدكتور عزت اسماعيل - استاذ علم النفس بكلية الآداب بجامعة الكويت - : تتعدد اتجاهات الأهل في معاملة صغارهم وتربيتهم وتوجيه سلوكهم ، والواقع أن الذين يسببون « الأذى » بكل أشكاله لأولادهم هم هؤلاء الذين يعانون من مشكلات نفسية خاصة ، ويشتركون جميعاً في أنهم لم ينعموا في صغرهم بالحب والتربية الصحيحين داخل أسرهم ، وأغلب هؤلاء الآباء يغفل عن أن طفله لا علاقة له بتقصير والديه في شأنه وهو بعد صغير .

ما هو التسلط . . ؟

ويستمر د. عزت قائلاً : وأساليب التربية الخاطئة متعددة ، وكلها تؤدي الى الاخفاق في اعداد جيل سليم ، مثل التسلط والقسوة والتدليل الزائد والتفرقة في المعاملة ، والتردد وايذاء النفس بالألفاظ أو بالضرب .

والتسلط هو في الواقع استخدام الأهل للسلطة في توجيه سلوك الأبناء ، فبدلاً من الاعتدال في تربية الصغير تكون المبالغة في متابعة حركاته وسكناته ، وفرض القوانين عليه اينما توجه ،



فالسلطة دون ايذاء هي التي يقبلها الأبناء ويردون عليها بالاحترام والثقة ، أما التسلط فهو المثير الأول لدوافع الكراهية والغضب ، لأنه يكون مقروناً بالقسوة في المعاملة وهو سلوك لا يتفق مع عطف وحنو الوالدين .

ويتابع د. اسماعيل حديثه يقول :
ان الأب المتسلط لديه دائماً أعذار يبرر بها سلوكه ، وهي الخوف الشديد على مستقبل الابن وحمايته من الانحراف ، وبالطبع ليس العنف هو الشكل السليم للتعبير عن حب الآباء لأبنائهم ، وحتى يكون ما نقصده واضحاً فإنني لست ضد الحزم أو حد العقاب اذا اقتضت الضرورة .

هذا من ناحية سلوك الآباء ، ولكن كيف يتأثر الابن بذلك ؟ هل يحقق تكيفاً وتوازناً في حياته وعلاقته بعد ذلك ؟ هل ينجح الابن الذي نشأ في بيئة متسلطة في حياته ؟ .

كيف ينجح الابن ؟

ويجيب د. محمد رفعت عيسى عن هذا السؤال فيقول : لنحدد أولاً ما هو النجاح .. فالانسان ليس هو الذي أصاب تعليماً عالياً أو حصل على أرقى الشهادات .

فهذا يعد تفوقاً ظاهرياً ، فالنجاح الحقيقي يعني أن يتمتع الانسان بشخصية متوازنة علميا وعاطفياً واجتماعياً ، فتكون له علاقات حميمة مع الأهل والأصدقاء ، ونعود الى حديثنا عن الابن المضطهد أو المقهور من قسوة أبيه . هذا الابن لا يمكن أن يصبح شخصية مستقلة ، ولكنه يظل يعاني سلوكاً قلقاً بين رغبته في الاستقلال وبين تأثره بشخصية والده المستبدة التي كثيراً ما تترك بصماتها على نفسه ، وتنعكس على أبنائه في المستقبل بشكل أو بآخر .

وهنا يجرنا الحديث الى تساؤل آخر ، هل يمكن أن يكون للأب المتسلط وجه ايجابي واحد .

ماذا يقول الأبنـــــاء . . ؟

يقول فاروق بعد تجربة عمرها أكثر من عشرين عاماً في تربية أربعة من الأبناء الذكور ، أؤكد أن الأب لا بد أن يلتزم خطاً جاداً يصل الى الحدة في بعض الأحيان ، فالابن لا بد أن يشعر بقوة أبيه وسيطرته على حياة الأسرة بشكل دائم ، حتى لا يغفل عن واجباته تجاه نفسه ، لأن الهدف النهائي لأي أب هو الاطمئنان على مستقبل الابن .

ويقول محمد : عشت أكثر من أربعين عاماً في بيت والدي ، وبلغت معاناتي من سيطرته وتدخله في كل أموري الصغيرة قبل الكبيرة الشيء الكثير ، وعندما كنت في مقتبل حياتي العملية ، كان عمري وقتها يزيد قليلاً على العشرين عاماً ، كنت أعتبره انساناً بلا عواطف . وكثيراً ما تمنيت أن يكون بيننا حوار بدلاً من اتهاماته الدائمة عند أتفه الأخطاء . لم يكن أبي يستوعب بعض الضعف في ابنه ، ولم يفهم مرة واحدة أنني من الممكن أن أحصل في مادة دراسية على علامة « جيد » بدلاً من « ممتاز » كنت في نظره الابن الممتاز دائماً .

الآن أنا طبيب ناجح ، ولكنني أفرط في تدليل ولدي الصغيرين ، ولا اعتقد أنني سأندم .

ويتساءل عن الدور الصحيح الذي يجب اتباعه في توجيه سلوك الأبناء ؟ .

يجيبنا الدكتور عزت اسماعيل فيقول : الأب المتسلط مرفوض مهما كانت نواياه ومقاصده .

ولا أنكر أهمية أن يكون الأب حازماً ، فالحزم مطلوب والحدة مرغوبة في بعض مراحل تربية الأبناء وخصوصا الذكور ، ولكن كما سبق القول دون إفراط يدمر نفسية الابن ويقضي على نمو شخصيته ، فيتحول الى « السلبية التي تدفع الأب الى مزيد من التسلط » . □

●

السراة

خطب زياد يوما فقال : أيها الناس اني قد رأيت خلالا ثلاثا ، نبذت اليكم فيهن بالنصيحة ، رأيت اعطاء ذوي الشرف ، واجلال ذوي القدر ، وتوقير ذوي الاسنان . .

واني أعاهد الله لايأتيني شريف بوضيع لم يعرف له فضل شرفه على ضعته الا عاقبته له . ولايأتيني كهل بحدث لم يعرف فضل سنه على حداثته الا عاقبته له . ولايأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجنه بذلك الا عاقبته ، فانما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم ، وقد قال في ذلك الافوه الاودى :

تهدى الامور بأهل الرأي ماصلحت ... فان تولت فبالاشرار تنقاد

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولاسراة اذا جهالهم سادوا

هو .... وَالـدَتـُهُ

جميلة . . وحيدة . . مدللة ، هكذا كنت طوال حياتي ، فلم يرزق أبواي غيري من الأولاد ، فكنت لهما نور حياتهما ومتعتهما ، فلم يمنعا عني شيئا ، ولم يردا لي طلبا ، ولم يحرماني من تحقيق رغبة أو أمنية ، كنت محط اهتمامهما الدائم ، حتى بعدما كبرت وأصبحت طالبة جامعية . . كان الاهتمام يزداد بمرور الزمن ولا يقل .

فكان والدي اذا خرج مساء يتصل من حيث هو ليسأل:هل أحوالي على مايرام ؟ أينقصني شي ؟ هل أذاكر دروسي ؟ الى آخر هذه التساؤلات التي ان دلت على شيء فانما تدل على فرط الحرص وغاية الاهتمام .

وتزوجت . . وكل ما حولي يوحي أن الحياة ستصير أجمل . . شاب وسيم متعلم مثقف ، ذو شخصية قادرة على احتوائي ، وفوق هذا شديد التمسك والاعجاب بي .

ومرت أيام تأثيث البيت . . وراحت أسابيع الزواج الأولى تلهث وتمر تاركة كلًا منا أمام الآخر واضحاً بلا رتوش ، واكتشفت تعلق زوجي الهائل بوالدته ، وأنه بعد الزواج لم يستطع أن ينفصل عنها ، لا بجسده ولا بعقله ولا بروحه ، فهي محور حياته ، وهي أول من تتمتع باحترامه وثقته . . تلبية خدماتها مسألة لا نقاش فيها ، وكلامها أوامر تجاب ، وحاولت أن أتناقش معه كثيرا ، فأنا لا أنكر عليه حبه لأمه ، ولا أنكر أنها في سن كسنها وحالة صحية كحالتها أحوج ما تكون الى العون والمساعدة ، ولكنني كنت أريده أن يدرك تبعة المسئولية التي التزم بها ، فالمؤسسة التي قَبِلَ بتكوينها والتي وافق عليها باختياره وإصراره لابد أن تأخذ حقوقها كاملة . . ولكن ما يحدث هو العكس . . وارتباطاته العائلية قبل الزواج تقلل من وفائه بالتزاماته ، فكل ما أطلبه من احتياجات منزلية يرفض تلبيتها لانشغاله بالعمل ، وكلما طلبت منه الخروج في نزهة أو زيارة بعض الأقارب أو الأصدقاء يرفض مفضلا زيارة الوالدة ، حتى فقدنا أصدقاءنا واحدا إثر واحد . . وابتعد عنا أقاربنا . . وأصبحت والدته كابوسا يهدد حياتي ، ويسحق سعادتي ، وعندما فاض بي الكيل كما يقولون ، دارت مناقشة عاصفة بيننا . . أوضحت له فيها أنني مع حبه لأمه ومع تقديره ورعايته لها ، ولكن كل هذا له حدود ، وأنني لن أسمح لأحد بأن يسرق مني ساعات هي حق لي أقضيها معه ، وأنني عندما وافقت على زواجي منه لم أوافق على زواجي بأمه ، و . . . و . . . وطوال المناقشة كان يبتسم هادئا ، وبعدما فرغت من الحديث نظر الي طويلا وقال مبتسما ، المهم هو رضاء الوالدة ، ونيل رضاها وبركتها ، كي يفتح الله علينا وينير لنا حياتنا ، وتركني مهزومة مغتاظة وشبح والدته يهدد سعادتي . .

هيا



هي .... أحسن صحبتها

لم أك أتصور أن خنف الرقة والجمال .. كل هذه القسوة والأنانية ، فعندما تزوجتها حلمت بأن تقتسم معي الحياة باشراقها وتجهمها ، وكانت كل المؤشرات تنبىء بهذا فهي رقيقة .. جميلة ، بنت بيت ، اثنى كل الناس على أخلاقها ، وحسن تربيتها ، ولكن لا أدري لماذا تفجرت الخلافات بيننا ؟ وآخر سبب كنت أتوقعه هو أمي ..

وكم ثارت بيننا مناقشات ، واحتدم الخلاف حول رعايتي لأمي ، تعيب على أنني أتردد عليها كل يوم أزورها لأسأل عنها ، أقضي لها حاجاتها من الخارج سواء كانت تريد دواء أو حاجة من حاجيات البيت ، فأمي منذ خمس سنوات وهي تعيش وحدها .. تزوج كل أخوتي ، ولم يبق لها في الدنيا من يسأل عنها إلا نحن « أبناؤها » ، ولا يستطيع أحد أن يمنعني عن البر بها والسؤال عنها والاطمئنان عليها .. وتلومني زوجتي على هذا الالتزام ، وتقول أن التزامي بهذا الواجب يقلل من التزامي ببيتي ومسئولياتي ، وأنني لم يكن يصح لي زواج طالما ارتباطي بأمي الى هذه الدرجة ، وأقول لها .. يارفيقة الدرب أنا لا أستطيع أن أتخلى عن واجبي تجاه أمي ، ولا أستطيع أن أتركها وحيدة بين أربعة جدران ، تنعي العمر الذي ضاع على تربية أبناء جاحدين ، ولا ذنب لي أن أخوتي لا يقومون مثلي بهذا الواجب ، فليس معنى تقصيرهم أن أقصر أنا أيضا ، فكل منا مسئول عما يفعل ، ولا أستطيع أن أتركها وأنتظر أن أسمع عنها ، وأنا بامكاني أن أسمع منها ، ويازوجتي هذا دين لا مفر منه ، كما نسدده نحن الآن سيسدده أولادنا تجاهنا ، ولقد كان تصوري أن وفائي لها يسعدك .. أو يعطيك مؤشرا على التزامي نحوك « فخيركم لأهله خيركم للناس » واذا لم يكن لدي خير لأمي فليس لدي خير لأحد بعدها .. ولكنها - زوجتي - سامحها الله لم تقتنع ، وتصورت أن بري ووفائي بأمي كابوس يهدد سعادتها .. ويغتال هناءها .. ولم تراع مشاعري ، وقالتها لي في وجهي .. وكأنها تغار من أمي .. أو كأنني مملوك أمتلكته - لا مفر لي من الجلوس بين يديها طوال اليوم .. وعندما وصلنا الى نقطة عدم الفهم في النقاش ، أنهيته بقولي بأني لا أستطيع أن أفعل شيئا ، وسأحسن صحبتها ما بقيت .. فهي أمي التي لن يعوضها الزمان أبدا ، ولن أغفر لنفسي لو قصرت في حقها ..



هو

من الحياة

كيف نعيش الغد بلا قلق؟

بقلم : منير نصيف

تعقدت الحياة واضطربت ، ووجد الانسان نفسه ضائعا وسط هذا العالم الغريب الذي يعيش فيه . وفجأة وجد نفسه يقف حائرا أمام الأخطار التي تتهدد البشرية ، يتساءل في خوف وقلق : (ترى كيف يكون الغد ؟ كيف ستكون الحياة التي سيعيشها أبنائي وأحفادي وشبح الحرب النووية يخيم على الكون كله ؟) .

لقد ولت الأيام التي عاشها أجدادنا وآباؤنا تحت الشمس الدافئة التي كانت تحنو عليهم . . لم تعد الحياة بسيطة هادئة آمنة . . لقد تغير كل شيء ، وبسرعة هائلة لم تتح لانسان القرن العشرين لحظة تأمل قصيرة يرى فيها ما صنعته السنون التي حملت في مسيرتها حربين عالميتين ، أهلكت نيرانها الملايين من البشر ، وتقدما علميا هائلا لم يكن كله من أجل سعادة الانسان ، وغزوا غريبا للفضاء الذي طالما أحاطه الغموض حتى كشفت السفن الذاهبة اليه والعائدة منه حقائق ، تمنى الانسان لو لم يعرفها . . ألا يكفي أن يكف الشعراء عن وصف الجمال بالقمر بعد الذي عرفوه عن قبحه واستحالة الحياة على سطحه !

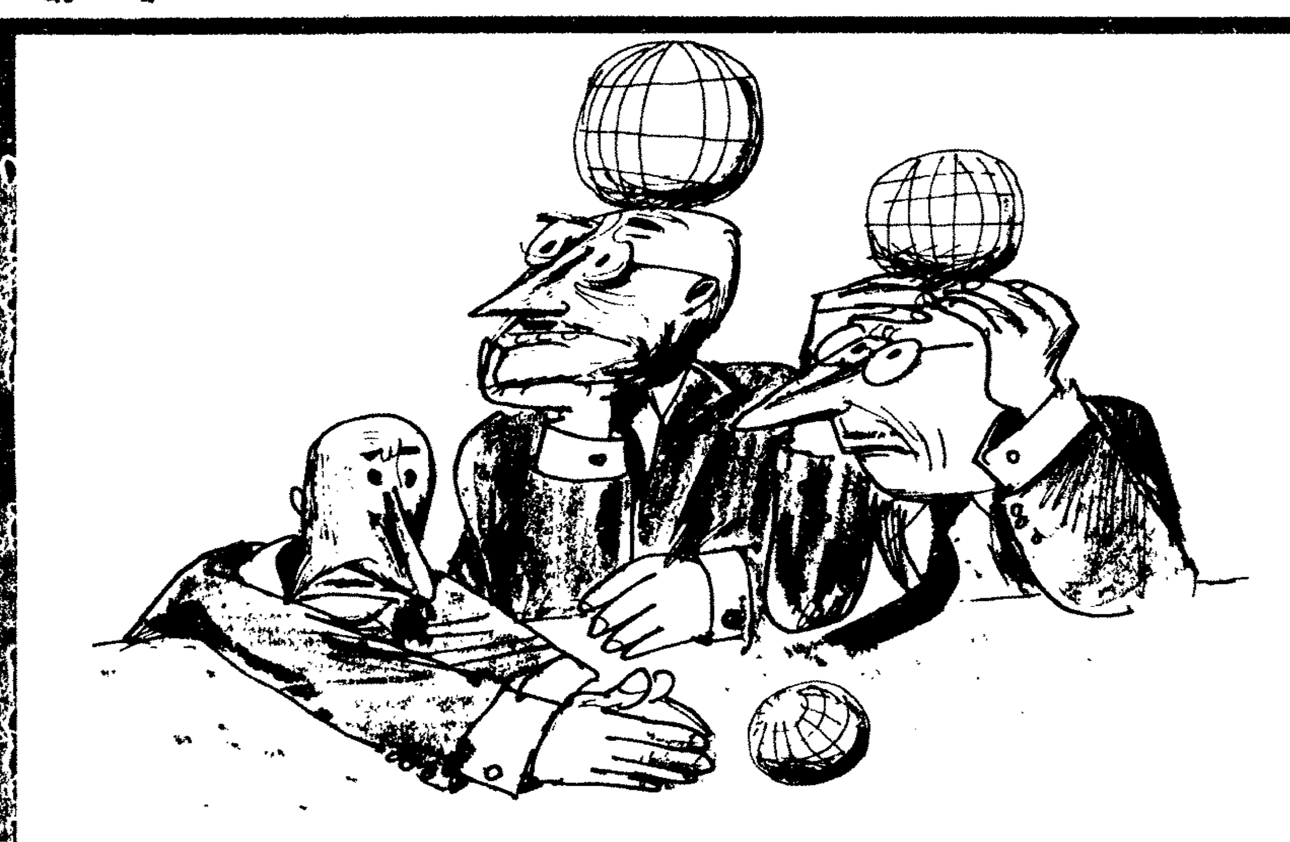
انسان هذا القرن اذن يعيش حياة يحتويها التوتر . . ترى ما الذي يمكن أن نفعله للخروج من هذه الدائرة المظلمة ؟

القلق والتفكير

لقد اختلفت آراء علماء النفس وتضاربت ، ولكنهم في النهاية أجمعوا على شيء واحد ، وهو أن هذه المشاعر التي تعتمل في صدورنا ، وتشغل تفكيرنا ، وتهد كياننا ، هي في واقع الحال نتيجة حتمية لاستجابة نفوسنا للعوامل التي تسبب لنا هذه المشاعر . . فاذا تعلمنا كيف نحد من هذا التجاوب ، نجحنا في التغلب على قلقنا ومخاوفنا ، واستطعنا أن نطرد من نفوسنا أسباب التوتر الذي يصيب حياتنا .

والقلق والفكر شيئان متلازمان . . فالانسان يفكر ولكن هناك فرق بين تفكير وتفكير . . هناك من يترك المجال لأفكاره تسبح وسط الظلام الذي يحيط بكل شيء حوله ، وهناك من يفكر ولكن بأسلوب آخر ، فلا يدع للأفكار المظلمة والصور الكئيبة مجالا لغزو رأسه وعقله . . وليس معنى هذا أنها لا تدور في مخيلته ، فهي قد تحوم حولها ، وقد تحاول أن تنفذ إلى قلبه ، ولكنه يطردها ، ويسد الطريق أمامها .

يقول نورمان فنسنت بيل ، أحد علماء النفس المعروفين في كتابه (دليل لحياة مطمئنة) :



« نحن في حاجة الى البحث عن أساليب عملية لتفكيرنا ، لأن ملكة التفكير ، هي واحدة من أعظم القدرات التي يتمتع بها الانسان ، فحياته لا تسيّرها الظروف الخارجية ، ولكنها تخضع للافكار التي تدور في ذهنه . المرء ـ رجلا كان أو امرأة ـ هو وحده القادر على خلق عالمه الخاص به بفضل ما يعتمل في رأسه من أفكار . ولقد قيل يوما (إن الرجل هو ما يأكل) ولكن قبل الأكل يأتي الفكر . . فالرجل يفكر فيما يأكل قبل أن يأكل . . واذن (فالرجل هو ما يفكر) والمرء في النهاية هو خلاصة ما يدور في عقله الظاهر وعقله الباطن في آن واحد! »

حتى في نومه

ويقول ماركوس أوريليوس أحكم حكماء روما : (ان أفكارنا هي التي تصنع حياتنا) بينما يقول ايمرسون فيلسوف أمريكا : (ان المرء هو ما يشغل تفكيره طوال ساعات يومه ، وحتى في نومه !)

وكل واحد منا يجد نفسه مشغولا بالتفكير في أمور كثيرة طوال اليوم ، ولكن كثيرا ما يجد المرء نفسه وقد ركز تفكيره كله في أمر معين ، أو مشكلة بذاتها ولا تلبث هذه المشكلة أن تسيطر على تفكيره كله حتى تنسيه كل ما عداها من أمور أخرى ، حتى اذا كان بعضها يمكن أن يثير في نفسه بعض الانفعالات السعيدة فرأسه المزدحم لم يعد قادرا على افساح مكان لها .

هذا الشعور المضطرب يبدأ أول ما يبدأ بخيط قد نراه كالطيف أمامنا ولكن الصورة لا تلبث أن تتكرر وتستقر في أذهاننا على مر الأيام . . عندئذ نجده قد اتخذ له أخاديد عميقة في رؤوسنا ، أشبه ما تكون بمياه الامطار التي تتجمع في بطن الجبل . . انها لا تبرحها الا اذا وجدت لها منفذا ينقلها من القمة الى السفح .

الخوف ينمو ويترسب

يروي نورمان فنسنت بيل قصة الأم التي كانت تقف أمام ابنتها في صباح كل يوم قبل ذهابها الى المدرسة وتقول لها : (خذي حذرك يا ابنتي وأنت تعبرين الطريق . . لا تنسي أن تتلفتي يمينا ويسارا لتتأكدي من خلو الشارع من السيارات . . الله يرعاك) .

لقد كانت الأم المسكينة تعاني من تعب نفسي ترسب في رأسها وانعكس على كل تصرفاتها وأحاديثها . . فهي لم تكن ترى من الدنيا الا وجهها المظلم .

وقد أدى تكرار هذا التحذير الذي كانت تسمعه كل صباح الى تولد شعور غريب لديها ، فقد أصبحت الفتاة ، حتى بعد أن تجاوزت مرحلة الطفولة . . تشعر بخطورة تلك الرحلة التي تقوم بها يوميا الى مدرستها . . وكبر هذا الشعور معها واستفحل ، فلما غدت زوجة وأما صارت تنظر الى الدنيا من حولها ، كما لو كانت غابة فسيحة مليئة بشتى أنواع المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها في حياتها . شيء واحد استطاع أن يضع حدا لهذه المخاوف ويخلصها منها ، هو حب زوجها لها ، فقد جعلها ترى لأول مرة الحياة من حولها بعينين جديدتين ، وتدرك أن الدنيا ليست بهذا السوء الذي كانت تتصوره ، وانها مليئة بألوان من الصور الجميلة .

وقصة أخرى

ثم قصة أخرى . . قصة امرأة كاد التعب النفسي يودي بحياتها . . لقد عرفت الخوف في طفولتها ، ومع هذا الشعور المدمر ، تولدت في نفسها عقدة ظلت تلازمها سنوات طويلة حتى شاءت الصدفة وحدها أن تخلصها منها . . انها قصة واقعية جرت حوادثها في لندن ونشرت الصحف تفاصيلها .
قصة طفلة صغيرة وقفت منذ ثلاثين عاما ترقب في فزع ورعب شديدين ، ما حدث لأمها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد أن وضعت طفلها الثاني . . فقد أصيبت الأم بنوبة قلبية مفاجئة في نفس الوقت الذي كان طفلها يطلق صرخته الاولى وهو يستقبل الدنيا الجديدة .

وترك الحادث في نفس الطفلة جرحا عميقا ، زادته السنون عمقا على عمق ، حتى كبرت الطفلة وأصبحت امرأة ناضجة . . وتقدم أحد الشبان يطلب يدها من والدها وفوجىء الأب بابنته تختفي تماما . . وراح يبحث عنها في كل مكان يمكن أن تكون قد لجأت اليه . . ولكنه لم يعثر لها على أثر . .

ماذا حدث ؟ وذهب الأب يحمل حيرته الى أحد الأطباء النفسانيين ويسأله المشورة ، ورافق الطبيب الوالد الحائر في رحلته الطويلة وهو يروي له قصة ابنته من بدايتها . . وقال الطبيب أخيرا : (لقد هربت ابنتك من الزواج يا سيدي . . لا لأنها لا تريد أن تتزوج . . ولكن لأنها لا تريد أن تحمل وتنجب أطفالا ويحدث لها ما حدث لأمها !

وانقضت بضع سنوات أمضاها الأب المسكين مع ألمه وحزنه حتى شاء القدر أخيرا أن يجمع بينه وبين ابنته مرة أخرى . . لقد عثر عليها وهي تقف عند محطة الاوتوبيس تنتظر . . وكان لقاء حارا . . وقالت الابنة وهي تمسح له دموعه بمنديلها الصغير : (اعذرني يا أبي فأنا أخاف الموت) .

وعادت معه الى البيت الذي هربت منه . . وانتهت رحلة البحث والعذاب . . ولكن القصة لم تنته ، لقد كان الشاب الذي طلب يدها منذ سنوات ، ما زال بدوره يبحث عنها . . هي أيضا كانت تحبه . . ولكن هل يرضى بها زوجة فقط دون أن تصبح بعد ذلك أما لأطفال قد لا تعيش لتراهم ؟)

ورضي بها زوجة ، ومضت الأيام ، وحملت . . وبدأ عذابها مع نفسها ، هل تتخلص من الجنين ؟ وكيف تضمن أنها في هذه المحاولة ستنجو مما خافت منه ؟ وطردت الفكرة من رأسها وعاشت شهور

الحمل في قلق وخوف حتى جاءت اللحظة أخيرا . . وعندما حملوها الى المستشفى كانت تهذي وتنادي أمها ، وكأنها معها على موعد .

ولم ينتظر الأطباء طويلا . . فقد حملوها الى غرفة الجراحة ، ولم تشعر بشيء بعد ذلك . . لقد ذهبت في نوم عميق بعد أن أجروا لها عملية تخدير سريعة ، وعندما فتحت عينيها وجدت مولودها الصغير بجوارها . . وكان يبكي . . لقد عاشت ورأت طفلها ، ولأول مرة منذ سنوات طويلة أحست الفتاة بالهاجس الغريب الذي ظل يحتويها ، وقد فارقها الى غير عودة . . لقد ولدت من جديد . . وقال الاطباء : « لقد كاد قلبها قبل التخدير يتوقف عن النبض تماما . . لقد جاءت الينا في أسوأ حالاتها » .

عش ليومك

ونعود الى حيث بدأنا . . اننا نعيش اليوم في عالم ملء بأسباب القلق والخوف والتعب النفسي . . وكلها أمراض لازمت الحياة المضطربة التي أصبحت طابع هذا القرن . . الحياة السريعة المجنونة التي نحاول أن نلحق بها وكأننا معها في سباق لا ينتهي ، ونحن لا نستطيع أن نتخلف عن هذا السباق . . ولكن الذي نستطيع أن نفعله هو أن نتعلم كيف نميز بين الأسباب الحقيقية التي تدعو الى القلق والاضطراب ، وبين الأوهام والتخيلات التي قد تثير مخاوفنا بلا مبرر . . ولكي ننجح في محاولتنا هذه ، فلا بد لنا أن نكون على قدر من الذكاء والحكم السليم على الامور . . بهذا وحده نستطيع أن نطرد مخاوفنا ، وأن ندرك متى يجب أن نشرك معنا فيها الآخرين ، ومتى يجب أن نحتفظ بها داخل نفوسنا ، فنواجهها وحدنا بكل ما لدينا من شجاعة وقدرة على التحكم في مشاعرنا .

ان اذاعة الخوف تشل تفكير المذيع والمستمع على السواء ، والافصاح عن مخاوفنا قد يؤدي في الوقت نفسه الى التقليل من حدة التوتر الذي نحس به . المهم أن نعرف متى تكون هذه المخاوف حقيقية ومتى تكون مجرد أوهام وتخيلات .

ويقول علماء النفس ان ٨٠٪ من حالات الامراض النفسية التي يعاني منها هؤلاء الذين يترددون على عياداتهم لا تقوم على أساس من الخطر الحقيقي الذي يتصورون أنه يتهددهم ، وانما هو خوف قائم على أساس خطر مرتقب أو متوقع .

فالخوف من الغرباء ، والخوف من الجراثيم والامراض ، والخوف من الولادة عند الامهات اللاتي ينتظرن مجيء مولودهن الاول . . كل هذه مخاوف قائمة على خطر غير مرئي ، وقد لا يكون له وجود الا في مخيلتهم فقط .

فلنعش اللحظة التي نحن فيها ، لأن أحدا لا يعلم ما سيأتي به الغد . □



بـ (أحسنت) لا يباع دقيق !

كان جحظة يقرض الشعر ويغني في مجالس الكبار ، فكان اذا حضر وغنى ردد المجلس أحسنت . . . أحسنت ، ولم يكن يحصل على شيء . فقال فيهم جحظة :

إن تغنيت قال : أحسنت زدني — و بـ (أحسنت) لايباع دقيق .

طب الأسرة

مشاكل التسنين عند الأطفال

منذ الشهر الرابع في حياة الطفل تبدأ مرحلة ظهور الأسنان ، وتستمر هذه المرحلة حتى عمر السنتين تقريبا ، وعلى مدى هذه الشهور يصاحب الأم القلق تجاه صحة طفلها الصغير ، ونتيجة هذا القلق والمفاهيم الشائعة يسود لدى كثير من الأمهات اعتقاد خاطىء حول عملية التسنين ، فنجد أن الأم تعزي سبب مرض الطفل وهزاله وارتفاع درجة حرارته لعملية التسنين ، وهذا مفهوم مناف للحقيقة ، فالطفل يفقد مناعته الطبيعية التي اكتسبها وهو جنين بعد ثلاثة أشهر ، ومع الشهر الرابع تضعف المقاومة وتبدأ عمليات التسنين ، ويبدو من هنا أن هذا الارتباط هو الذي خلق هذا المفهوم .

فماذا تعرفين عزيزتي الأم عن عملية التسنين ومشاكلها ؟ تعالي معنا نسترجع بعض المعلومات الأساسية عن هذه الفترة المهمة والحرجة .

لا يتحدد ظهور السن الأولى بعمر معين ، فقد يظهر في الشهر الرابع أو الخامس ، وقد لا يظهر خلال السنة الأولى من عمره ، وهذا لا يعني ضعفا في صحة الطفل ، بل هو أمر طبيعي جدا لا يدعو للقلق .

الا أنه لابد أن تكون قد ظهرت بعض الأسنان في فم الطفل في الشهر الرابع عشر ، أما في حالة استمرار ضمور الأسنان حتى سن ١٨ شهرا ، فلابد من استشارة اخصائي أسنان،وأول ما يظهر من الاسنان هما السنّان الأوليان السفليان (القواطع المركزية) ثم يتلو ذلك ظهور السنين العلويتين ثم الأضراس ، ويظهر الناب في الشهر الثامن عشر ، وتتوالى بقية الأسنان خلال هذه المدة .

وخلافا لما هو شائع فان التسنين لا يصاحبه أي أعراض سوى تهيج واحمرار في اللثة ، الى جانب ازدياد كمية اللعاب السائل في الفم . فلا يحدث ارتفاع في الحرارة ، ولا التهابات معوية ، أو نزلات شعبية أو تشنجات . غاية الأمر رغبة شديدة في الضغط على المواد الصلبة والشد عليها ، مما قد يريح اللثة المتهيجة ، وعلى الأم أن تمنع طفلها عن مضغ المواد الصلبة أو الباردة ، لأنها قد تكون سببا رئيسيا في الالتهاب الرئوي . يفضل الطفل السوائل المختلفة الأنواع عن الأطعمة الصلبة في هذه المرحلة .

كيف تحمين أسنان طفلك ؟

يعتبر السكر العدو الأول لأسنان الطفل ، فهو مادة ضارة بالأسنان ، تؤدي الى اصابتها بالتلف والضرر بصحة الفم . فتناول المادة السكرية يعني تشكيل مادة حمضية حالا في الفم وهي تقضي على المادة غير العضوية الموجودة في المينا الخارجي الذي يحيط بالأسنان ، وهذا من شأنه خلق فجوة في السن تشوه منظر الفم .

ويزداد تلف الأسنان ، وتنتقل المادة الحمضية هذه من سن الى آخر ، لتهاجم كل الأسنان ، بل قد تتسع دائرة التلف والتعفن حتى تشمل اللب الداخلي للسن والأعصاب والشرايين ، مما يعد سببا رئيسيا في الآلام الحادة التي تصيب الانسان ، وفي النهاية تكون حصيلة تناول المواد السكرية موت اللب ، وامتلاء الجزء الداخلي من السن بالصديد حتى يصل الى السطح .

ان الحلويات وأنواع الوجبات الخفيفة أكثر أنواع المأكولات ضررا من حيث طريقة تناولها . وهي بدورها لن تحرر الأسنان من المادة الحمضية القاتلة للب السن .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

بريد الأسرة

النكهة

● أرجو افادتنا عن مفهوم النكهة في عرف الطب ، وما هو دورها بالنسبة للانسان ، حيث لوحظ أن بعض الناس يحبون بعض الطعام الذي ينفر منه البعض الآخر ، فما هو السر ؟ ولكم الشكر .

س . ع - حمص

أصطلاح النكهة يرتبط عادة بالطعام ليربط حاستين من حواس الانسان وهما حاسة الشم وحاسة الذوق .

ولاشك أن هناك ارتباطا عصبيا له أهميته في عملية الهضم ، لان نكهة الطعام سواء منها رائحته أو طعمه تساعد على أفراز العصائر الهاضمة ، وأولها اللعاب ومنها عصائر المعدة ، وبالتالى تيسر الهضم والامتصاص .

كما أن النكهة قد تنفر الانسان من طعام ما غالبا ما يكون ضارا أو فاسدا ، وقد درس بعض العلماء قضية النكهة هذه فوجدوا أن هناك مايزيد عن (٢٨) نكهة يستطيبها البشر هى محصلة حاستي الشم والتذوق معا ، ومن هنا نجد أن المصاب بالزكام يفقد متعته بالطعام لانه فقد احساس الشم وهو أحد شروط النكهة ، وكذلك المصاب بالتهاب بالفم .

وقل من يعرف أن حاسة الشم أقوى بكثير من حاسة الذوق ، وربما (على حد زعم العلماء) تفوقها بخمسة وعشرين ألف مرة ، ومع هذا لاتنال اهتماما كما تناله حاسة الذوق التى تتفرع الى أربع حواس ، هى الملوحة في طرف اللسان الأمامى وجانبه ، والمرارة في مؤخرة اللسان ، والحموضة على الجانبين ، والحلاوة مبعثرة في أكثر من موضع وتتركز في الامام ، لكن الغريب في الأمر أن طعم المرارة يفوق كل أنواع أحاسيس الذوق الأخرى بألف ضعف ، ومع هذا فهو طعم مكروه ، منبوذ ، بينما طعم الحلاوة الاقل شأنا والأضعف هو الأكثر قبولا واستساغة من قبل الانسان ،ومع هذا فقد لوحظ أن الحلاوة الزائدة عن الحد قد تتحول الى طعم المرارة أحيانا .

وعلى هذا المنوال تتحول الملوحة الخفيفة الى طعم حلو عند بعض الناس ، ممن نراهم يأكلون الجبن المالح مع البطيخ الحلو أو العنب على سبيل المثال .

على أي حال فالنكهة أمر نسبي تدخل البيئة والتربية والعادات في ترسيب مفهومه ، لانه أمر عصبي يرتبط بمراكز المخ المختصة أولا وأخيرا .

معامل روسوس

اكتشفت مصادفة أثناء تحليل دمى أنني أنتمى الى فصيلة روسوس السلبي ، وقد علمت أن هذا العامل يؤثر على أولادى فى المستقبل .

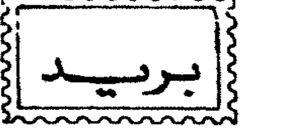
فما هي درجة الخطورة يا ترى . . .

وما هو التصرف السليم ؟

و . ن

الكويت

ان اكتشاف فصائل الدم الأربع على يد العالم النمساوى الأصل الأمريكى الجنسية كارل لاند شتايز عام ١٩٠٠ يعتبر منعطفا خطيرا فى تاريخ

بريد الأسرة

الطب وانقاذ ملايين الأرواح التي كانت تحت رحمة الموت لولا عمليات نقل الدم .

ومع هذا فقد بقيت هناك خطورة في عمليات نقل الدم ، بالرغم من توافق فصائل الدم بين المتبرع والمريض ، الى أن اكتشف لاند شتايز عام ١٩٠٤ ان هناك في دم غالبية البشر عاملا جديدا اطلق عليه اسم عامل روسوس ، لوجوده أيضا في دم بعض انواع من القرود من نوع روسوس ، الا أن هناك حوالى ١٥٪ من البشر يعتقدون أن عامل روسوس هذا في دمهم ، وهؤلاء يطلق عليهم أصحاب عامل روسوس السلبي ، ولا يصح أن ينقل اليهم الا ذات الفصيلة ، اذا كانوا بحاجة الى نقل الدم .

كما وجد أن النساء من فصيلة دم عامل روسوس السلبي قد يؤدي تراكم العامل المضاد في دمهن اذا حملن الى تكسير في كرات الدم الحمراء في دم الوليد ، غير أن الزوج لا دور له في هذا الخطر ، اللهم سوى توريثه بعضا من أبنائه هذه الفصيلة .

لهذا تنصح المرأة ذات فصيلة دم روسوس السلبي أن تلد في المستشفى ، تحت اشراف طبي ، حيث يمكن اجراء نقل دم الوليد فورا ، هذا الى أنه تم استحداث طعم مضاد يعطى للوالدة ـ يمنع احتمالات الخطر على المواليد في المستقبل .

الصداع وضغط الدم

اعاني منذ مدة من صداع شديد يداهمني بين حين وآخر لم اجد له شفاء بالرغم من كثرة العقاقير التي استعملتها الى ان اكتشفت ان السبب هو اصابتي بارتفاع ضغط الدم .

لقد اتبعت ارشادات الطبيب وتعاطيت العلاج المناسب ولكن الصداع مازال يلازمني كما انني مازلت اعاني من ضغط الدم المرتفع فهل هناك من علاج شاف يوقف الصداع ـ ويشفيني من ارتفاع ضغط الدم ؟

صادق . ع . الكويت

من الاخطاء الشائعة عن مرض ضغط الدم المرتفع قناعة الكثيرين أن الصداع هو أحد الاعراض الملازمة لهذا المرض ، اذ من المتفق عليه أن ضغط الدم عندما يرتفع عن حده الطبيعي لا يعطي أعراضا معينة ثابتة ، لهذا سمي بالمرض الصامت ، وانما يكشف عنه فحص الطبيب لمريضه بواسطة مقياس ضغط الدم ، ولقد اتفق الاطباء على أن الصداع الذي قد يصاحب ارتفاع ضغط الدم قد يكون له أكثر من سبب ، والغالب فيها هو التوتر العصبي الذي بدوره يكون سببا في ارتفاع ضغط الدم ايضا .

كما يصاحب هذا قناعة البعض أن علاج ضغط الدم المرتفع سوف يشفي المريض من الصداع ، ومن ارتفاع ضغط دمه ، والواقع أن ارتفاع ضغط الدم سببه تغيرات مرضية في جدران الشرايين تؤدي الى تصلبها ، وهي الامر الذي لا يمكن العودة به الى الوراء لهذا فان علاج ارتفاع ضغط الدم يقصد به السيطرة على ضغط الدم وحفظه في حدود المستويات الطبيعية ، مما يستوجب الاستمرار في تعاطي العلاج ومراعاة الحمية وخاصة أمر التقليل من ملح « الطعام ، هذا الى جانب القياس الدوري لضغط الدم للاطمئنان على ثباته .

مساحة ودّ

هكذا يكون الحب

كانت فتاة تشع بهجة كأنها « سندريلا » الأسطورة القديمة ، لها ابتسامة في لون الصباح الصافي ، كلما أشرقت بعثت الدفء في شرايين علاقاتها مع الآخرين . أشواقها في الحياة الحب والارادة ، كانت متميزة متوثبة دائما للنجاح . وكثيرا ما كنا نمزح معها ونعلن عن تعاطفنا مع « عريسها » « المسكين » الذى لن يستطع التقاط أنفاسه عندما يشاركها عربة الزواج .

وجاء العريس وتجسد الحلم المتوقع . . التقت به ذات صباح في مدرجات كلية الطب . . زميل شاب يميزه هدوء شديد ، اقرب الى الخجل ، وفي ظاهر أموره لا يتناسب مع حماسة صديقتنا الطموحة بجمالها وثرائها ونسبها العريق ، ووجدت نفسها تسبغ عليه اهتماما خاصا ، ووجد نفسه يحدثها بنبض قلبه ، واتفقا على الزواج وامتد بينهما جسر مفعم بالحب والاخلاص ، حتى تخرجا من الجامعة ، وتقدم لاسرتها « عريسا » . . ذهب اليهم يحمل في يده بكالوريوس الطب ، ويحمل في اليد الأخرى شبابا وطموحا ، وغرفة صغيرة في حي فقير ، وبدا مستحيلا أن يقتنع الأب أن لابنته الوحيدة مستقبلا مع زميلها الطبيب في غرفته المتواضعة ، فأحجم عن منحه تأشيرة دخول .

واختلفت السندريلا مع والدها لأول مرة ، وأعلنت أنه الوحيد الذى تجد فيه « مؤهلات » الانسان الرفيق ، انه الزوج « الشريك » وليس الزوج « الحل » فليس لديها مشكلة يعوزها الحل .

ومنحته اقامة دائمة في قلبها وبدأ معا « رحلة كفاح » طالما اسمتها « رحلة سعادة » .

انتقلت للعيش معه في بيته الصغير في الحي الفقير النائي ، واستطاعت أن تحيا معه حياة متواضعة لم تألفها في بيت أبيها الواسع ، وعلى مائدة الطعام القديمة في المطبخ الصغير كانا يتحدثان كثيرا عن المستقبل ، وشهدت جدران البيت الباهتة نسيج أحلامهما في حياة أفضل ، وكانت ابتسامتها تذيب همومه عندما تطل الصعاب برؤوسها ، فدخلهما لا يكاد يفي بأدنى المتطلبات .

ومرت السنوات . . وهما بين العمل والدراسة ، وبقيت ارادتها القوية تحكم الموقف دائما ، حتى حصل الزوج الشاب على الماجستير ، وكانت لحظة لا تنسى ، وبدأ الحلم يخطو أولى خطواته نحو الحقيقة ، عندما أتاح له ذلك فرصة عمل أفضل ، وتفتحت أمامها أبواب كثيرة .

واذ أخفق زوجها في الحصول على الدكتوراه عندما تقدم لنيلها أول مرة ، لم تيأس ، وأغرته بالمزيد من الجهد ، واخذت تسد كل الثغرات التى يمكن أن ينفذ منها الفشل .

وما ان استقر الرداء الجامعي المخملي على كتفي زوجها بعد نيله شهادة الدكتوراة في الجراحة ، حتى بدا لها أن العالم الرحب يضيق بفرحتها .

وبعد خمس سنوات أخرى نالت « قوية الارادة » شهادة الدكتوراه في طب الأطفال .

وأعد لها زوجها احتفالا كبيرا ، دعا اليه الأصدقاء والزملاء ، وفي الصورة التذكارية للمناسبة وقفت مستندة الى ذراع زوجها ، وظهر صغيراها التوأمان وهما يتكئان على ركبتي جدهما في قلب الصورة ، وبدا كأن الجميع يقولون : هكذا يكون الحب . . . . !

وفاء طه ناجي

أقوال في المرأة :

* المرأة كالطعام . . أبسطه لايمل منه الانسان .
* المرأة العظيمة . . هي التى كلما اقتربت منها أحببتها . . والمرأة التافهة هى التى كلما اقتربت منها زهدتها .
* حب المرأة لأطفالها أمومة . . وحب الرجل لأطفاله انسانية .
* لايموت الحب في قلب المرأة لانه غايتها في الحياة . . ولا يغمر الحب قلب الرجل لانه إحدى وسائله في الحياة .
* إذا اردت أن تتمتع بالحياة . . فخذ الرياح أينما تهب . . والمطر كيفما يهطل . . والمرأة مثلما تكون .

****

تجربة :

جرب أن تفتح قلبك على مصراعيه لصديق يحبك ويصبر على ما تعترف به من شئونك وآرائك حتى ولو كانت تمسه .

ستحس لو فعلت بأنك قد جمعت همومك كلها والقيت بها في بحر كبير لاشاطىء له ولاقاع .

□□

حكـــاية

حدث مرة أن سمع أحد الاثرياء أن حكيما صينيا كان في حاجة الى طعام وكساء . . فأرسلها اليه . ولكنه عندما فعل ذلك أرسل الهدية مع خادم له الى الحكيم ومعه رسالة تقول : « عندما اقترض من انسان أنسى ذلك ، وعندما أعطي لاحد شيئا أعطيه خالصا كما لو كنت ألقي به بعيدا » . .

ولكن الخادم عاد بالهدايا قائلا أن الحكيم لم يقبلها ولم يذكر أسبابا لرفضه ، وعندئذ ذهب الثري الى الحكيم يسأله : عندك الكثير وليس عندي شيء . . فلماذا لم تقبل هداياي ؟

أجابه الحكيم : انك تعطي كما لو كنت تلقي بما تعطيه بعيدا في حفرة . . ورغم فقري فاني لا أستطيع أن أتصور نفسي حفرة يلقي الناس فيها فضلاتهم . . ولو كانت من الذهب والياقوت . . !

في الصميم :

* صحبت الأحرار وأمنت العبيد . . فما وجدت اصدق صحبة من ظلي وآمن رفقة من نفسي . .
* عاداني الاعداء وأذاني الحاقدون . . فلم أر أعدى من صديق ولا أخبث من رفيق .
* نصحني الناصحون ووعظني الواعظون . . فما نصحني مثل حزني ولاوعظني مثل همي .
* استضأت بنور الشمس والقمر . . فما وجدتِ ضياء أطهر نورا وأشد قوة من نور قلبي . .

□□

■ هل جربت مرة أن تتصرف كطفل ؟ جرب . . وستجد أنك أصبحت من أسعد الناس . . حتى وأنت تبكي بمرارة . . !

حاول أن تعبر عن نفسك ببساطة . . لا تكتم سعادتك . . ولا تكتم أحزانك . . تفرح بالناس كما يفرح الاطفال بزملاء اللعب . . واذا أغاظك انسان فعبر بصراحة عن غيظك من تصرفه . . وستجد أنك في أغلب الظن قد احتفظت بصداقته . . بعد أن كنت ستحظى بعدائه

حق الجار

يقرر الامام الغزالي أن حق الجار في الجملة هو : أن تبدأه بالسلام ، وتعوده في المرض ، وتعزيه فى المصيبة ، وتهنئه بالفرح ، وتصفح عن زلاته ، ولا تتطلع الى عوراته ، ولا تضيق طريقه الى الدار ، ولا تغفل عن ملاحظة داره ان غاب ، وتتلطف بولده وترشده الى ما يجهله فى أمر دينه ودنياه .

□□

امتحان

جاء رجل يمتحن الخليل بن احمد الفراهيدى بمسألة ، فجعل الخليل يفكر ويطيل التفكير ، وأبطأ في الجواب ، فأعجب الرجل بنفسه ، وقال للخليل متفاخرا متباهيا : لِمَ تكثر التأمل فليس في هذه المسألة من الصعوبة ما يستدعى اطالة النظر ؟ فقال الخليل : قد عرفت مسألتك وجوابها ، وانما أفكر في جواب أسرع لفهمك فاتعبت نفسي بما قصدت اراحتك به ، فخجل الرجل وانصرف .

□□

****

نفوس الكبار

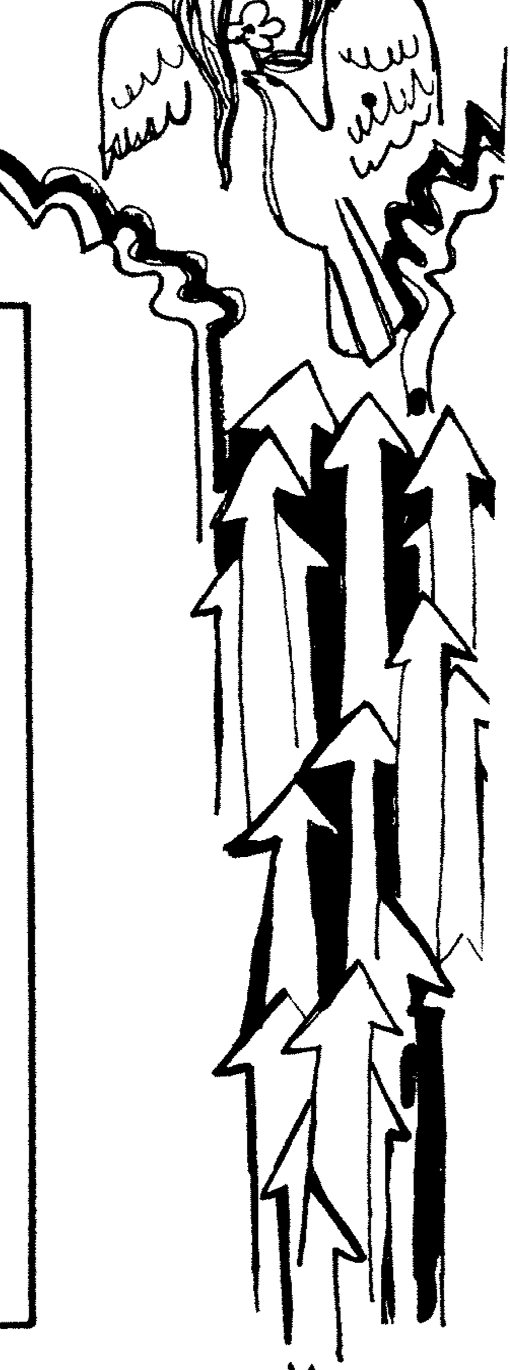


كان قيس بن عاصم المنقرى من سادات العرب فى الجاهلية والاسلام ، حكى أنه كان يوما فى مجلسه يحدث قومه ، فجيء اليه بابن له قتيل ، وابن أخ له مكتوف اليدين . وقالوا له : ابن اخيك هذا قتل ابنك هذا ، فلم يقطع قيس حديثه ، ولم يغير جلسته حتى اذا فرغ التفت الى القاتل وقال له : يا بنى أوهيت ركنك ، وفتت فى عضدك وأمنت عدوك ، وأسأت بقومك .

ثم التفت الى القوم فقال : اين ابن فلان ؟

فجاءه فقال : يا بنى قم الى ابن عمك فاطلقه ، والى أخيك فادفنه ، والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة ، فانها غريبة لعلها تسد عنه .





ألقيتُ في اليّمِ قلبي

شعر : الدكتور نصار عبدالله

ألقيت في اليم قلبي ... وذبت في بحر ذاتك
مضيت غير هَلوع ... من السيوف الفواتك
أو الحراب اللواتي ... طوين في طيَّاتك
أو السهام بقوس ... شُدَت الى حنَاتك
هيهات أخشاك عمري ... وكل مافيك فاتك
إن متُّ فيك فهذا ... من بعض بعض هباتك
أو لم أمت فطموحا ... الى ذرا منَاتك
خبأت عني جراحي ... فهاتها وصفاتك
خبأتها ألف دهر ... يَنَمْنَ في قبضاتك
يَرُحْنَ عبر الليالي ... يلُحْنَ في ومضاتك
خبأتَ فاكشف جراحي ... يا مُعلناً صدقاتك
وهاتِ موتي فموتي ... توحّدُ بصفاتك
يا قاطعي عن صلاتي ... وواصلي بصلاتك
يا مبدعي من حروفٍ ... مسكوبة من دواتك
يا منشدي لرواتي ... وسامعي في رواتك
يا مبدعي وبديعي ... وصانعي من سماتك
ألقيتُ في اليّم قلبي ... وذُبت في بحرِ ذاتك

كتاب الشهر

CONSIDÉRATIONS SUR L'ÉTAT DES BEAUX ARTS
CRITIQUE DE LA MODERNITÉ
par Jean Clair
LES ESSAIS CCXXIV
Gallimard

تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة

للناقد الفني : جان كلير

عرض : الدكتورة زينب عبدالعزيز

لم تكن السنوات الاخيرة في تاريخ الفنون الجميلة سنوات عادية فقد ازداد حجم الانتاج الفني وانحسرت المدارس والتيارات الفنية التي شهد القرن العشرون الكثير منها .. هذه المفارقة التي تميز الحالة الراهنة للفن التشكيلي هي موضوع كتابنا لهذا الشهر .

كتاب الشهر

شهدت العشرون سنة الماضية تضاعف عدد متاحف الفن الحديث في العالم، وازدياد المؤلفات حول هذا الاتجاه بشكل ملفت للنظر.. ومع ذلك كان هناك من يقول إن هذه الفترة تشهد انحسارا واضحا لموجات الفن الحديث، مصحوبا بانخفاض واضح في تنوع الإبداع الفني ومستواه بصفة عامة، ترى ما سبب هذا الافول الذي ألم بالفن الحديث، وما السبب الحقيقي الذي أدى اليه ؟

ذلك هو السؤال الذي يحاول الناقد الفرنسي جان كلير الاجابة عنه في واحد من أهم كتب النقد الفني التي ظهرت حديثا في فرنسا والذي تستعرضه كاتبة هذا المقال :

الناقد جان كلير من مواليد عام ١٩٤٠، وهو من متابعي تطور الحركة الفنية التشكيلية عن قرب. فبعد أن أتم دراسته الاكاديمية في جامعة « هارفارد » الامريكية تخصص في تاريخ الفن والقيم الجمالية، ثم شغل منصب رئيس تحرير واحدة من أهم المجلات الفنية الرائدة للفن الحديث، ومنذ عام ١٩٧٠ يشغل منصب أمين أحد المتاحف الفنية الحديثة بباريس.

ويقع كتابه « تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة » في حوالي مائتي صفحة من القطع المتوسط، ويضم اثني عشر فصلا، يتعرض خلالها المؤلف الى تطور الفن الحديث ووسائل انتشاره وفرضه على المجتمع الدولي بشكل واضح، ثم يتطرق الى الاسباب التي أدت الى ذبوله واضمحلاله بهذا الشكل الذي لا يمكن اغفاله ولا يليق السكوت عنه.

وهو اذ يتناول قضية الفن الحديث عامة، فانه يتناولها من وجهة نظره كناقد فني، ومن واقع خبرته كأمين لاحد متاحف الفن الحديث، وأول ما يلفت نظره في هذا الفن اجمالا، ان الصلات المتينة التي نسجتها القرون بين الطبيعة وفن التصوير تبددت في عشرات معدودة من السنين.. ومع ذلك فلم يكن الفن التشكيلي قد حظى طوال مسيرته بمثل ما حظى به من تقدير رسمي وترحيب وإمكانات لا حصر لها من مؤسسات ودور ثقافة ومتاحف وكتب ومجلات ومعارض دورية ومن جهات محلية ودولية ومزادات، كما لم تتضافر جهود الكتاب مثلما تضافرت جهود مئات من المؤرخين والنقاد وأمناء المتاحف وعلماء الاجتماع ورجال الاقتصاد وعلماء النفس والجامعيين، وكلهم يتبارون في تقديم الوثائق والتحليلات والبراهين والتغني بما يحدث من جديد في عالم الفن الحديث..

ومع ذلك، فلا يعرف التاريخ عصرا انقطعت فيه الصلة المنطقية بين تفاهة الانتاج من جهة، وتضخم الكم والنوع في المحاولات التي تبذل لفرض هذا الانتاج من جهة أخرى. أو على حد قول المؤلف :

« كلما زاد سخف العمل الفني وتفاهته، زادت محاولات تفسيره وتقديمه بأساليب إنشائية أشبه ما تكون بمهارات البهلوانات ».

ويضيف الناقد قائلا :

« ومع ذلك، فمن اليسير أن يلحظ المرء ـ رغم كل المهارات المستخدمة ـ أن هؤلاء الداعين قد فشلوا تماما في معالجة الهزال والضعف للكيان الفني الحديث ».

وكأن الحياة قد فارقت جثة هذا الفن المهلهل..

ويعجب المؤلف من أنه رغم هذا التمزق الواضح، فقد تم اختلاق دائرة غريبة يسير الفن الحديث داخل اطارها، انها دائرة تربط بين تجار الفن وأمناء المتاحف وبين النقاد والمستثمرين.. دائرة مغلقة تسير الاعمال الفنية داخلها بإحكام بصرف النظر عن مستواها الفني، كأن القيمة الحقيقية أصبحت في خط سير العمل الفني في هذا النطاق الاقتصادي من قيم جمالية أو تشكيلية.

متاحف جديدة للفن الحديث :

ويرى جان كلير أن المتاحف التي زحفت على أوروبا كالرداء الرمادي الداكن ، من أهم الوسائل الاعلامية الدعائية التي ساعدت على انتشار الفن الحديث واستتباب أمره . فقد بدأ تشييد متاحف الفن الحديث منذ العشرينيات ، في روسيا أولا ثم في نيويورك ، وتلتها بقية عواصم العالم الغربي . وتباروا في اقامة الابنية الحديثة الخاصة باستقبال وعرض لأعمال الفن الحديث دون سواها . أي أنهم تغافلوا عن عرض الاعمال التي تنتمي الى المذاهب الواقعية . وبذلك أصبح الزمن الفاصل بين المجموعتين حائلا بين نوعين مختلفين من الفن : فن الازمنة الماضية ، وفن العصر الحديث ، وقد أدار كل منهما ظهره للآخر ! . .

وفي خلال السبعينيات ، ووفقا لبيان المجلس الدولي للمتاحف ، فان كل أسبوع من الاسابيع كان يشهد اقامة متحف جديد في بقعة ما من بقاع العالم . « فقد أرادت كل عاصمة أن يكون لها متحفها الخاص بالفن الحديث ، تماما مثلما حدث في مطلع القرن الحادي عشر وأرادت كل بلدة أن يكون لها كاتدرائيتها » .

ولم تكتف المدن والعواصم الكبرى باقامة المتاحف الجديدة بل راحت كل منها تضيف الاجنحة أو الادوار العليا لما لديها من متاحف ، وذلك مثلما حدث في متحف واشنطون ، وبوسطون ، أو في « التيت جالري » في لندن ، ومتحف امستردام بهولندا .

أما متحف نيويورك للفن الحديث فقد ضاعف من مساحته تماما ، وفي باريس تم تحويل العديد من المتاحف القديمة إلى متاحف لهذا الفن الحديث دون سواه ، وتتدفق الجماهير مدفوعة بحب الاستطلاع ، لتطوف بنفس الاجلال الأعمى الذي كانت تطوف به فيما مضى حول أضرحة القديسين . . . ويدهش المؤلف من هذا التباين الواضح بين العمل الفني وبين وسائل عرضه في المتاحف التي أصبحت تمثل مباريات أخرى في حد ذاتها . .

ويختتم جان كلير هذه النقطة بتساؤل عما إذا كانت كثرة هذه المتاحف والتسابق الذي لا مثيل له في اختراع شتى وسائل العرض لابراز أعمال لا قيمة لها ، لا يعني - في حد ذاته - اننا نعيش حاليا نهاية فكرة الفن الحديث برمته ؟ !

ثم لا يلبث أن يضيف إلى تساؤله هذا اقتراحا بتشييد مبنى لا يضم سوى اللوحات الفنية على مر العصور ، مثلما اعتدنا ، ولا يعرض به أي شيء آخر سوى اللوحات ، وذلك من كثرة ما استخدم الفنانون من مواد مبتذلة أبعد ما تكون عن الفن أو القيم الفنية والجمالية ، مثل النفايات ومحتويات صفائح القمامة والخرق البالية والاسلاك الشائكة والمواد الغذائية العفنة والبقايا الادمية المتحجرة ، الى ما لانهاية من هذه البدع المبتذلة المهينة والدخيلة على الفن .

ومن الغريب أن تتسابق الأبحاث المتناقضة التي تؤلف لتمجيد فنان ما وأسبقيته في استحداث احدى هذه البدع . . وكم من النقاد تباروا لتحديد مولد مذهب جديد ، أو للمزايدة على تحديد اليوم والساعة التي استخدم فيها أحد الفنانين تلك البدعة قبل غيره من الآخرين المولعين بالبدع « والتقاليع » ! ويضيف الكاتب :

« ان النقاد قد استقبلوا أول لوحة تجريدية بنفس الخشوع الذي يتحدثون به عن الصليب المقدس الاول في التاريخ » .

ولم يتوقف تباري الفنانين عند حد التسابق على ابتكار شتى الاساليب المبتذلة ، وانما تباروا حتى في تزوير تواريخ توقيعاتهم على الاعمال ليثبتوا أحقيتهم في ابتداع ذلك التجديد .

الجديد في الفن .

أما عن قضية الجديد في الفن الحديث ، فيحددها جان كلير بأنها اجمالا قضية قطع الصلة بالتراث . أو على حد تعبيره .

« ان الفن الحديث قائم على قطيعة للتراث بكل ما مضى : فكيف لا يرى المرء في هذا الاندفاع الجنوني لجماعة من المشعوذين الذين ما زالوا منذ قرن من الزمان تقريبا يتبارون في الالتواء ، وكأنهم يعتصرون أنفسهم في حركات مبتذلة خداعة ومأجورة ، من « بيكابيا الى وارهول » ، ومن « مالفيتش الى

كتاب الشهر

ريهارت » ، ومن « مارينتي الى شوفر » ، بغية انتاج أعمال لا ترمي الا الى الضياع ، مهما استخدموا من أساليب تكنولوجية حديثة » .

ثم يتساءل المؤلف كيف لا نرى أن العدو الوحيد للفن الحديث يكمن بداخله ، وفي تلك السلسلة غير المنتهية من مسميات الـ (إزم) ومشتقاتها التي يذيلون بها شتى الكلمات التي يزخر بها هذا الفن ؟

ومما يدعونا الى الغرابة والدهشة مع المؤلف انهم دائما نفس الاشخاص الذين نراهم يتنقلون من مذهب الى آخر ، ومن بلد الى آخر ، وكأنهم مكلفون بمهمة رسمية عليهم تأديتها بحذافيرها . . وذلك مثل مارتيني الايطالي مبتدع المستقبلية (الفوتوريزم) التي ذهب يبشر بها في موسكو عام ١٩٠٤ ، ثم راح يتغنى بها في برلين عام ١٩٣٤ . . .

إن قطع صلة الفن بالماضي وبالتراث ، لا يعني الا شيئا واحدا في نظر المؤلف هو : موت الفن ، فالفن بلا ماض كنبات اقتلعت جذوره . ونفس الشيء بالنسبة للحاضر ونبذه بعيدا عن الاعمال الفنية فالفن بعيدا عن استلهام الواقع المعاصر له لا يقل موتا وجفافا عن الفن بعيدا عن الأصالة والتراث .

المذاهب في العمل الفني :

ومن النقاط المهمة التي تعرض لها جان كلير في كتابه هذا ، وسائل العرض الحديثة المتبعة بالمتاحف ، وما ترتب عليها من نتائج ، ففيما مضى كانت المتاحف تعكس حضارة الشعوب والعصور المختلفة بطابعها المميز ، أما متاحف الفن الحديث الراهنة فتدعو الى السخرية من كثرة تشابه ما تعرضه وتكراره ، فأول ما يلحظه المؤلف في هذه المتاحف هو اختفاء المعالم الجغرافية بسبب ما يزعمون فرضه من أسلوب دولي يجمع في خلط عشوائي بين أوروبا وأمريكا والجزر المترامية . . .

ففي البداية بدأ عرض الاعمال الفنية وفقا للمذاهب ، لكن سرعان ما تشعبت هذه المذاهب وتفرعت وأصبحت المسافة الزمنية بين المذهب والآخر لا تقاس بعشرات السنين وانما بالشهور والايام . . . وأصبحت زيارة المتاحف لا تمثل الا مسيرة شبه اجبارية مفروضة على المتفرج عبر القاعات والممرات بحساب مدروس مما يدفع الناقد جان كلير الى الجزم بأن :

« هذه الظاهرة تبدو وكأنها ضرورية للسيطرة على انضباط الانفعالات النفسية والثقافية للمجتمعات التي أفرزتها » .

أي أنه يرى في الفن الحديث برمته وكل ما احتوى عليه من تجريديات ، انه يمثل اتجاه المؤسسات الحكومية التي ابتدعته وتتبناه وتفرضه كنمط يحتذى به . ويستشهد جان كلير بمذكرات الرئيس الامريكي الراحل جون كندي ، وكيف انها تعد بمثابة ميثاق أمريكي فيما يتعلق بموضوع تصدير الثقافة الامريكية للخارج . وهو يؤكد أن هذا التوسع الايديولوجي ليس محصورا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فحسب ، وانما هو بمثابة دعامة ثابتة من دعائم سياسة الولايات المتحدة منذ انشائها . .

وما أكثر الفقرات - التي يستشهد بها المؤلف - المأخوذة من شتى خطب الرؤساء الامريكيين والتي تدل على تسلط فكرة السيادة والتميز ، وعلى فكرة ضرورة السيطرة على العالم وقيادته . ثم يضيف جان كلير مؤكدا :

« ان الولايات المتحدة قد فرضت على الغرب قيمها الثقافية الذاتية بأجهزة أمريكية لا تقل فعالية عن أجهزتها الاقتصادية » .

من المسئول ؟

وبعد أن تناول المؤلف قضية المتحف ودوره في انتشار الفن الحديث وفرضه ، ثم قضية الاسلوب وما يراه من سلطان مفروض سياسيا على نطاق المجتمع الدولي ، يتعرض لقضية المضمون وما وصل اليه الفن الحديث من اجهاض لقيمها . . ويبدأ بالتساؤل قائلا :

« لماذا لم نعد نرى في متاحف الفن الحديث الا الاعمال التافهة التقليدية في تكرارها ، الشديدة الملل في تفاهتها ، وخصوصا ذلك الكم الهائل من الاعمال التجريدية الخالية من أي مضمون أو أية فكرة ، وكلها أعمال يصرون على شرائها ومدحها والتعليق عليها وعرضها أمام أعين جمهور لا يكترث بها ولا تعنيه ؟ »

ويخرج الناقد من سؤاله ليطرح سؤالا آخر لعله أكثر كشفا لما يحدث في عالم الفن الحديث ، اذ يقول :

« حيال هذا الفراغ المفروض ، والذي تسانده المؤسسات ، ان المرء ليتساءل عما اذا كان الدور الذي يقع على عاتق المسؤولين الثقافيين ومديري المتاحف والنقاد ليس في الواقع الا استبعادا لدراما الوجود الانساني ، ونبذ الواقع ، وفرض هذه السهولة المبتذلة المتكررة في شكلها ونتائجها ؟ »

مما أدى ـ في رأيه ـ الى فرض نوع واحد أطلق عليه « فن الدولة » سواء كان في نيويورك أو باريس أو بقية عواصم العالم الغربي . . .

وفي واقع الامر ، فقد تبارى مديرو المتاحف الغربية في تبرير تكاليفها الباهظة وتعويضها باستدراج الجماهير الغفيرة ، وذلك بادخال شتى الوسائل الترفيهية في المتاحف متناسين أن العمل الفني ليس سلعة ترفيهية ، بل انه لا يوجد أندر من العثور على فنان حقيقي صادق .

وأكثر ما يركز عليه جان كلير في هذا الصدد ، هو كيفية ا' 'اعب والابتكار في عرض أعمال لا تتسم الا بالتفاهة والتكرار ، والتي لولا تحايل مهندس الديكور والعرض لما التفت اليها أحد . وذلك كأن يوضع العمل الفني في غرفة داكنة الظلام ، وتسلط عليه اضاءة خافتة ، ولا يسمح الا بدخول زائر واحد فقط في آن واحد ـ وكأنه يزور « محراب القديسين الغارق في الغموض الالهي » ! . . . وبعد استعراض العديد من الامثلة يعود المؤلف ليؤكد تفاهة تلك الاعمال التي لا تساوي شيئا في حد ذاتها وان كل ما يحيط بها من هالة يرجع الى أساليب عرضها فحسب .

اضافات جديدة :

لقد كانت زيارة متاحف الفن في شتى العواصم فيما مضى . تقدم صورة متكاملة عن حقبة زمنية معينة من تاريخ البلد ، اذ كانت تعكس المستوى الحضاري والثقافي الذي توصل اليه ، بالاضافة الى تقديم العديد من الفنانين المحليين الذين عادة ما يجهلهم الزائر الاجنبي . أي أن الاعمال المعروضة كانت تثري المتفرج باضافة ثقافية جديدة عن الفن والفنانين .

أما الذي يحدث حاليا ، فان كافة متاحف الفن الحديث في العالم تقدم نفس النوعيات ونفس الاشخاص بشكل ممل رتيب ، وكأن الفن في العالم قد أصبح صيغة واحدة مفروضة في قالب واحد محدد لا يحيد عنه ، والنتيجة ، لا يبقى أمام الجمهور الا تلك الرتابة المملة كأن اللوحة ليست الا سلعة تجارية مصنعة بأسلوب حديث دولي ، معروضة في كل مكان أمام المستهلك ـ ولا تكمن قيمتها الا فيما دفع فيها من مال ، وفيما بذل في عرضها من جهد وعناء . . فلم يعد هناك ما يميز أي متحف في أي بلد عن أي متحف آخر في أي بلد آخر . . .

ان زيارة متحف الفن الحديث حاليا تعني أن المشاهد لا بد أن يرى تسلسلا نمطيا واحدا من أعمال :

« بولوك ورثكو وكلاين ولوحة مربعة فارغة من لوحات جوزيف البرز ، وقطعة من نسجيات دانيال بورن ، وقطعة من « شحميات » جوزيف بويس ، وصفائح نحاسية لكارل أندريه » . .

نفس المجموعات تتكرر أمام أعين المشاهدين ، بنفس الرتابة والملل ، سواء كان في أمريكا أو فرنسا أو اليابان ـ وكأن هذه الاعمال فحسب هي التي تمثل الفن الحديث بعد توحيد شكلها وتعميمه !

وأهم ما ينتقده الناقد الفني جان كلير في مذاهب

كتاب الشهر

الفن الحديث اجمالا هو محاولتها طمس معالم الاصالة الذاتية لكل شعب من شعوب العالم ولكل بلدٍ من بلدانه ، وفرض نمط واحد أشبه ما يكون بمحاولة لايبنيز في فرض لغة عالمية واحدة تتحدث بها كل الشعوب . .

ويرى كلير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل في المجال الفني اذ أفرغته من أهم مقوماته ، وهو التعبير عن الاصالة الشخصية المتميزة لكل بلد من بلدان العالم .

أما عن التقدم ، وما أحرزه الفن الحديث في هذا المضمار ، فيرى جان كلير أنه لا يوجد أي تقدم بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة عبر الحضارات وتطورها بل هناك :

« ركود هائل ، مجموعة من التصرفات المتصلبة ، المتكررة وكأنها نسخ مطبوعة من الكربون ، نسخ تتكرر منذ بداية القرن العشرين ، فبعد خمسين عاما نرى بن يقلد بيكابيا ، وشوفر يقلد موهولي ناجي ، وريمان يقلد مالفيتشن ، وبويس يقلد شفيترز ، دون ذكر العديد من الفنانين الثانويين . ان هذا الفن الذي زعم لنفسه التجديد ليس في الواقع الا فن التقليد ، لذلك ينجم عنه هذا الملل الرتيب » .

ويخرج المؤلف من هذه النقطة بنتيجة محددة تدفعه الى القول بأن « تضاعف كل هذه الظواهر لا يدل الا على شيء واحد هو أن كل الجماليات الحديثة قد استنفدت أغراضها وأنه لم يعد لديها ما تقدمه من جديد حتى في هذه الشكليات المتكررة . منذ بدأ الفن الحديث ، حوالي عام ١٩١٠ ، ثم عند فرضه على النطاق العالمي في غضون الخمسينيات ، كان يحمل في داخله ـ منذ ذلك الوقت ـ اعلان افلاسه وخلوه من أي جديد . »

العودة الى الاصول :

ويرى المؤلف أن هذا الافلاس لم يعد خفيا على أحد وخصوصا على الفنانين أنفسهم . . مما دفع بالعديد منهم الى محاولة العودة الى الاصول الاولى لتعلم فن الرسم وبدء المشوار من جديد .

وهذه القضية من أهم القضايا التي يثيرها الناقد الفني ، اذ يجزم بأن سهولة الاداء والعشوائية التي سادت في الفن الحديث والجري وراء الاساليب العفوية لمدة سنين وسنين ، أدى الى ضياع التمكن من التقنية ومن الاداء الفني السليم وأساليبه الاساسية التي أشبه ما تكون بالاجرومية بالنسبة للغة .

وهو لا يشك في أن سهولة هذه الوسائل المستخدمة قد أدت الى تخريب الجانب المهني وجانب المهارة الذاتية . مما انعكس ـ في نظره ـ على مستوى التعليم أيضا . فاذا ما فقد الفنان مهارته ومهارة فنه فكيف له أن يعلمها لغيره ؟ ! وتلك أهم وأخطر ما تواجهه كليات الفنون الجميلة حاليا . لذلك يرى جان كلير أن العودة الى تعلم أصول المهنة والتركيز على تعلم فن الرسم بالقلم أو بالفحم ، يمثل نقطة الخلاص الوحيدة والحقيقية لمكافحة ما ألم بمجال الفن التشكيلي من جهل وضياع .

وبالاضافة الى ذلك ، ينادي جان كلير بالعودة الى تعلم فن الباستيل لاحيائه من جديد ، بعد أن اندثر في خضم العشوائيات التي اعترت العصر .

ويختتم المؤلف « تأملاته في الوضع الراهن للفن الحديث » بأن الامل الوحيد لكسر حالة الركود والضياع والتكرار الاجوف الذي نجم عن هذه السنين الطويلة من العبث العفوي والمقصود ، الامل الوحيد للخروج من كل ذلك هو العودة الى التراث والواقع والاصالة الذاتية لكل بلد ولكل فنان . □

من المكتبة العربية

فتوح البهنسا

كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر

فاروق خورشيد

الخلق الحضاري الاسلامي يدخل كعنصر رئيسي الى جوار المغامرة الحربية في نسيج روائي متكامل تضمنه كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر . .

مؤلف شعبي صعيدي يسجل فتح العرب لبلاده ودخول الاسلام اليها في هذا النص الشعبي الروائي .

كنت كثيراً ما أتساءل عن سر خلو فترة الفتح الاسلامي لمصر من قصص شعبية، تسجل البطولات والمعارك التي خاضها أصحاب الدعوة الجديدة،وهم يواجهون في مصر آخر معقل للروم ثانية القوتين العالميتين اللتين كانتا تسيطران على العالم المعروف آنذاك . . لقد سجل الأدب الشعبي معارك العرب مع الفرس في سيرة حمزة البهلوان وفي سيرة عنترة بن شداد . كما سجل أيضاً معارك العرب مع الروم في المشرق في سيرة ذات الهمة . وسجل معارك العرب مع الأحباش في سيرة سيف بن ذي يزن ، كما سجل معارك المسلمين مع الصليبيين في سيرة الظاهر بيبرس ، ولكن هذه المعارك المسجلة في هذه السير ليست معارك الفتح ، وانما هي انعكاسات للمعارك المريرة الطويلة بين العرب والشعوب المجاورة لهم ، ثم بين الدولة الاسلامية والدول الطامعة فيها،والمقاومة لامتداداتها وفتوحاتها المستمرة . . ولعل الأمر أن كتب السيرة النبوية وكتب المغازي وكتب التاريخ الاسلامي قد وفت هذه المعارك حقها ، ولعل الأمر أن روايات الصحابة عن تجاربهم في جهاد الفتح الاسلامي قد أغنت الخيال الشعبي ، فتبنى هذه الروايات واكتفى بها ، ولعل القداسة التي أحاطت بهذه المعارك ، وبمن خاضوها من الصحابة عقلت جناح الخيال الشعبي فلم يحلق بحرية في هذه المجالات . ولعل الأمر أن البطل

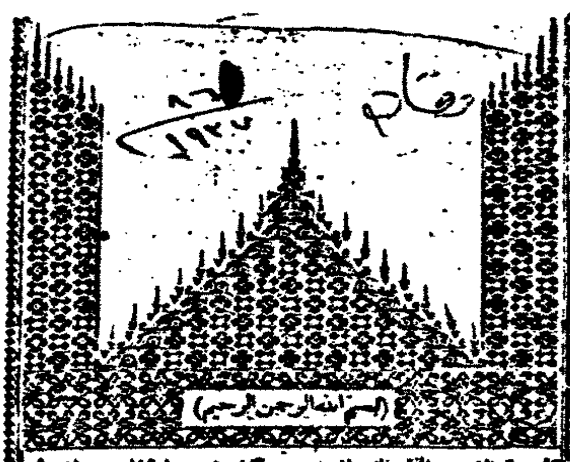
الاسلامي الأول وهو الرسول عليه السلام قد استحوذ بكل الخيال الشعبي،فأنصرف يتغنى بصفاته وأعماله في الملاحم النبوية المتعددة ، وقد طبقت شهرة بعضها آفاق العالم الاسلامي ، وأخذت مكان القداسة عند الكثيرين من المتصوفة وعامة المسلمين كبردة البوصيري ، ومعارضاتها الكثيرة المتنوعة . . وان كان هذا أقرب الى الأدب الديني منه الى الأدب الشعبي بمفهومه المحدد . . ومع كل هذا فقد ظهرت عدة أعمال شعبية حول الفتوحات ، امتزج فيها الخيال الشعبي بالحقائق ، وحارب فيها الأبطال المردة والشياطين الى جوار حروبهم للكفار وعبدة النجوم والأصنام . . ولعل أبرزها ما دار حول فتح اليمن،فقد ظهرت قصتان منفصلتان وان كان البطل فيهما واحداً ، والمؤلف فيهما واحداً أيضاً ، والقصتان هما : (فتوح اليمن المعروف برأس الغول) و (قصة

الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وفتحه السبعة حصون ومحاربته الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي ، ملك الجان الملقب : بمرارة الموت) . . ومؤلفهما ، او المؤلف الذى تنسبان اليه وترويان عنه هو (أبو الحسن احمد بن عبد الله بن محمد البكري) ويلقبه الطابع والناشر المعاصر بالمؤرخ القصصي الشهير . . وقصة (فتوح اليمن) يرويها البكري هذا عن محمد بن اسحاق الكلبي ، عن الأعمش ، عن ابن عباس رضي الله عنه . أما القصة الثانية (قصة الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) فيرويها عن يوسف بن عبد الله وخالد بن رفاعة الجهني . . وهي أسماء يختلط فيها المحدثون بالمؤرخين بالرواة . . وواضح ان البطل في القصة الأولى يواجه فارساً شريراً وملكاً فاجراً طاغية ، كما أنه من الواضح أيضاً أن البطل في القصة الثانية يواجه ملكاً كافراً من ملوك الجان . . والمغامرات في القصة الأولى تذكرنا بسيرة عنترة بن شداد البطل الشمالي العدناني ومعاركه مع أبطال الفرسان ، والمغامرات في القصة الثانية تذكرنا بسيرة سيف بن ذي يزن البطل الجنوبي القحطاني ، ومعاركه مع أبطال الجن والأنس على السواء . . فالبطل الاسلامي هنا وهو الامام علي بن ابي طالب يجمع عند القصاص الشعبي بين قدرات البطلين الشمالي والجنوبي معاً ، ويؤيد بنفس القوى الغيبية التي ساندتهما ، ولكنها هنا قوى مرتبطة بالدين الجديد والنبي الاسلامي . .

فتوح الشام وفتوح مصر

وكما حدث بالنسبة لفتح اليمن حظيت فتوح الشام والعراق بعمل اختلط فيه الحدث التاريخي بالخيال الشعبي وهو (فتوح الشام) للواقدي ، مسجلاً بطولات أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وخالد ابن الوليد والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة ، ومشركاً المرأة في هذه البطولات وخصوصاً خولة بنت الأزور . وهو في كل هذا لا يخالف النصوص التاريخية المعروفة ، وانما هو يزيد عليها ويضيف ، ويجري خياله في تعميق (الأخبار) تعميقاً دراميا، لتتحول الى احداث قصصية ، فيها الحوار ، وفيها الانفعال ، وفيها المنولوج الداخلي ، وتحظى ببعض الحيلة ، وببعض الاثارة الروائية . ومن هنا خرجت من عباءة التاريخ لتدخل في اطار العمل الشعبي الروائي ، وان لم تصل الى درجة السيرة فهي تصل الى محيط الأعمال البطولية المعروفة في الأدب الشعبي ، والتي يمكن أن نسميها بأدب الفتوة ، وان ندرج فيها أيام العرب ، وكتب الغزوات بعامة . .

ويظل السؤال قائماً عن اختفاء مثل هذا الجهد الشعبي في تسجيل فتح العرب لمصر . حقيقة ان مصر غنية بحكايات البطولة الشعبية ، اذ نجدها أرض سيرة سيف بن ذي يزن في حروبه مع الأحباش لاسترداد كتاب النيل انعكاساً للصراع المصري الحبشي أيام المماليك والذي تزامن مع الحروب الصليبية كانه قوة ضاغطة لاضعاف قوة المواجهة العربية تجاه الغرب المتستر في حروبه الاستعمارية باسم الدين ، والذي دفع الحبشة باسم الدين أيضاً أن تشارك في هذه الحروب . وحقيقة ان مصر كانت أرض سيرة الظاهر بيبرس لتسجل حروب الصراع المباشر بين العرب والغزاة الذين يرفعون امام سيوفهم شعار الصليب . فدور مصر في الكفاح الاسلامي ، أو كفاح الحضارة الاسلامية ضد الغزاة أبرزه القصاص الشعبي في سيرتين من أهم الموروث



(بسم الله الرحمن الرحيم)

● فتوح البهنسا

العربي الشعبي من السير . ولكن فترة الفتح نفسها لم تحظ بما حظيت به فتوحات الشام على يد أبي عبيدة وفتوحات فلسطين على يد عمرو بن العاص ، وفتوحات العراق على يد خالد بن الوليد ، وفتوحات اليمن على يد الامام علي الذي تحول فيها الى بطل شعبي . .

وكنا نؤول الأمر بأن مصر ـ كما ذكر المؤرخون ـ قد فتحت صلحا . ويعدد ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب الآراء التي اختلفت حول فتح مصر ، هل فتحت صلحا أم فتحت عنوة . الا أن الثابت أن مصر في غالبها فتحت صلحا ما عدا بعض القرى مثل قرية (بلهيب) وقرية (خيس) وقرية (بلطيس) وكذلك فتحت الاسكندرية في المرة الثانية عنوة ، أما باقي مصر فقد فتحت صلحا . ومن هنا فقد كان مجال المعارك الحربية أقل بكثير مما تتيحه معارك الشام والعراق . . كان هذا هو التصور الى أن أهداني الصديق الأستاذ عبد المنعم شميس كتاباً وجده في مكتبة والده مطبوعاً بالحروف القديمة التي عرفناها في طباعة الكتب الدينية ودلائل الخيرات باسم (هذا كتاب قصة البهنسا وما فيها من العجائب والغرائب وما وقع للصحابة فيها رضوان الله عليهم أجمعين) . . والكتاب يحكي فتوح العرب لمنطقة الفيوم والبهنسا والصعيد . . ويقع في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط،وجاءت في آخر صفحاته هذه العبارة : (طبع بالأحرف التي ابتدعها حضرة موسى أفندي فهمي بمصر المحروسة بالمطبعة الكستلية وقد تم في خمسة وعشرين من رمضان الشريف تاريخه) ولم يذكر السنة ، وان كانت قد جاءت في ذيل آخر أبيات الشعر في أوائل الصفحة الأخيرة باعتبارها سنة ١٢٧٨ هجرية أي منذ حوالي ١٢٧ عاماً . . وجاء هذا الكتاب ليرد على التساؤلات ، ويقدم نصاً شعبياً يتناول فتح العرب لمصر تناولاً يمزج بين الحقيقة والخيال ، لتحرره من قيود التاريخ وانطلاقه في رحاب الابداع الفولكلوري بشكل واضح وصريح ـ وهو على كل حال يؤكد ان فتوح مصر لم تمر على الخيال الشعبي دون استجابة يقظة،وانتباه واع بدور الأدب الشعبي في تسجيل بطولات هذا الحدث الهام . .

تأصيل البهنسا

والواضح من العنوان أن البطولة في هذا العمل مقصودة للمكان وهو البهنسا ، فهو المعنى بهذا الكتاب وهو محوره . ومن هنا كانت محاولة الكتاب تأصيل البهنسا ومنطقتها ، أي العودة بها الى عمق التاريخ ، وذكر حكاياتها عبر التاريخ وحتى مرحلة الأحداث الرئيسية التي يهتم بها وهي الفتح العربي لها . فمن التقاليد الفنية الثابتة للسير الشعبية العربية البدء بتتبع بطل السيرة في عمق التاريخ وتتبع نسبه صعوداً الى أحد أولاد نوح عليه السلام : سام وحام ويافث فربطه بآدم نفسه مع الوقوف عند أهم الأحداث التي تبرز أهمية أبطال هذا النسب من جدود بطل السيرة وأصحاب القيمة في سلسلة نسبه ، وهو ما يعرف في السير الشعبية باسم (التأصيلة) . .

وقبل أن يبدأ الكتاب في الدخول الى مرحلة التأصيلة يستهل المؤلف حديثه بذكر (فضائل البهنسا وتربتها) . والمؤلف يقدم نفسه قائلاً : « يقول الشيخ العلامة والعمدة الفهامة محمد بن محمد المعز (ونحن لا نعرف عنه شيئاً ، كما أن اسمه لايرد مرة

أخرى في الكتاب) ومع هذا فنحن نجد في آخر الكتاب قصيدة في فضائل الكتاب من شعر محمد السمالوطي . اذ يقول الكتاب : (أما بعد ، فيقول محمد السمالوطي فلما كان هذا الكتاب الشريف والمسطر الفائق المنيف حكاية لغزوة من أعز الغزوات الاسلامية ، ولما أسفر بدر التمام وفاح مسك الختام قلت :) ثم يورد قصيدة متوسطة الطول يشيد فيها بالكتاب وبأبطال الفتح الاسلامي ، فهل هو نفسه محمد بن محمد المعز ، أم هو غيره . ؟ وفي صفحة (٢٠) من الكتاب نرى أسما آخر يتشابه مع الاسمين السابقين اذ جاء بالكتاب : (قال الراوي : حدثنا ابو عبد الله محمد بن محمد المقري غفر الله له أنه قال . .) ، فهل كل هذه الأسماء لشخص واحد أم هي لعدة أشخاص ثم هل هو المؤلف الأول للكتاب أم هو أحد الرواة والنقلة ، وفي البحث عن هذه النقطة لفتني في (ص ١٩) عند حديثه عن أول الفتح الاسلامي ما جاء في الكتاب وهو : (قال الراوي بأسانيد صحيحة عمّن حضر الفتح وعاين الفضائل من أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدي رحمه الله تعالى وأبي جعفر الطبري وابن خلكان في تاريخه «البداية والنهاية»ومحمد بن اسحاق وابن هشام رحمهم الله ، وكل زاد في حديثه على حديث الآخر لما في ذلك من اختلاف الرواية عمّن حضر الفتوحات وشاهد الواقعات من الصحابة رضي الله عنهم) . . والواقدي هو محمد بن عمر المؤرخ العربي الشهير:كان حجة في الحديث واللغة،وقد الف كتباً كثيرة منها التاريخ الكبير وكتاب المغازي والبعث . عاش في عصر الرشيد،وكانت له صلة بالمأمون وقد خصه المؤلف وحده بطلب الرحمة له ، بينما جمع هذا الطلب للآخرين ـ الأعلى مقاماً في دنيا المؤرخين ـ في طلب واحد للرحمة لهم أجمعين . والواقدي هو صاحب (فتوح الشام) الكتاب الذي تحدثنا عنه من قبل ، وكانت المفاجأة حين عدت اليه أنني وجدت في صفحة (١٣٦) من طبعة (عبد الحميد أحمد حنفي بالقاهرة) بباب عنوانه (ذكر فتوح البهنسا وأهناس وأعمالها وفضائل حياتها) . . فهل فتوح البهنسا من تأليف الواقدي ، وهل محمد بن محمد هذا أياً كانت صحة اسمه متطفل ناقل لجزء من كتاب الواقدي ؟ .

المقري . . أم المصري

كان هذا هو ظننا الأول وخصوصا عندما لاحظنا تطابق الكتاب مع الجزء الأخير من كتاب الواقدي . ولأن الواقدي هو الأشهر ، فقد جرفنا هذا الظن حتى لاحظنا ورود نفس العبارة الواردة على لسان محمد بن محمد في (ص ١٣٦) من كتاب الواقدي بنصها على تصحيح الاسم وايراده كاملاً . . يقول نص (فتوح الشام) « قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري غفر الله له » فالاسم يكون في الطبعة المنفصلة التي بين أيدينا قد صحف مرة الى المعز ولم نعثر لاسمه وجوداً في كتب الطبقات بين كتاب التاريخ والمغازي ، والى المقري « بفتح الميم » وهو مؤرخ مغربي أقام في دمشق وله كتاب مشهور من أنفس المصادر في تاريخ الأندلس وهو نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ولم يعرف أنه الف في المغازي أو في تاريخ مصر . وتكون صحة الاسم هي (المصري) . . وتكون (السمالوطي) الواردة في النص المنفصل نسبة الى مدينة الكاتب المصري وهي سمالوط ، وهي واقعة في نفس المنطقة التي يتناول الكتابان أحداث فتحها . وهذه الملاحظة قد عدلت من ظننا الأول في نسبة الكتاب الى الواقدي . وأكد هذا التعديل النص الوارد على لسان أبو عبد الله بن محمد المحدث المصري في كتاب الواقدي وفي كتاب فتوح البهنسا اذ يقول هذا النص : (قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري غفر الله له اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادة ونقصاناً وكذلك تواريخ متعددة . كنت قدمت المدينة يعني البهنسا لزيارة جبانتها) ثم راح يعدد فضائل المدينة والجبانة التي حوت أجساد الشهداء ممن قتلوا في سبيل الله ، ثم يقول : « فزرنا الجبانة في ساعة الأسحار ورأينا ما فيها من الأنوار،وبزيارة قبور السادة الأخيار . نرجو من الله أن يحط عنا الذنوب والأوزار . فلما قضينا الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة اخبرنا عن تلك السادة الأمجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد . فسألني بعض الأصحاب عن

سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع البأس والردى . فحرك لذلك خاطري حتى أسهرت ناظري لذلك . وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت المزاحات حتى انتجت هذا الكتاب . فمحمد السمالوطي المحدث المصري هنا يشرح لنا سر تأليف الكتاب وسببه ، كما يشرح لنا كيفية هذا التأليف ، وما اعتمد عليه من مصادر ، وما حاول أن يتجنبه مما أسماه بالمزاحات . ثم يصف كتابه فيقول : « فهو كالدرة اليتيمة التي لا يعرف لها قيمة ترتاح عند سماعه النفوس وتزيل الهم والبؤس ويشجع على الجهاد ويعين على اقامة العدل في البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغباً في ثواب الله العميم » . .

المحدث وكتاب الأسمار

لم يبق أمامنا أي شك بعد هذا في نسبة الكتاب الى مؤلفه ، وان كانت هذه النسبة متأخرة إذ جاءت في (ص ٢٠) من فتوح البهنسا و (ص ١٣٦) من فتوح الشام للواقدي الا أنها جاءت صريحة في الكتابين ، ووجودها في كتاب الواقدي قد يعني أنها إضافة من رواة الكتاب الى كتاب فتوح الشام الذي ضم فتح الشام وفتح العراق فشاء من رواه أن يكمله بفتح مصر ، ولما لم يكن أمامه الا هذا الكتاب عن فتح البهنسا فقد اكتفى بضمه الى كتاب الواقدي وخصوصا أن أبطال الفتح عدة ، وليس بينهم بطل واحد مميز تعقد باسمه هذه المحاولة الشعبية في حكاية الفتوحات ، كما أنهم هم أنفسهم يتكررون وبنفس الصورة في الكتابين حتى لقد عقد صاحب فتوح البهنسا بطولة كاملة لخالد بن الوليد في حرب الصعيد رغم أن هذا يتناقض مع التاريخ من ناحية ، ورغم أن خالداً قد توفي بعد عام واحد من فتح مصر أي العاصمة التي سقطت بسقوط حصن بابليون . وهذا لا يمنع مطلقاً أن مؤلف فتوح البهنسا قد اطلع على كتاب الواقدي وتأثر به تأثراً كبيراً . فهو يؤكد أنه قد أطلع على (الفتوحات) وقرأ (التواريخ) . . وكتاب فتوح الشام يدخل بدون مقدمات الى ذكر أمر النبي ﷺ بايفاد المقاتلين الى الشام وفلسطين ، ودور أبي بكر في تنفيذ هذا الأمر . . أما فتوح البهنسا فهذه الخطبة التي أوردنا أجزاء منها تعتبر مقدمة واضحة لكتاب قصد منه الى جوار ذكر الفتح الامتاع واقامة العدل والحث على الجهاد . فواضح أن صاحب البهنسا قد حدد هدفه بما يغاير الى حد ما هدف مؤرخ كالواقدي ، اذ أنه ذكر أنه يريد أن « (ترتاح) عند سماعه النفوس ويزيل الهم والبؤس » يعني ان الكتاب كتاب اسمار بالدرجة الأولى وليس كتاب تاريخ . ثم أنه كتب ليتلى ويسمع لا ليقرأ ويحفظ كوثيقة تاريخية . . واذا لاحظنا أن اسم مؤلفه ابو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري ، قد حوى الاسم والوظيفة معاً ، فهو محدث مصري . والمحدث أو المحدث ـ راو شعبي عرفه الموروث الفني الشعبي العربي في مصر وغير مصر . والمحدث أو المحدث فنان شعبي يمتع بما يسمع الناس من حكايات وقصص . والمحدث كما أنه مؤد فهو مؤلف أيضاً ، اذ تتم عملية التأليف عنده في ابداع ما يمتع من محفوظه وما جمعه من أخبار . فنحن نقترب من اليقين أن عبد الله بن محمد هو مؤلف هذه الصورة من فتوح البهنسا المنفصلة في كتاب ، والمضافة الى كتاب فتوح الشام للواقدي . ويؤكد هذا من ناحية الموضوع ان كتاب الواقدي لم يذكر فتح مصر أو الأسكندرية أو الوجه البحري بل انتقل فجأة من فتوح الشام وفلسطين والعراق الى فتوح البهنسا أو صعيد مصر دون وقوف عند ما سبق فتح الصعيد من فتوحات أساسية أخرى في دخول العرب لمصر . بينما المؤلف عبد الله بن محمد يرد اسمه في قصيدة الختام في آخر الكتاب باسم محمد السمالوطي ، اي انه صعيدي من سمالوط . ولو كان الكتاب من تأليف الواقدي لاورد الفتوح بترتيبها أما ان المؤلف صعيدي فواضح ان الدافع الشخصي الذي جعله يخص الصعيد بكتابه هذا . . كما يؤكد هذا من ناحية الشكل تكامل الكتاب بخطبة الافتتاح التي أشرنا اليها ، وبقصيدة الختام التي تحدثنا عنها .

وينبغي أن نذكر أن كثيراً من القصائد التي وردت في الكتاب المستقل لم توجد في فتوح الشام ، وان قصيدة الختام لا وجود لها أيضاً في النسخة المنسوبة للواقدي . وفضائل البهنسا تدخل في عملية (التأصيلة) الشعبية التي تحدثنا عنها من قبل . الا انها تبدأ بذكر فضائل المكان قبل ذكر تاريخه وتعميق وجوده الأسطوري . □

مكتبة العربي
مختارات

اسم الكتاب : السينما العربية والافريقية
اسم المؤلف : مجموعة من الكتاب
عدد الصفحات : ١٥٧ من الحجم المتوسط
دار النشر : دار الحداثة ـ بيروت ـ لبنان

ينطلق مؤلفو هذا الكتاب عن السينما العربية والافريقية ، من أن الثقافة ليست الكتاب وحسب ، بل هي أنواع الفن الأخرى ، ومن بين هذه الفنون جميعا تحتل السينما مركزا لا جدال في أهميته .

والكتاب تجميع لمواد نشرت في مجلة « الثقافة الجديدة » المغربية بأقلام عدد من السينمائيين والنقاد الشبان ، الذين قدموا هذا العمل باعتباره « تحليلا ومواجهة وشهادة » على غياب سينما وطنية تحررية وضرورية في أن تكون .

اسم الكتاب : لا تقتلوا الكناري ـ مجموعة قصصية
اسم المؤلف : عادل بشتاوي
دار النشر : دار الأمل للطباعة والنشر ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ١٥٦ من القطع المتوسط

تحتوي هذه المجموعة القصصية على احدى عشرة قصة قصيرة ، تعكس تجربة حياتية غنية أدبية واضحة . وهذه هي المجموعة الأولى للكاتب عادل بشتاوي ، الذي ينتمي الى جيل السبعينيات ، الذي شهد انكسار الحلم وابتعاد صورة الوطن القريب مع كل منفى جديد يصل اليه .

اسم الكتاب : العمران في مقدمة ابن خلدون
اسم المؤلف : د. سعيد محمد رعد
عدد الصفحات : ٥٨٠ من القطع الصغير
دار النشر : دمشق ـ سوريا ـ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

« كان ابن خلدون أول من فكر في توضيح الصلات الموجودة بين التاريخ والعمران والاجتماع البشري . . . فالتاريخ بمفهومه العام ، ذو فضل كبير على العمران ، كما أن الأخير ذو علاقة وثيقة بالتاريخ ، ولابن خلدون الفضل بربط هذين العلمين بعضهما ببعض » . انطلاقا من هذا الفهم ، لما كتبه الفيلسوف العربي الكبير في كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » يخلص د. سعيد محمد رعد الى أن كتاب ابن خلدون هذا محاولة للبحث عن نظرية « خلدونية » متعددة الأوجه تنبني عليها المسيرة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، أساسها تقدم العمران الذي هو أساس التقدم البشري .

اسم الكتاب : ابن تيمية وفكره السياسي
اسم الكاتب : قمر الدين خان
ترجمة : د. أحمد البغدادي
دار النشر : مكتبة الفلاح ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٤٦ من القطع الكبير

مع بروز ما يعرف عند البعض بالصحوة الاسلامية التي شملت الوطن العربي والعالم الاسلامي أخيرا ، برز اسم المفكر الاسلامي ابن تيمية باعتباره رمزا لهذه الصحوة . ومن بين كتب عديدة تناولت حياة وفكر هذا المفكر الاسلامي الكبير اختار الدكتور أحمد البغدادي كتاب « ابن تيمية وفكره السياسي » لترجمته والتعليق عليه . والجديد الذي يقدمه هذا الكتاب كما يرى د. البغدادي هو « حصر الدراسة بالفكر السياسي » لهذا المفكر الموسوعي ، قام بها البروفسور الباكستاني قمر الدين خان الذي « تخصص في هذا الجانب من فكر ابن تيمية » .

اسم الكتاب : وعليكم السلام
اسم المؤلف : محمود عوض
دار النشر : دار المستقبل العربي ـ القاهرة ـ ج.م.ع
عدد الصفحات : ٥٦٠ من القطع الكبير

يقول الصحفي محمود عوض في مقدمة كتابه هذا « السلام هو الأصل في الاشياء . السلام وليس الحرب ، هو نقطة البدء بين الدول ، تماما مثل الفضيلة وحب الخير » ومن هذه المقدمة التي تبدأ بكلمة السلام يعود الكاتب الى حروب مصر العربية مع العدو الصهيوني بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٣ ، وذلك ضمن اطار تاريخي يصل الحاضر بحروب مصر الفرعونية ، مرورا بحروب محمد علي والحروب الصليبية ، التي ربطت مصير مصر وسلامها بمصير جيرانها العرب ، وجعلت حربها وسلمها مرتبطين بحربهم وسلمهم .

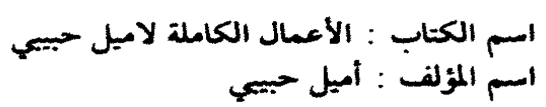
اسم الكتاب : المرأة ، بحث في سيكولوجية الاعماق
اسم الكاتب : بيير داكو
ترجمة : وجيه أسعد
دار النشر : منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
عدد الصفحات : ٥٤٣ من القطع الكبير

تقول د. هيلين تيبول أمينة سر الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي في تقديمها للكتاب « ان شأن المرأة ليس أكبر من شأن الرجل ولا أقل . انها هي ذاتها ، بكل بساطة ولكنها مختلفة عن الرجل » وبذلك توضع المرأة في مكانها الصحيح من المجتمع الذي تعيش فيه ، فلا هي لغز عصي على الفهم ، ولا هي حيوان نزق كما كانت تعتبرها الثقافة اليونانية اللاتينية ، ولا هي بطن ينتقل من عشيرة الى أخرى كما هي في الشرق .

في هذا الكتاب يحاول بيير داكو من خلال خبرته الطويلة في مجال التحليل النفسي أن يغور عميقا في نفسية المرأة ليكتشف هذه الحقيقة البسيطة .

اسم الكتاب : الشباب والمخدرات في دول الخليج العربية
اسم المؤلف : د. عبدالرحمن مصيقر
دار النشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات : ٣٤٣ من القطع المتوسط

« حتى منتصف السبعينيات كان استهلاك المخدرات في حدود مقبولة نسبيا في دول الخليج العربية ، بيد أنه مع تعقد المشاكل الاجتماعية انتشر تعاطي المخدرات بشكل سرطاني ، وخصوصا مع بداية الثمانينيات » . هذه الملاحظة التي وجدت جذرها في التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمعات الخليجية كانت الحافز للمؤلف لدراسة هذه المشكلة ، التي لا « تتوقف عند ادمان المخدرات » وذلك رغم « النقص الشديد في المعلومات المتعلقة بأنواع المخدرات وخصائصها ، والعوامل المؤدية الى انتشارها » مما يجعل من هذا الكتاب انجازا مهما في هذا الحقل شبه المجهول .



اسم الكتاب : الأعمال الكاملة لاميل حبيبي
اسم المؤلف : أميل حبيبي
دار النشر : دار الجليل ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ٢٤٠ من القطع الكبير

يحتوي هذا الكتاب على أهم أعمال الروائي الكبير أميل حبيبي ، باستثناء حكايته المسرحية « لكع بن لكع » وقصته الأخيرة « خطية » التي لم تكن قد نشرت بعد . .

والى جانب « سداسية الأيام الستة » التي لفتت اليه الأنظار روائيا جديدا « والوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » التي جعلت اسم واحدا من الروائيين العرب الكبار ، يضم الكتاب عددا من القصص القصيرة ، وتمثيلية قصيرة كانت قد نشرت قبل أكثر من عشرين عاما ، تدل على مقدرة ابداعية كبيرة برزت بقوة بعد عام ١٩٦٧ .



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

بين العدد والمعدود

باب « العدد » في لغتنا الفصيحة من أعقد الأبواب وأكثرها تفصيلا وأطولها ذيولا ، حين يقارن المعدود أو يستقل عنه ، وذلك من حيث تذكيره أو تأنيثه حين يكون المعدود مذكرا أو مؤنثا ، يضاف الى ذلك الاختلاف بين نحاتنا في بعض هذه المسائل ، ثم اختلاف العدد بين مفرد ومركب ومعطوف . وكل هذا جعل دراسة باب « العدد » من أعسر الأبواب النحوية فهما واحاطة على افهام الكبار فضلا عن الناشئة ، ولابد لهم وللكبار من دراسته ، لكثرة استعماله في الكلام .

وقد كنا في صفحتنا اللغوية (العدد ٣١٦/ مارس سنة ١٩٨٥) قد أجبنا عن سؤال من أحد القراء في الأردن ، مؤداه أن هناك كلمات مفردها مذكر ، وجمعها جمع مؤنث سالم ، مثل : كائن وكائنات ، مخلوق ومخلوقات ، حيوان وحيوانات . ومعلوم أن العدد من ٣ الى ١٠ يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ، فكيف نعامل هذه الكلمات من حيث تذكير العدد وتأنيثه ؟ وأيهما أصح : ثلاثة كائنات أم ثلاث كائنات ، وخمسة مخلوقات أم خمس مخلوقات . . وكان الجواب مايأتي :ـ

١ ـ اذا كان المعدود جمع مؤنث سالما ، وجاء بعد العدد المفرد (من ٣الى ١٠) فكان تمييزا له ـ نظرنا الى مفرد الجمع ، فاذا كان المفرد مذكرا أنّثنا العدد ، فنقول في الأمثلة السابقة : ثلاثة كائنات ، وخمسة مخلوقات ، وسبعة حيوانات ، لأن هذه الجموع ـ وهي مؤنثة ـ مفرداتها مذكرة (كائن ، مخلوق ، حيوان) واذا كان مفرد الجمع مؤنثا ذكرنا العدد ، مثل اربع صفحات ، وفي القرآن « سبع بقرات »

٢ ـ ويصدق هذا ايضا على جمع التكسير ، فيقال : ثلاثة اقلام ، وفي القرآن « سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية ايام » .

٣ ـ ولابد في كل هذه الحالات ان يجتمع الشرطان المشار اليهما قبل ، وهما أن يأتي المعدود بعد العدد ، فيكون تمييزا للعدد ، كما في الأمثلة السابقة ، فاذا لم

يجتمع هذا الشرطان بأن سبق المعدود العدد ، أو حذف المعدود ـ جاز تذكير العدد وتأنيثه ، مثال سبق المعدود العدد : سرت أميالا خمسا او خمسة ، ورأيت العجائب السبع او السبعة ، ومثال حذف المعدود مع ملاحظته في المعنى قولنا : « طفت بالكعبة سبعا او سبعة ، وقبلت الأم طفلها اربعا او اربعة ، وكذلك قولنا : تفقدت اشجار الحديقة (او شجراتها)وقلمت منها عشرا أو عشرة . »

وقد جاء تعقيبان على ماقلناه : الأول صاحبه السيد الهادين محمد ، من « أزغنغان » بالمغرب ، فهو يرى أن جوابنا في الفقرة الأولى لااشكال فيه ، ويستشكل في الفقرة الثانية اذ قلنا : « ويصدق هذا على جمع التكسير فيقال « ثلاثة ـ أقلام » فهو يرى أن كلمة « قلم » مذكرة ومؤنثة ، فيجوز أن يقال : ثلاثة اقلام وثلاث اقلام لأن مفرد الجمع اذا لم يكن مؤنثا حقيقيا (يلد أو يبيض) او مختوما بتاء التأنيث يجوز معه تأنيث العدد وتذكيره ، ونحن نوافقه على هذا الرأي ، وقد وضحنا في صفحة لغوية موضوع التأنيث المجازي بأوسع من ذلك قبل أربع سنوات (العدد ٢٦٨ ـ مارس سنة ١٩٨١) ولانعرف وجها لاستشكال السيد المغربي على المعدود اذا كان جمع تكسير ، فنحن لانرى فرقا في استعمال العدد مع المعدود جمعا ، سواء كان جمع مؤنث سالما (كما جاءنا في السؤال) او جمع تكسير ، ونزيد هنا ماسماه النحويون « الملحق بجمع المذكر السالم » ومنه « سنون ، وأرضون ، وعالمون ، كما في الآية : « قال تزرعون سبع سنين دأبا » وحديث السيدة عائشة عن النبي : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » . وكل هذا خاص بتذكير العدد وتأنيثه حين يقدم العدد على المعدود ، فيكون المعدود تمييزا له

وأما تذكيره وتأنيثه حين يتأخر العدد فيكون صفة للمعدود ، فقد عرض له تعقيب ثان .

والثاني صاحبه الأستاذ أنيس خوري من « ساوباولو » عاصمة البرازيل ، وقد جال في تعقيبه جولة واسعة في كتب النحو الحديثة ـ وكل مؤلفيها علماء ـ وذكر أن بعضهم يوافقوننا على ماقلناه في جواز التذكير والتأنيث في العدد صفة ، غير أنهم يفضلون تذكير العدد مع المعدود المؤنث ، وتأنيثه مع المذكر ، وبعضهم يسكت عن الحكم،وكل مايعنينا هو جواز الأمرين ، وقد نبه الى قاعدة جوازهما « الصبان » في حاشيته على«الأشموني»في أول باب «العدد» نقلا عن بعض العلماء ، وأشار بحفظها لأنها قاعدة عزيزة .

أما تفضيل بعض المحدثين تذكير العدد مع المعدود المؤنث ، وتأنيثه مع المذكر ، فلا نعرف له وجها غير توحيد القاعدة استحسانا ، ولم يوحدها العرب ، واخيرا كنا نتمنى لو تطورت لغتنا فأجازت الوجهين في العدد أيا كان موقعه مع المعدود او مستقلا عنه . □

●

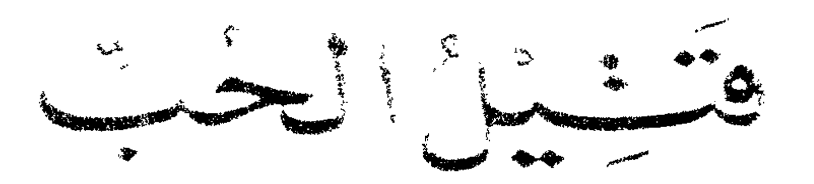
رأى قيس بن الملوح (مجنون ليلى) نفسه عند جبل التَّوْباد ، حيث كان هو وليلى يرعيان غنمهما في صغرهما . فهاجت في نفسه ذكرياته معها :

وأجهشت للتوباد حين رأيتُه ... وكبّر للرحمن حين رآني
وأذْريت دمع العين لَمّا عرفتُه ... ونادى بأعْلى صوته ، فدعاني
فقلتُ له : « قد كان حولك جيرةٌ ... وعهدي بذاك الجمع منذ زمانِ »
وقلت لهُ : « أيْن الذين عهدتَهم ... بقُربك في حفظٍ وطيب أمانِ
فقال : « مضَوْا ، واستودَعُوني ديارَهم ... ومن ذا الذي يَبْقى على الحَدْ ثانِ »
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا ... فراقك والحيَّانِ مؤتلفانِ



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء



تنسب هذه الأبيات الى عروة بن حزام النهدى (من قبيلة نهد) ، وكان يعيش فى صدر الاسلام ، وادرك العصر الاموى ، وهو من الشعراء الذين تغنوا بالحب ، واشتهرت قصته مع عفراء ، حتى ضرب به المثل فى ذلك يومئذ ، كما اشتهر حب مجنون ليلى بعده ، ومن ذلك قول جرير لصاحبته :

هل انت شافية قلبا يهيم بكم
لم يلق عروة من عفراء ماوجدا

قيل : إن اباه توفى ولعروة اربع سنوات ، فنشأ يتيما فقيرا يكفله عمه هصر ابن مالك ابو عفراء ، فنشأ معها ، فلما شب طلبها من عمه ، فوعده بها ، ثم اخرجه الى الشام ليجمع مهرها من التجارة ، وفى غيبته نزل على عمه ابن اخ آخر له يقال له « أثالة » وكان يريد الحج ، فلما رأى عفراء طلبها من عمه واكثر له مهرها ، فزوجه اياها ناكثا بوعد عروة ، فلما رجع عروة بعد رحيل عفراء مع زوجها وعرف قصة زواجها وذهاب زوجها بها إلى الشام - اشتد به القلق والمرض ، حتى اصابه الهزال والهذيان ، وبقى معتلا حتى وفاته .

روى ابو على القالى فى صدر كتابه « النوادر » ان رجلا رأى عروة وقد شارف الموت ، وعنده امرأة تعلله ، فسألها : من هو ؟ فأجابته : هذا قتيل الحب ، عروة بن حزام .

والقصيدة اثنان وثمانون بيتا فى كتاب « النوادر » وسبعة وسبعون فى كتاب « تزيين الاسواق فى اخبار العشاق ، لداود الانطاكى ص/ ١٢٤ ، وقد اشار القالى الى اختلاف الروايات فيها وقد اجتزأنا منها الابيات الآتية ، لانها أيسر .

قتيل الحب

خليليَّ من عُليا هلالِ بن عامرِ — بصنعاء، عُوجَا اليوم وانتظراني
ولاتزهدا في الأجرِ عندي، وأجمِلا — فإنكما بِي اليومَ مبتلَيان
ألماً على عفراء، إنكما غدًا — بشحط النوى والبين مفترقان
على كبدي من حبِّ عفراء قَرحةٌ — وعيناي من وجدٍ بها تَكِفان
فعفراءُ أرجى الناسِ عندي مودةً — وعفراء عني المعرضُ المُتَواني
إذا رام قلبي هجْرها حال دونه — شفيعان من قلبي لها جَدِلانِ
إذا قلت « لا » « قالا » « بلى » ثم اصبحا — جميعا على الرأي الذي يريان
فيارَبِّ، انت المستعانُ على الذي — تحملتُ من عفراءَ منذُ زمان
فياليَت كلَّ اثنين بينهما هوًى — من الناسِ والأنعام يلتقيان
فيقضي حبيبٌ من حبيب لُبانةً — ويرعاهما ربي فلا يُريان
وياليت محيانا جميعا، وليتنا — اذا نحن مِتنا ضمَّنا كَفنان
وياليت أنَّا ـ الدهر ـ في غير ريبةٍ — خليَّان نرعى القفر مؤتلفان
واني لأهوَى الحشرَ إن قيل إنني — وعفراءَ يوم الحشرِ مُلتقيان
تحمَّلتُ من عفراءَ ماليس لي به — ولا بالجبال الراسيات يَدانِ
كأن قطاةً عُلِّقت بجناحها — على كَبِدي من شدةِ الخفقان
ألا لعن اللهُ الوشاةَ وقولَهُمْ: — « فلانة اضحت خُلَّةً لفلان »
فوالله ماحدثت سرك صاحبًا — أخًا لي، ولافاهَتْ به الشفتان
اذا ماجلسنا مجلسا نستلذُّه — تواشَوْا بنا حتى أملَّ مكاني
تكنَّفني الواشون من كل جانبٍ — ولوكان واش واحد لكفاني
أعفراءُ كم من زفرةٍ قد أذقْتِني — وحزنٍ ألجَّ العَينَ بالهَمَلانِ
لو انّ أشدَّ الناسِ وَجْدا، ومثله — من الجنِّ بعد الإنس يلتقيان
ويشتكيان الوجد، ثمة أشتكي — لأضعف وجْدي فوق مايجدان
فويل على عفراء ويلا كأنهُ — على الكِبْدِ والاحشاء حدُّ سِنان
فقد تركتْني ما أعي لمحدِّثٍ — حديثا، وَإنْ ناجيتُه ونَجاني

١ ـ صنعاء هنا ليست المدينة الكبرى في اليمن، بل هي قرية صغيرة كانت في الشام بين دمشق والمزة (انظر كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعًا للجغرافي المؤرخ ياقوت الحموي ص ٢٨٦ .

وإني لتعرُوني لذكْرَاك رَعْدةٌ — لها بين جِلْدي والعظام دبيبُ
فما هو إلا أن أراها فُجاءةً — فأبهتَ، حتى ما أكادُ أجيبُ
بنا من جوَى الأحزانِ والبعد لوعةٌ — تكادُ لها نفسُ الشفيقِ تذوب
وما عجبي موتُ المحبينَ في الهوى — ولكن بقاءُ العاشِقين عجيبُ

(عروة بن حزام)

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ من هو العالم الذي أسره النازيون ابان الحرب العالمية الثانية . . ولم يطلقوا سراحه الا بعد دفع فدية بلغت ٢٠,٠٠٠ دولار .

٢ ـ الممر الشمالي الغربي والممر الشمالي الشرقي كلاهما ممر بحري، وكلاهما يصل بين شمال المحيط الاطلسي وشمال المحيط الهادي . . . فأي الممرين يسير بمحاذاة شواطىء سيبيريا وايهما يسير بمحاذاة شواطىء كندا الشمالية ؟

٣ ـ مادة الكافيين ومادة الثايين . . المادة المنبهة في القهوة والشاي . . ترى في أي المشروبين توجد مادة الكافيين . . وفي أيهما توجد مادة الثايين ؟



٤ ـ اللوكيمياء أو سرطان الدم . . ترى أي الكريات الدموية يصيبها ويتلفها هذا المرض الخبيث . . الكريات الحمراء . . أم الكريات البيضاء ؟

٥ ـ أي العلوم أطلق عليه السلف الصالح اسم « الحيل » ؟

٦ ـ الزولو والماوري والمايا والانكا والزلطي . . كلها متجانسة ماعدا واحدا . . فأيها الناشز ولم كان ناشزا ؟

٧ ـ زراعة القطن وزراعة الارز تحتاجان الى مقادير كبيرة من ماء الري . . وتبلغ حاجة احدهما ٤٠٠٠ طن ماء وتبلغ حاجة الأخر ١٠,٠٠٠ طن ماء . . وذلك لإنتاج طن واحد فقط من المحصول . . فأي الزراعتين هي هذه ؟ وأيهما هي تلك ؟

٨ ـ خط جرينتش هو غير خط التوقيت الدولي . . وكلاهما مطابق أو محاذ لاحد خطوط الطول (١٨٠) و (صفر) على التوالي . . ترى ما التغيير الذي تحدثه

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢١ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو اكتوبر ١٩٨٥ .

في ساعتك . . بل في الوقت الذي تمثله عند قطع خط جرينتش ؟

٩ ـ قارة استراليا وقارة القطب الجنوبي . . أي القارتين تبلغ مساحتها ضعفي مساحة الاخرى أو تزيد ؟

١٠ ـ البوصلة المغناطيسية كانت ومازالت تهدي البحارة والمستكشفين سواء السبيل . . وهي تعمل في كل مكان على سطح الأرض ماعدا مكانا واحدا تتوقف فيه البوصلة المغناطيسية ولا تعمل أبدا . . ماهو هذا المكان ؟

١١ ـ سوفوكليس، ارستوفانيس ، اسكيلوس ، هوميروس . .
اسماء بعض مشاهير الكتاب الاغريق وثلاثة من هذه الاسماء متجانسة وواحد منها ناشز . . فأيهما الاسم الناشز . . ولم كان ناشزا ؟

١٢ ـ الاستقراء والاستنباط : أيهما يستخلص الكليات من الجزئيات ؟ وأيهما يستخلص الجزئيات من الكليات . . . ؟

العدد ٣٢١
أغسطس ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقهامعه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٩ ـ . . . .

١٠ ـ . . . .

١١ ـ . . . .

١٢ ـ . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .

العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي

حل

١ ـ تبلغ السنة الضوئية بالضبط ٥,٨٨٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل لأن سرعة الضوء تبلغ ١٨٦,٢٨٣ ميلا في الثانية .. ولما كانت سرعة الصوت ٧٦٠ ميلا في الساعة كانت السنة الضوئية تبلغ حوالي ٦,٥ مليون ميل ..

٢ ـ امستردام عاصمة هولندة وأكبر مدنها .. فقد انشئت على أقنية عديدة .. لذا كثرت فيها الجسور حتى بلغ عددها ٤٠٠ جسر وتزيد .

٣ ـ نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف أكثر من بعد القمر ..

٤ ـ الوحدانية هي محور معتقدات السيخ الدينية .. ويذكر ان مؤسس هذا المذهب هو ناناك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩) .

٥ ـ البلدة السورية التي مازالت اللغة الآرامية فيها حية هي معلولا ، احدى قرى جبل القلمون .

٦ ـ الخِطبة .. هي طلب الزواج .. والخُطبة هي الخطاب أو المحاضرة .

٧ ـ سلسلة جبال الالب الشهيرة الثانية تقع في نيوزيلنده .. وتبلغ أعلى قممها ١٢٣٤٩ قدما .. وتقع سلسلة الالب الثالثة في استراليا .

٨ ـ اكرون بلدة صناعية تقع في ولاية اوهايو في امريكا .. اسسوها سنة ١٨٢٤ .. لتكون مركزا لصناعة اطارات السيارات .. ومازالت اكرون هي الاولى في هذه الصناعة في العالم كله .. عدد سكانها ٣٠٠,٠٠٠ نسمة .



جاليلي جاليليو

٩ ـ سمي بوكسايت نسبة الى منطقة Le Baux في جنوب فرنسا .
فقد اكتشف فيها البوكسايت اول ما اكتشف . والجدير بالذكر أن البوكسايت خاصة يستخرج منها الالمنيوم وليس العكس ، ولعلها أكثر خاماته انتشارا في العالم .

١٠ ـ انه جاليلي جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) اداته محاكم التفتيش بالهرطقة وحكمت عليه بالاقامة الجبرية في منزله لا لسبب إلا لأنه قال : إن الكرة الأرضية هي التي تدور حول الشمس وليس العكس ، وهكذا قضى جاليليو آخر ٧ أو ٨ سنوات من حياته سجين بيته .

١١ ـ دسيبل وحدة الضوضاء .
ميليبار وحدة الضغط الجوي .
رختر وحدة قوة الزلازل ومبتدعها هو العالم الامريكي فرانسيس شارلز رختر . . من علماء القرن العشرين . .

١٢ ـ نعم . . . يوجد ليل ونهار على سطح القمر . . ويبلغ طول كل منهما ١٤ يوما من أيام الأرض بالتقريب . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : محمد فاضل بن محمد البشير / نواكشوط / الجمهورية الاسلامية الموريتانية .
الجائزة الثانية : الهادي بنراهير / ازمور نابل / تونس .
الجائزة الثالثة : عبد الله احمد البزره / الكويت ـ الصفاة

الفائزون بالجوائز التشجيعية

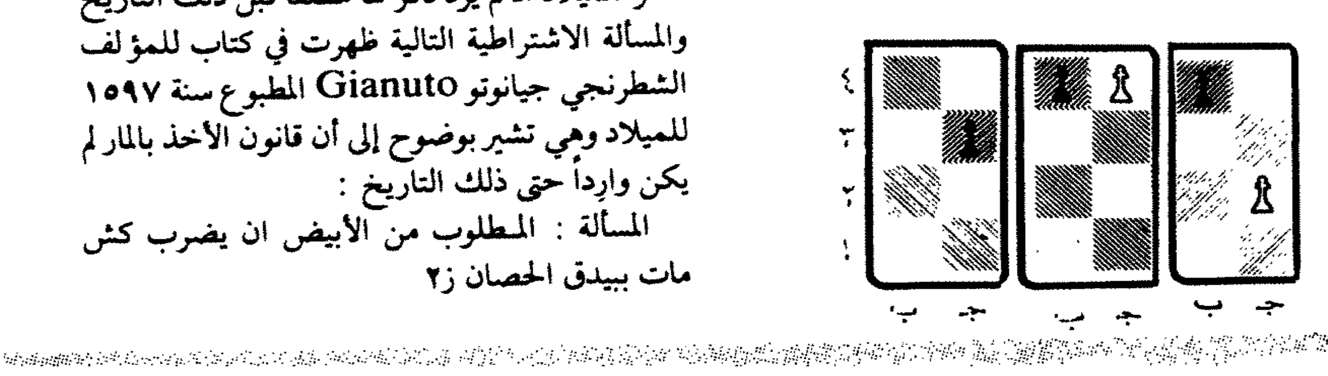
١ ـ السيدة قدرية محمد احمد / كفر الزيات ـ مصر
٢ ـ سهيل موسى يوسف السكر / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .
٣ ـ جودان منير / الدار البيضاء ـ المغرب .
٤ ـ السيدة / هند محمد سليمان خرابشه / الاردن ـ اربد .
٥ ـ على عبد العزيز السهلي / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .
٦ ـ مصطفى زوابر / حيى الصوامع / ولاية عين الدفلى ـ الجمهورية الجزائرية .
٧ ـ سناء عبد الجبار على / العراق ـ البصرة .
٨ ـ صلاح الدين عبدالقيوم ابو شامه / بورتسودان ـ السودان .

معركة بلا سلاح

الأخذ بالمـــار

للبيدق كما نعلم في أول نقلة له الخيار بين أن يخطو خطوة واحدة الى الأمام أو خطوتين،وقد تنطوي الحركة الأخيرة على ما يعرف بالأخذ بالمار او التجاوز . والاستفسارات الكثيرة التي تردنا من القراء حول القوانين المتعلّقة بهذه النقلة تحتّم علينا أن نتوقّف عندها قليلاً،راجين أن تتسع لذلك قلوب المتقدمين في اللعب من قرّائنا ، فهذا الباب كما يحرص على تزويدهم بكل جديد ومفيد من مباريات وبطولات وأخبار شطرنجية يحرص في الوقت ذاته على رفع مستوى هذه اللعبة الثقافية لدى جميع محبّيها في وطننا العربي الكبير على اختلاف مستوياتهم ، وللقارىء الضعيف والمتوسط القوة في هذه اللعبة حقّ في اهتمام هذا الباب لا يقل عن حقّ القارىء المتقدم . وأشدّ ما يثلج صدور القائمين على هذا الباب هو تلك الرسائل التي يؤكد اصحابها بأن هذا الباب قد أسهم في رفع مستواهم،ومضاعفة اهتمامهم في هذه اللعبة التي بلغ من اهتمام بعض البلاد المتقدمة بها ان أصبحت جزءاً أساسيا من مناهجها الدراسية .

والشكل التالي يوضّح طريقة الأخذ بالمار :



في الشكل الايمن يحتلّ البيدق الأبيض جـ الخانة الخاصة به في صفه الأصلي اما البيدق الأسود ب فيشغل الصف الرابع . نوبة اللعب الآن للأبيض الذي يقدم البيدق جـ خطوتين كما في الشكل الأوسط، واصبح يجاور البيدق الأسود افقياً في الصف الرابع . نوبة اللعب الآن للأسود ونراه في الشكل الأيسر قد نقل البيدق ب٤ إلى جـ٣ بعد ان نزع البيدق الأبيض من الرقعة تماما كما لو كان الأبيض قد تحرك خطوة واحدة فقط وَوَقع تحت ضرب البيدق ب٤ وهو ما يعرف بالأخذ بالمار en passant أو المجانبة او التّجاوز . وللأسود على أيّة حال الخَيار بأن يأخذ بالمار أو لا يأخذ وكأنه عندما يأخذ بالمار يسترد حَقّاً حاول الأبيض استلابه منه .

وهذا الحق مرهون بنوبة النقل ولا يكون إلا في الحال ، فلو اختار الأسود عندما يحين دوره في اللعب ان ينقل نقلةً أخرى مهما كان نوعها فانه بذلك يفقد حَقّه بالأخذ بالمار وليس له إلا أن ينقل نقلةً أخرى عاديّة .

ويرجع تاريخ هذه النقلة الى مطلع القرن السابع عشر للميلاد اذ لم يرد ذكر لها مطلقاً قبل ذلك التاريخ والمسألة الاشتراطية التالية ظهرت في كتاب للمؤلف الشطرنجي جيانوتو Gianuto المطبوع سنة ١٥٩٧ للميلاد وهي تشير بوضوح إلى أن قانون الأخذ بالمار لم يكن وارداً حتى ذلك التاريخ :

المسألة : المطلوب من الأبيض ان يضرب كش مات ببيدق الحصان ز٢

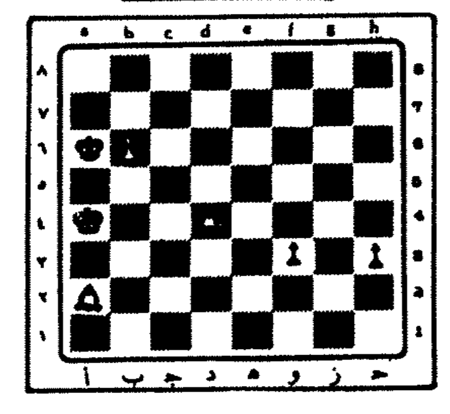
وفيما يلي الحل كما وَرَد في الكتاب المذكور :

١ ـ ر-هـ ٤	و×هـ ٤
٢ ـ ف ب ٢	هـ ٣
٣ ـ ف - هـ ٦	و× هـ ٦
٤ ـ م - و٧	هـ ٥
٥ ـ و - و٥	هـ ٤
٦ ـ ر - حـ ٣	حـ ٤
٧ ـ ز ٤	حـ ٥

لاحظ ان نقلات الأسود كلها إجبارية ، وأن البيدق حـ لا يأخذ البيدق ز ٤ بالمار مما يدل على أن قانون الأخذ بالمار لم يكن قد استحدث بعد .

٨ ـ ز ٥	حـ ٦
٩ ـ و - حـ ٨+	م - حـ ٧
١٠ ـ ز ٦ كش مات	

مسابقة العدد



مسألة رقم (٣٢) من وضع القارىء مصطفى محمد

الأبيض يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات .

حل المسابقة رقم (٣٠)

١ ـ ح-جـ ٨+	ح - جـ٥
٢ ـ و× جـ ٥	و×جـ ٥
٣ ـ ر-د ٨ كش مات	

الفائزون بحل مسابقة مايو ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ فتحي محمود ابراهيم ـ القاهرة / مصر .

٢ ـ حسين بدران حسين ـ تبوك / السعودية .

٣ ـ أسامة السرّاج ـ دمشق / سوريا .

٤ ـ عامر حسن عيادي ـ عمان / الاردن .

٥ ـ محمود طيب أحمد ـ العراق / محافظة الانبار .

الفائزون باشتراك ستة اشهر :

١ ـ محمد سعيد عثمان الرمحي ـ الدوحة / قطر .

٢ ـ سفيان الزوادي ـ تونس / الجمهورية التونسية .

٣ ـ محمود السَمّان ـ الرياض / السعودية .

٤ ـ رشاد محمد ابراهيم ـ سوهاج / مصر .

٥ ـ بنمادة محمد ـ الدار البيضاء / المملكة المغربية .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

حوار القراء

نباتات الأمن الغذائي

● نشرت مجلة العربي في العدد (٣١٧) مقالا تحت عنوان « سلامة البشرية في سلامة البيئة » فقالت بأن هناك نباتات تبشر بتحقيق الأمن الغذائي ، وأود منكم ارسال عنوان مركز البحث الذي يجري أبحاثا على هذا النبات ـ كما أطمع في ارسال بعض الأبحاث والدراسات حول هذا الموضوع إن توفرت لديكم من أجل الاستفادة منها في هذا الميدان . . .

المهندس موفق سعيد ـ سوريا

شكرا على اهتمامكم بكل ما ينشر في العربي ، وخصوصا فيما يتعلق بالجوانب العلمية التي تكتشف لأول مرة ونسلط الضوء عليها . . ويطيب لنا أن نخبرك بأن المصدر الذي تناولنا منه الخبر هو مجلة « نيوزويك » الاميركية الصادرة بتاريخ ١٩٨٤/١٢/١٧ ، وفي استطاعتكم الحصول عليه من مكتبة التوزيع في بلادكم .

اهتموا بالفنون الشعبية

● نتابع صدور العربي منذ زمن طويل ، ونحرص على الحصول عليها حين تصل الى بلادنا . . ولا يغيب عن ذهننا ما تقدمه المجلة من جهد ووجبة ثقافية عامة مع مطلع كل شهر . . لكن لدينا بعض الملاحظات التي نرجو أن تأخذوها بعين الاعتبار . ولعل أول هذه الملاحظات . أن المجلة تصل متأخرة عن موعد الصدور ، وقد يمتد هذا التأخير الى النصف الثاني من الشهر . . وثاني هذه الملاحظات أن المجلة لا تعطي الفنون الشعبية للدول الاهتمام المطلوب ، وخصوصا الفنون الكويتية التي يحرص كل باحث على معرفة أنواعها وايقاعاتها .

محمد فؤاد مقصود ـ حلب ـ سوريا

فيما يتعلق بتأخير وصول المجلة في بعض الشهور ، فان ذلك يعود لعوامل المواصلات واجراءات الجمارك .

أما عن الفنون الشعبية وخصوصا الكويتية ، فان المجلة تحرص على تناول الفنون العربية بشكل عام بين صفحاتها ، وبامكانك الحصول على ما تريد من بحوث ودراسات متخصصة عن الفنون الكويتية ، عن طريق مراسلة المعهد العالي للفنون الموسيقية بوزارة الاعلام الكويتية .

اعداد : يوسف الشهاب

مذنب هالي . . ما حقيقته

● اطلعت على بحث علمي حول « مذنب هالي » والحقيقة أن مثل هذا المذنب لم نعرف عنه من قبل ، ولا نعرف حقائق ومعلومات واسعة عنه ، فما هي حقيقته ؟ ولماذا كثر عنه الحديث في الآونة الأخيرة . . ؟

محسن عامر الحوجان ـ الصباحية ـ الكويت

يطيب لنا أن نفيد القارىء العزيز بأن المجلة سوف تنشر بحثا مصورا عن « مذنب هالي » وعن الجهود التي تبذلها شتى الدول لمواجهته وذلك في عدد قادم إن شاء الله . .

الدفاع عن الاسلام واجبنا

● بينما الصحوة الاسلامية تزداد رقعتها في بلادنا الاسلامية ، فان هناك من يحاول التطاول والافتراء على الرسالة المحمدية ، من الحاقدين الذين لا يدينون بالاسلام ، ولا يريدون له الانتشار وزيادة مساحة رقعته . .

ولأن مجلتنا « العربي » هي رائدة المجلات العربية والاسلامية ، نظرا لما تقدمه لنا من طبق ثقافي كل شهر ، فاننا نود منها أن تزيد في القاء الضوء على الجوانب الدينية ، لدحض هذه الافتراءات التي يأتي بها أعداء الاسلام . .

جهاد السيد محمد ابراهيم ـ سوهاج ـ مصر العربية

تولي المجلة كل اهتمام للقضايا الدينية ، وقد ألقت الضوء على الكثير منها . . وفي المجلة باب شهري بعنوان « البيان في تنزيل القرآن » يتناول العديد من جوانب الدين الاسلامي ، ورسالتنا جميعا كبيرة في خدمة ديننا الذي جاء به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام . .

الرغبة والطموح

● يخلط البعض بين الرغبة وبين الطموح ، ولكل جانب رأيه في هذا الموضوع . . . وفي رأيي أن الرغبة هي شعور معين للحصول على شيء يرغب الانسان بالحصول عليه ، وغالبا ما يكون هذا الشيء ماديا . . وكثيرا ما تكون الرغبة رخيصة ليست بذات أهمية ، ورغبة الانسان لا تقف عند حد معين ، لانه يرغب في حمل شيء يراه اذا لم يأت عليه بأي ضرر . .

أما الطموح فهو شعور داخلي لدى الانسان للوصول الى هدف معين يريد الوصول اليه ، ويبذل كل ما في وسعه من دوافع وجهد في سبيل تحقيق الهدف ، حتى وان كان الوصول بعد فترة طويلة ، فانه يسعى لتحقيق طموحاته دون أن يتأخر عنها . . .

مفتاح محمد الجروشي ـ مصراته

الجماهيرية الليبية

حوار القراء



العربي

الطموح أقوى من الرغبة ، والناس تختلف فيما بينها من حيث هذه الرغبات والطموحات . . وذلك فان من الناس من لا طموح ولا رغبة لديهم ، لعدم احساسهم بها ، لكن الفئة الأخرى تملك الرغبة للوصول الى ما تريد ، وطموحاتها كبيرة لبلوغ أهدافها التي تضعها في طريق حياتها . .

العربية . . اللغة الأم

● قرأت في العدد (٣١٧) مقالا تحت عنوان « لماذا هذه الحرب على لغتنا الجميلة ؟ » للدكتور عمر موسى باشا - كشف فيه عما يخفيه دعاة اللغة المحلية أو الدارجة خلف دعوتهم من تجزئة تضاف الى هذا التفكك في أرجاء الأمة العربية . .

ومن الغريب أن الذين يقفون خلف هذه النزعة أدباء وشعراء لهم مكانتهم . . . وهؤلاء يريدون تمزيق الهوية التي نعرف بها بين شعوب العالم .

فدعوتهم هذه تدل على عجزهم وقصر نظرهم . ومن المفارقات الغريبة أن أحد دعاتها عضو في مجمع اللغة العربية الأردني ، الذي وجد لحماية اللغة العربية من زحف العامية .

ونحن في ظل الظروف الحاضرة نحتاج الى توحيد الكلمة ، والتأكيد على ضرورة رفع مكانة اللغة العربية ، وحمايتها من العامية التي لا تكتب ولا تفهم فيما بين أقطار الأمة العربية . .

محمد أحمد علوش - الرقة - سوريا

العربي

اللغة العربية هي اللغة الأم التي نزل بها القرآن الكريم . . « انا أنزلناه قرآنا عربيا » . . صدق الله العظيم . . واللغة العربية هي لغة التخاطب والتفاهم بين الشعب العربي في جميع أقطاره ، وهي وحدها التي تأخذ طريقها الى لسان كل عربي ، حتى لسان الذين يدرسونها من غير العرب . . واذا كان للعامية أنصارها فان انتشارها لا يخرج عن رقعة الارض التي يتكلم أهلها لهجتهم العامية ، لانها تكون صعبة الفهم في أقطار عربية أخرى .

ردود خاصة

* الاخ رمضان بوجراثي . بخصوص سؤالك حول كيفية الاشتراك في المجلة يرجى قراءة الصفحة الثالثة لمعرفة ما تريد . . .

* القارئة رشيدة القبلي ، من اليمن الشمالي ، فيما يتعلق بسؤالك عن « كوبون » المسابقة وزيادة مساحة الاجابة . . نقول ، انه لا مانع من كتابة الاجابة على ورق خارجي يرفق مع الكوبون اذا لم تكن هناك مساحة للكتابة في المكان المخصص داخل العدد . .

* شكرا للقارىء الجزائري ساعد ابن عبدالرحمن ، الذي بعث لنا برسالته من الجزائر مشيدا بالدور الثقافي الذي تقوم به العربي ، وبكتب العربي التي بدأت المجلة اصدارها تباعا . . .

Are You Ashamed Of YOUR English?

Be specialist trained in written and spoken English — and increase your earning power!

A good command of English can ensure YOUR SUCCESS! It can improve your chances of PROMOTION — increase your EARNING POWER — get you a BETTER JOB and enhance your SOCIAL LIFE. You can acquire it quickly and easily.

When you can talk **fluently and effectively** – write **clearly and concisely**, you impress your boss – your colleagues and your friends.
You gain **respect — prestige**, and leave your business rivals behind you. It can mean **a prosperous new life for you and your family!**

To help **you be successful**, we offer you a unique, easy-to-understand, home-study training for a **Diploma in Business English.** It has been specially written by leading teachers and businessmen for people whose mother tongue is not English.

Your training teaches you both **written and spoken English** – and how to use it in your job. English grammar is made easy. You learn how to increase your vocabulary. You are shown how to construct sentences and paragraphs, and how to develop a good writing style. You are taught how to write business letters, office memoranda, minutes of meetings, reports, and lots more – including telex, telegrams, agendas, etc. **It is so effective that many successful people started this way.**

The spoken part of your training comes on 3 full cassette tapes. There is 155 minutes of recording time and you are given lots of practical work to do. Thus you learn how to speak English **clearly and distinctly.**

You need to work hard at your training, but you don't need any special **education or qualifications.** If you can understand this advertisement, your English is **good enough to understand** fully the training itself.

So, if you are dissatisfied with your present work, pay or prospects — or are ambitious and want the good things in life — why not send for free details NOW of how we can help you **to acquire a good command of English.** It's an opportunity you can't afford to miss. No obligation. Proof of big success by ordinary men and women. Write immediately to: Business Training Ltd, Dept: B/AAB 25, Sevendale House, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

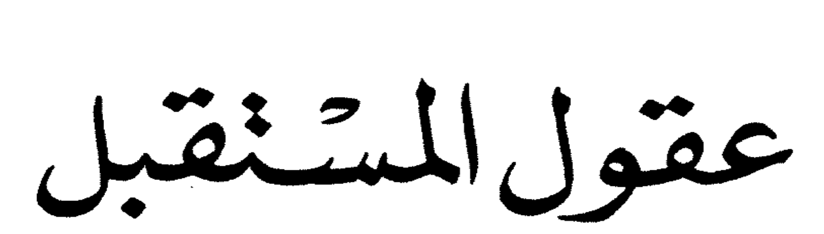
BUSINESS TRAINING LIMITED
Dept. B/AAB 25,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.
C.A.C.C. Accredited

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.
BLOCK CAPITALS PLEASE
Surname ....
Other names ....
Address ....
....
....
....



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٥م



تأليف : جون تايلور
ترجمة : د. لطفي فطيم

الكتاب الثاني والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

أول أغسطس ١٩٨٥

١٩١

أوبو ملكًا

تأليف : ألفريد جاري - ١

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد



VHS
VHS
V-57TR
• نظام ثلاثي
(PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)
الإختيار الصحيح
تكنولوجيا Toshiba المتقدمة تعطيك صورة اكبر
بمقدار ١-٣ انش وخالية من التشويش بفضل تلفزيون
CORE TV (FS) ذات الشاشة المربعة والمسطحة. كما
يمكنك الإختيار مابين نظام فيديو BETA أو VHS.
V-53TR • نظام ثلاثي (PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)
V-51D • نظام ثنائي (PAL/SECAM)
V-M42TL • نظام NTSC
V-M41TL • نظام NTSC
28
21
19
15
28"CORE FS 289X4M
21"CORE FS 219X3M
19"CORE FS 199X4M
15"CORE FS 159X4MR/S
• شاشة (FS) المربعة والمسطحة • ١١ نظام • عرض وظائف القنوات على الشاشة • تتحكم عن بُعد كامل الوظائف.
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN


NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
أمّنوا لأولادِكم نمُـوًّا مُتكامِلا
نيدو السَّريع الذوبَان هو حَليب بقري كامِل الدسم مجفف ذو جودَة فائقَة أُنتزع منه المَاء فقط . فحين يُمزج بمَاء الشرب الصافي يُصبح فورًا حليبًا طازجًا، مغذ ولذيذ .
نيدو مغذٍ يحتوي عَلى كافة العناصِر الغذائيَّة الهَامَّة كالكلسيُوم والبرُوتين والفيتامينَات التي لا غِنى عنهَا للأولاد طِوَال فترة نموّهم .
نيدو طعمُه لذيذ ، يُحضّر بسرعَة ، ويحبُّه أولادكم بَاردًا أو سَاخِنًا في الصَباح والمسَاء وفي أي وقتٍ من النهار .
نيدو السَريع الذوبَان
كوبٌ مِن الحَليبْ في أي وَقت .
تقدمه نستله
Nestlé